٥٥

هذا كتاب شرح الجزائرية
للامام العلامة الشيخ
عبد السلام بن
ابراهيم اللقاني
رحمه الله
تعالى امين

مما من الله تعالى به
على عبده احمد
ابن الشيخ طه
الاشرفي غفر الله
لهما وللمسلمين
امين

٥٥٠
٧٨٤



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي شرف التوحيد لمعرفته من اسعده فقال صوابا ويسر له
من مطالعة ادلته ما يكفيه عند توجه السوال عليه جوابا احمده سبحانه
ان فتح على طالب الحق من الكفاية ابوابا وحلاه عن حليته من اخضر السندس
اثوابا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لمخلصها وقاية
وحجابا وتبويه من غرف الجنان ما يسمع فيه من الرحمن خطابا واشهد
ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث للعالمين عجما واعرابا المنعوت في
التنزيل لا فظا ولا غليظا ولا سخابا صلى الله وسلم عليه وعلى اله الذين
فازوا برويته وكانوا له اصحابا فسادوا حين شادوا وعادوا ليوث غابا
صلاة وسلاما يكونان لنا اذا خاف العبد زلة وعتابا يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وبعد فيقول الفقير
الحقير الفاني عبد السلام ابن ابراهيم المالكي اللقاني احسن الله اليه يوم
العرض عليه هذا تعليق لطيف على منظومة العارف بالله سيدي ابي
العباس احمد بن عبد الله الكريم الجزايري رحمه الله تعالى ارجو عموم
النفع به للمبتدي والمنتهي ان شا الله تعالى يحل الفاظها السنية الرايقة
ويبين عقايدها السنية الفايقة حملني عليه بعض الاصدقا حين احضرها
لي في شهر رمضان المعظم من السنة الحادية بعد الخمسين والالف فاجبته الى
الى ذلك رغبة في الثواب وسميته فتح المجيد بكفاية المريد والله
يجعله خالصا لوجهه الكريم انه هو الجواد البر الرحيم قال رحمه الله
تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اي اولف متيمنا ومستعينا ببسم الله الرحمن
الرحيم لان الذي يتلوها مولف وكل فاعل يضمر ما جعلت التسمية
مبدا له والاسم مشتق من السمو وهو العلو والله علم للذات الواجب
الوجود والرحمن والرحيم وصفان بنيا للمبالغة ومعنى الاول المنعم
بجلايل النعم والرحيم المنعم بدقايقها الحمد لله اتبعه البسملة اقتدا
بالقران المجيد وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدا

فيه

الحمد لله وهو الواحد الازلي سبحانه جل عن شبه وعن مثل

فيه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية بالحمد لله فهو اقطع او ابتر او
اجذم على ما روي اي ناقص وقليل البركة فلا يكون معتبرا في الشرع
وان كان تاما حسا النقص نوايد عن المبدو بها ولغة الحمد لغة الثنا
بالجميل على الفعل الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل سوا
تعلق بالفضايل اي بالدرجات الرفيعة في الفضل او بالفواضل اي الايادي
الجسيمة او الجميلة والحمد عرفا فعل ينبي عن تعظيم المنعم من حيث
انه منعم على الحامد او غيره وهو اي الله تعالى الواحد المنفرد ذاتا
وصفات وافعالا الازلي هو ما لا ابتدا لوجوده وجوديا كان او عدميا
فالقديم اخص منه اذ هو موجود لا ابتدا لوجوده سبحانه اي انزهه
عما لا يليق به جل اي عظم سبحانه عن شبه اي مشابه وعن مثل
اي مماثل له تعالى في ذاته او في صفاته لوجوب مخالفته تعالى للممكنات
ذاتا وصفات وفيه رد على المجسمة فليس يحصى اي لا ينضبط الذي
اولاه اي اعطاه من نعم جمع نعمة بمعنى الشي المنعم به قال تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها لكثرتها كالسمع و
البصر وغيرهما واليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك وكل
خير ولذة وسعادة يسمى نعمة لكن النعمة بالحقيقة هي السعادة
الاخروية والاولى ان تكون النعم جمعا لنعمى بمعنى الانعام لان الحمد على الصفات
اولى منه على متعلقاتها ثم ان كانت النعمة بمعنى الملايم الذي تحمد
عاقبته عاجلا واجلا او عاجلا ليس فيه شايبة ضرر فالكافر ليس
منعما عليه لان نعمهم مشوبة بالالام والعقوبات والى هذا ذهب امامنا
الاشعري رضي الله عنه وان كانت من النعمة بفتح النون وهي لين
العيش فالكافر منعم عليه في الدنيا كما ذهب اليه القاضي ابو بكر وهذا
هو الصحيح لانه تعالى اوجب على جميع المكلفين ان يشكروه والشكر لا
يكون الا على نعمة وقال بهذا المعتزلة ايضا اجلها اي اعظم النعم
نعمة الايمان اي التصديق بالله عز وجل بالرسل عليهم الصلاة والسلام

من ذا من الخلق يحصي شكر واجبها
لو كان يشكر طول الدهر لم يصل

ثم الصلاة على خير الورى ابدا
وصحبه مع سلام طيب حفل

وخصوصا سيدهم الخاتم لهم نبينا المبعوث رحمة للعالمين اذ هو الواسطة في
الدلالة على ما به السعادة الابدية وحصول الرضى في دار النعيم ومشاهدة
الذات العلية وسماع الخطاب المقدسي وحيث امتنع احصا ما وهبه من
النعم قال من ذا اي اي فرد من الخلق اي المخلوق الكامل العقل يحصي اي يعد
ويضبط شكر واجبها اي معطي تلك النعم لان الشكر انما وقع بخلقه سبحانه
فيكون نعمة تستوجب شكرا وهلم جرا وفي الحديث التحدث بنعمة الله شكر
وتركها كفر وعن قتادة من شكر النعمة افشاؤها والشكر لغة هو الحمد
عرفا وهو فعل ينبي عن تعظيم المنعم واما الشكر عرفا فهو صرف العبد
جميع ما انعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لهو
اعطاه لاجله كصرف النظر الى مطالعة مصنوعاته والسمع الى تلقي ما ينبي
عن مرضاته والاجتناب عن منهياته لا مجرد قول القايل الشكر لله
لو كان احد من الخلق يشكر المنعم طول الدهر اي الزمان لم يصل الي
قضا شكر تلك النعم واداء حقها ثم الصلاة هي لغة الدعا بخير وهي من
الله رحمة ومن الملايكة استغفار ومن الادمي تضرع ودعا على خير
اي افضل الورى اي الخلق مطلقا انسا وجنا وملكا ابدا ظرف لزمان مستقبل
تصد به دوام ثمرة الصلاة والسلام المدعو بهما له صلى الله عليه وسلم والا
فهما عرضان ينقضيان بمجرد النطق بهما واتبع الحمد بالصلاة على خير
الورى لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اي لا اذكر الا ذكرت معي وعملا بقوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما واختار الجملة الاسمية دون الفعلية
للدلالة على الثبات والدوام وصحبه اي والصلاة على اصحاب خير الورى
عليه السلام والصحابي لغة من بينك وبينه مخالطة وان قلت واما
الصحابي عرفا فهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مومنا به ومات
على الاسلام فدخل ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وعيسى ابن مريم
والخضر والياس والملايكة والجن لانه لا يشترط في الملقا ان يكون متعارفا
ولانه لا تنافي بين مقام الصحبة والنبوة او الملايكة فالملايكة صحابة

باقون

وبعد فالعلم بالتوحيد مفترض
بالاحتلام وعلى ذكر وذي ...

باقون الى الان على القول بتكليفهم بشريعته صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه
السلام اخر الصحابة موتا والاولى اعتبار التمييز احتياطا لشرف الصحبة
وخرج عن التعريف من لقيه صلى الله عليه وسلم وهو كافر وكذا من لقيه
صلى الله عليه وسلم وهو مومن بغيره من الانبيا واما من لقيه صلى
الله عليه وسلم وهو مومن بانه سيبعث فلا بد من لقيه له صلى الله عليه
وسلم بعد نبوته كما جزم به الانصاري تبعا لشيخه الحافظ فلا تثبت له الصحبة
ان لم يدرك البعثة مع سلام اي تحية طيب اي لايق بمقامه الشريف
صلى الله عليه وسلم بحسب ما عنده سبحانه وجمع بين الصلاة والسلام
لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما والامر فيه من الخيرات الواصلة
الينا بسببه عليه السلام حال حياته وبعد وفاته لان منفعة الصلاة
عايدة على المصلي لانه اذا صلى احدنا عليه صلاة صلى الله عليه بها
عشرا حفل اي كثير مبالغ فيه لما عند الحاكم انه صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا ومن صلى علي عشرا
صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة كتبت له بين عينيه براة
من النفاق وبراة من النار واسكنه الله يوم القيامة مع الشهدا
وبعد ظرف زمان اعتبارا بالنطق او مكان اعتبارا بالرقم اي وبعد
ما ذكر فالعلم وهو ادراك الشي بحقيقته اي جزم الاعتقاد بالتوحيد اي
بقواعده وعقايده مفترضا اوجبه الله على كل مكلف من الثقلين
ذكرا كان او انثى لقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله عينا فلا يكفي منه
وكفاية في الكفاي منه كما ستعرفه انفا والتكليف انما يكون بالبلوغ
وهو يكون بالاحتلام لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال الحلم فليستاذنوا
والاحتلام افتعال من الحلم بضم الحاء وسكون اللام وهو ما يراه النايم في نومه
وخصصه العرف ببعض ذلك وهو روية الجماع فالمراد الادراك والبلوغ
والتوحيد لغة التوحد والتفرد والحكم او العلم بان الشي واحد وشرعا
افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وافعالا

فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا يدخل افعاله
الاشتراك لانه لا فعل لغيره خلقا وان نسب اليه كسبا فالبالغ من وقت
بلوغه وجبت عليه معرفة الله تعالى بالدليل لا بالتقليد ويكفيه من
الدليل تفكره في احوال نفسه هذا ما استقر عليه الشرع ولم تكن الاحكام
الشرعية متعلقة بالبلوغ ولا منوقفة عليه في صدر الاسلام بل كانت تتعلق
بالقادر بالغا كان او غيره **وعقل** هو لغة المنع واصطلاحا العلم ببعض
الضروريات كما عرفه امامنا الاشعري رضي الله عنه وقال القاضي هو
بعض العلوم الضرورية وهو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات
وجواز الجايزات ومجاري العادات كالعلم بوجوب افتقار الاثر الى موثر
والعلم باستحالة اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين وانه لا واسطة بين النفي
والاثبات ويمكن ان يكون هذا تفسيرا لكلام الاشعري لاجماله وهذا
على القول بعرضيته وانه من قبيل العلوم كما تطابقت عليه اقوال اهل السنة
والحق انه روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وتفصل
به حقايق الاشيا وابتداوه من حين نفخ الروح في الجنين ولا يزال ينمو
للبلوغ ومحله القلب ونوره في الدماغ على ما ذهب اليه الامامان مالك
والشافعي رضي الله عنهما لقوله تعالى قلوب لا يعقلون بها لا الراس ولما
اراد بالعقل ما هو مناط التكليف وصفه بقوله **غير مختبل** بفتح البا
اي مختل وفاسد فان العقل بحسب العرف يطلق بمعنى التودة وكثرة
التجربة ونحوها ولكن لا يقال في فاقدها انه مختبل احمق وهذا
ماخوذ من قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون فنبه لعباده باب الاستدلال على
الوحدانية بالعقل واختص الهداية من عقل فاستدل على الصانع
بالمصنوع وخرج بالمكلف وهو البالغ العاقل الذي بلغته دعوة النبي
صلى الله عليه وسلم غيره فلا تجب عليه معرفة التوحيد ومن لم تبلغه
دعوته صلى الله عليه وسلم معذور لان طريق الايمان به صلى الله عليه وسلم

مشاهدة

مشاهدة معجزته لمن حضرها وصحة نقلها لمن لم يشاهدها وقولنا من
الثقلين لانه المتبادر من مدلولها الا المكلف بحسب المتعارف مع ان معرفة
الملايكة باحكام الالوهية لو قلنا بتكليفهم باحكام شرعنا ضرورية فلا
يقع بها التكليف لانه لا تكليف الا بفعل اختياري والصواب ان العوام والعبيد
والنسوان والخدم مكلفون بمعرفة العقايد عن الادلة متى كان فيهم
اهلية فهمها والا كفاهم التقليد ولما كان البلوغ كما قال المازري عبارة
عن القوة الخفية التي تحدث في الصبي يخرج بها من حال الطفولية الى
حال الرجولية جعل الشارع له علامات يعرف بها وهي خمس ثلاث
يشترك فيها الذكور والاناث وهي الاحتلام والانبات والسن وثنتان مختصان
بالاناث وهما الحيض والحمل قال والتوحيد مفترض على الاناث البالغات
ويعرف بلوغهن **بالحيض** من حاضت المراة اذا سال الدم منها في اوقات
معلومة وهو دم اسود خاثر تعلوه حمرة يرخيه رحم المراة بعد
بلوغها واصطلح اهل مذهبنا المالكية على ان الحيضة مجي الدم ولو دفعة
في باب العبادات واما في العدة والاستبرا فهو الدم الجاري المدة المعتادة للمراة
واقله يوم وقيل بعضه وقال مالك يرجع فيه للنسا وحقيقته انه
غسالة الجسد وفضلات الاغذية التي لا تصلح للبقا وهو خلقة في النسا
وطبع معتاد معروف منهن اول من ابتلي به حوى عقوبة لها بعدها
عن طاعة ربها عز وجل وقت ملابسته لاغاثتها ادم عليه السلام على
على اكل الشجرة اولانها كسرت الشجرة وادمتها اولانها عاقت الحية
بسلت قوايمها وقيل اول من ابتلي به امراة من بني اسرايل لفجورها
وسن يتحقق به التكليف **حدة** الذي اذا وصل اليه صار مخاطبا بالاحكام
الشرعية **ذكروا** اي ذكره العلما فقيل ثمان عشرة وهو المشهور وقيل سبع
عشرة وقال ابن وهب خمس عشرة **وليس** قول **من الحق** من العلما
الانبات بالاحتلام والسن نجعله معتبرا يتحقق التكليف به وهو عبارة

[illegible]

عن اسود اشعر المحل وَفَشَل اي فساد وقد الحقه بالاحتلام اما مارضى
ابيه عنه فاعتبره في السرقة حيث قال و يحكم عليه بالانبات اي فيقطع
اذا سرق متى انبت وقال ابن القاسم احب الي ان لا يحكم به وقال ابن
المواز انما يعتبر الانبات البين والسن ثماني عشرة سنة وليس الفرض
والايجاب خاصا بعلم التوحيد بل كُلّ مَا اي كل فعل طلب منا فعله بلسان
صاحب الشرع المبين له عن الله عز وجل وهو نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم نفعله كالصلاة ونحوها من الاحكام التكليفية فرض اي واجب
تعلمه على المكلف فيجب عليه ان يعلم كيفيتها اولا ثم يؤديها على حسب
ما علم فتشارك التوحيد في الوجوب وان كان التوحيد هو الاصل وعليه
تبنى صحتها وفسادها والعلم المطلوب في التوحيد هو اليقين الذي لا يحتمل
النقيض بخلافه في الاعمال اذ المطلوب فيها غلبة الظن والشرع والشريعة
ما شرعه الله لعباده من الدين ومن العلم ما هو فرض على الاعيان
كالتوحيد والصلاة ونحوها وهذا هو الذي اراده صلى الله عليه وسلم
بقوله طلب العلم فريضة على كل مسلم ومنه ما هو فرض على الكفاية
ومنه كتحصيل الحقوق واقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه
اذ لا يصلح ان يتعلمه جميع الناس لئلا تضيع احوالهم وتبطل معايشهم
فتعين قيام البعض به من غير تعيين وان جهلت الحكم في علم تريده
ولم تقدر على اخذه من الكتاب او السنة سل العدول من العلماء عنه
فانه يجب عليك الرجوع اليهم قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا
تعلمون والجهل انتفاء العلم بالمقصود بان لم يدرك وهو الجهل البسيط
او ادرك على خلاف هيئته في الواقع وهو الجهل المركب لتركبه من جهلين
جهل المدرك بما في الواقع وجهله بانه جاهل به كاعتقاد الفلسفي قدم
العالم وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيه
مدح العلم ورفعة قدره وذم الجهل وبغضه ولكن اجابة السائل

بل كل ما بلسان الشرع نفعله
فرض تعلمه وان جهلت سل

انما

انما تجب اذا سال عما يجب عليه وخاف فوات النازلة وكان المسؤول
عالما بحكم الله تعالى في تلك النازلة باجتهاده او بنص امامه وان
يكون السائل والمسؤول بالغين وعن مجاهد ينبغي للعالم ان يعرف فضل
من ياتيه يطلب ما عنده فهاك اسم فعل بمعنى خذ نظم هو في الاصل
جمع الاشيا على هيئة متناسبة وغلب على نظم الشعر واطلق على
الشعر نفسه بمعنى المنظوم اي جمع فصول والفصل لغة القطع وعرفا
جملة مخصوصة من العلم سميت فصلا لانقطاعها عما قبلها وانما نظمها
عملا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من
ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم ينتفع به بعد موته
من بعض قواعده اي قواعد علم التوحيد والقاعدة لغة الاساس
وعرفا قضية كلية يتعرف منها احكام جزئيات موضوعها وانما
لم ينظمها جميعها لان من اي كل ما هو حاذق رام اي طلب بالنظم ضد
النثر حصرا اي استيفا الكل اي جميع عقايد التوحيد لم ينل ذلك ولم
يصل اليه لصعوبة النظم وضيقه بخلاف النثر فانه يتيسر معه حصرها
لعل قاريه اي المجموع من القواعد المشتغل به تعلما او تعليما بالنظم
الملايم للنفس يحفظه وخصوصا مع الاختصار فان النظم ايسر للحفظ
الموصل الى الفهم واصل الحفظ ضبط الشي ومنعه من الضياع فالمراد
من حفظ القواعد المنتظمة ارتسام صور الفاظها في القوة المتخيلة
وتعليم هذا العلم بالنظم تقريبا على المتعلمين وتسهيلا على القاصرين
واجب بوجوبه لان كل ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب واراد ترغيب
الطالب مبالغة في نصحه فقال عليك بهذا النظم فقد حوى اي لانه
جمع من علم التوحيد جملا عظيمة تنبيه اي تخبره يفهم الطالب
اي يعلم ما اي القدر الذي يكفيه معتقدا اي اعتقاده الواجب عليه
عينا وهو ما يخرج به من التقليد الى التحقيق واقله معرفة كل
عقيدة بدليل ولو جمليا واما ما يقتدر معه على تحقيق مسائله

فهاك نظم فصول من بعض قواعده
من رام بالنظم حصر الكل لم ينل

[illegible]

لعل قاريه بالنظم يحفظه
فقد حوى جملا تنبيه عن جل

فيستغني بها عن جل اخرى ومنه اي ومن هذا النظم صح

ومنه يفهم ما يكفيه معتقدا
فليشتغل بعد بالتكليف من عمل

واقامة الادلة التفصيلية عليها وازالة الشبه عنها بقوة فانما هو واجب كفاية
اذ يجب على اهل كل قطر يشق الوصول منه الى غيره ان يكون فيهم من
هو متصف بذلك والفهم من الادراك وهو جودة الذهن والذهن قوة
تتصور بها الصور والمعاني وفي قوله ما يكفيه معتقدا ايما الى تسمية
هذه المقدمة بكفاية المريد بكفاية المريد ويأتي لك انها معرفة العقيدة
ان شا الله تعالى والله اعلم فليشتغل الطالب بعد اي بعد حفظه وفهمه
بالتكليف اي بعمل ما كلف به من عمل ليكون عمله حينئذ حاصلا عن العلم
اليقين الذي لا يحتمل النقيض بوجه ان كان ذلك العمل اصليا وهو
التوحيد او عن غلبة الظن ان كان ذلك العمل فرعيا وهو ما رجع اليه
صحة وفسادا والتكليف الزام البالغ العاقل ما فيه كلفة وقيل طلبه
فالمندوب على الاول غير مكلف به بخلافه على الثاني والله منصوب
على التعظيم نسأل اي نطلب من فضله وكرمه ونطمع في حصول نفع الجميع
اي جميع الطلبة معلمين كانوا او متعلمين والنفع ضد الضر يطلق على
كل ما يحصل به رفق ومعونة وخصه سبحانه بالسوال لانه القادر ان
ينفع المشتغل به اي بهذا النظم دون كل احد وانما طلبت منه ما ذكر
اذ هو سبحانه لا يضيع وعد الاجابة فضلا وكرما كما في قوله تعالى ادعوني
استجب لكم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا
دعاني فيجيب طلبة كل ذي امل ويعطيه سوله ويبلغه امله اما
عاجلا في الدنيا واما اجلا ولعله قامت قرينة وقت السوال على
الاجابة الى المطلوب بعينه كفتح يسرة ونحوها لانها الاليق بجانب الكرم
في الاخرة والفضل العطا عن اختيار ولا ايجاب ولا علة كما يقول
الحكما ولا عن وجوب كما يقوله المعتزلة فصل هو لغة القطع وعرفا
جملة مخصوصة من العلم لانقطاعها عما قبلها مؤلف في بيان اي اخراج
حكم التقليد من حيز الاشكال الى حيز التجلي بذكر الخلاف في صحته
وعدمها والحكم لغة نسبة امر الى اخر ايجابا او سلبا والتقليد هو الاخذ

بقول

قوله فليشتغل الخ هذا الكلام مرتب على قوله وسنه يفهم ما يكفيه والفا جواب لشرط محذوف تقديره فان حصل ما يكفيه اعتقاده فليشتغل بعده بالتكليف اي بعمل به على حذف مضاف انتهى سنوسي

والله نسأل في نفع الجميع به
اذ لا يضيع فضلا كل ذي امل

قوله فضلا نعم للتعظيم ونصبه على المفعول من اجله واتى به احترازا عن ان يتوهم من قوله اذ لا يضيع الخ ان اجابته تعالى لمن يجيبه حق عليه فنبه على ان ذلك محض فضل جل وعلا اذ لا يجب عليه تعالى فعل من الافعال انتهى سنوسي

فصل
في بيان حكم التقليد

بقول غير معصوم من غير حجة كما حققه امام الحرمين في البرهان
وعلى هذا فالاخذ بقوله عليه السلام مطلقا في الاحكام وغيرها ليس
تقليدا وقيل هو الاخذ بقول الغير من غير حجة وعليه فالاخذ بقوله
عليه السلام في الاحكام تقليد وقيل التقليد قبول قول الغير وهو لا يعلم
من اين اخذه بان يصدقه تحسينا للظن به من غير تفكر في خلق السموات
والارض وعلى هذا فان قلنا بجواز اجتهاده عليه السلام في الاحكام
جاز ان يسمى قبول قوله تقليدا وعلى منعه في حقه عليه السلام وانه انما
يقولها عن وحي فلا يسمى قبول قوله عليه السلام تقليدا والمراد ان
من طالع هذه الجملة المخصوصة علم حكم التقليد في قواعد اي عقايد
التوحيد اي مسايله التي تذكر لتعتقد كحدوث العالم ووجود الباري
سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه من الصفات وغير ذلك مما سياتي
فقولنا ما يجب له كالعلم والقدرة وقولنا يمتنع عليه كالجسمية والحلول
وقولنا من الصفات يعني الثبوتية وهي التي يجب ثبوتها لله تعالى و
السلبية وهي التي يجب سلبها عنه سبحانه والقاعدة لغة الاساس
قد انكر البعض كابي هاشم الجبائي من المعتزلة تقليدا في العقايد الدينية
لقوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا بلا نظر صحيح يوصل الى معرفة
الله تعالى ومعرفة رسوله عليه السلام بل النظر الموصل الى المعرفة
واجب لتوقف المعرفة الواجبة الغير الضرورية عليه مع كونه
مقدورا للمكلف وكل ما كان كذلك فهو واجب لقوله تعالى قل انظروا
ماذا في السموات وفسر النظر بقوله ولا دليل على مسايل التوحيد
لم يعقل اي لم يتعلم المقلد مستندا اليه ولا ايمان لمن لا دليل له بل هو
كافر لان ضد المعرفة النكرة والنكرة كفر واصحابنا الاشاعرة مجمعون
على خلافه كانهم اتفقوا على صحة ايمانه وليس للجمهور الا القول
بعصيانه بترك النظر ان قدر عليه كما حكاه الامدي وجزم به المحلي
وقال ابو منصور الماتريدي اجمع اصحابنا على ان العوام مومنون

وقد انكر البعض تقليدا بلا نظر
ولا دليل على التوحيد لم يعقل

عارفون بربهم وانهم حسنوا الجنة كما جاءت به الاخبار وانعقد عليه
الاجماع لكن منهم من قال لابد من نظر عقلي في العقايد وقد حصل
لهم منه القدر الكافي فان فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه
وحدوث ما سواه من الموجودات وان عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح
المتكلمين والعلم بالعبارة علم زايد لايلزمهم وقيل اي وقال اهل السنة
والمعتزلة التقليد في العقايد الايمانية يكفي في حصول الايمان مع العصيان
بترك النظر فتجري عليه الاحكام الدينوية اتفاقا فينكح ويؤم وتوكل
ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم ويدفن في مقابرهم وفي الاحكام الاخروية
عند المحققين من اهل السنة فلا يخلد في النار ان دخلها ولا يعاقب فيها
على الكفر ومآله الى النجاة والجنة لقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم
لست مؤمنا ولقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل مسجدنا
واستقبل قبلتنا فهو مسلم وبعض الناس كالامام ابي الوليد محمد بن احمد
ابن رشد رجحه اي اختار هذا القيل قال والنظر مستحب لا واجب واليه
مال الغزالي وابن ابي جمرة وقيل اي وقال جماعة من اهل السنة
ايضا ان قلد ذو الفهم اي من فيه اهلية لفهم النظر الصحيح فهو عاص
بسبب انه غير ممتثل لما امر به من النظر الواجب عليه والمعصية ضد
الطاعة التي هي فعل المامور به واجتناب المنهي عنه امتثالا وقيل لا ان
قلد القران والسنة القطعية صح له ايمانه لتقليده الحق والا لم يصح ايمانه
لعدم امن الخطا على غير المعصوم لان مقلد الحق ضد الباطل ذو حق
اي صاحب ايمان واعتقاد حق مطابق للواقع والحق نسبة ما في الواقع
الى الشي والصدق نسبة الشي الى الواقع بلا هزل ضد الجد وقيل لا
يكفي التقليد في العقايد الدينية كما نقل عن الاشعري والقاضي والاستاذ
وامام الحرمين والجمهور وعزي لمالك وحكى الاجماع عليه بعضهم والمراد
بعدم الاكتفاء على هذا ان التقليد لا يسقط وجوب النظر عن صاحبه ويحتمل
ان يكون المراد لا يجزي كما نقله جماعة عن الاشعري ومن ذكر معه

قالوا

قالوا بل يجب النظر لان المطلوب في اصول الدين اليقين ولا يقين مع التقليد
قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وقد علم ذلك
وقال تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وبقياس غير الوحدانية عليها وانما كان
التقليد غير كاف او غير جايز اذ يرى هذا اي صاحب هذا القيل توقفه
اي ما كلفنا به من معرفته سبحانه ومعرفة رسله عليهم السلام على الدلالة
بالتصديق للرسل عليهم الصلاة والسلام في كل ما جاءوا به خصوصا نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم عليه وعليهم والتصديق انما يكون عن العلم ولا علم عند
المقلد ولا معرفة اذ العلم والمعرفة بمعنى الجزم الذي لا يحتمل النقيض بوجه
من الوجوه والعقد التقليدي يحتمل النقيض والتزلزل عند التشكيك والراجح
من الخلاف في التقليد حرمته للقادر على النظر ووجوب النظر عليه خلافا
لمن جوز النظر ومن حرمه وقد اتفقوا على صحة ايمان المقلد وان كان
عاصيا بترك النظر على القول بوجوبه والله تعالى اعلم ثم الخلاف المذكور
في التقليد ليس على اطلاقه بل محله اذا ما صلة لم يكن المقلد يتقفى
اي يتبع مقلده بفتح اللام اي الذي اخذ بقوله مهما بكل الماخوذ بقوله على
المقلد له الاخذ بقوله ويرجع برجوعه ولو الى الكفر الصريح فهذا ليس
من محل الخلاف في شي بل هم متفقون على عدم صحة ايمانه والغالب
من حال المقلد المحض رجوعه برجوع من قلده وثباته بثباته فهذا
ليس عنده الا التردد والمطلوب في العقايد الايمانية القطع والجزم المطابق
للواقع لان من ركن الى التقليد وكان سليم الحاسة التي يتوقف عليها علم
ما كلف به كالسمع والبصر مع العقل لم تكن قطعا عقيدته اي معتقده
فهو على شفا جانب جرف وهو ما يجرف بالسيول من الاودية هار اي
ساقط من اي لاجل الخلل اي الاضطراب وعدم الثبات يعني ان صاحب
هذا الاعتقاد المزلزل الذي لا ثبات معه هو في الدنيا على طرف من
الايمان وشفا جرف الكفر اذ لا يامن ان يقع فيه بل هو واقع فيه لا محالة
للاتفاق على عدم صحة ايمانه فاذا مات على هذه الحالة انهار به

في نار جهنم ليعذبه فيه على الكفر عذابا مخلدا بخلاف من تأمل دلايل
التوحيد من افتقاره كل حين الى فضل ربه عز وجل من صحته
وسقمه ونحوهما فان عقيدته قطعية فلا يخلد في النار ان دخلها ولا
يعاقب بينها على الكفر ومآله الى النجاة والجنة وقولنا سليم
الحاسة لان من خلق اعمى اصم سقط عنه التكليف والنظر لتعذر
وصول الدعوة اليه وليس الخلاف في الذين نشأوا في دار الاسلام من
الامصار والقرى والصحارى وتواتر عندهم حال النبي صلى الله عليه وسلم
وما اتى به من المعجزات ولا في الذين يتفكرون في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار فانهم كلهم من اهل النظر والاستدلال بل في من
نشأ على شاهق جبل مثلا ولم يتفكر في ملكوت السموات والارض فاخبره
انسان غير معصوم بما يفترض عليه اعتقاده فصدقه بما اخبره بمجرد
اخباره من غير تفكر ولا تدبر ثم الخلاف في ايمان المقلد انما هو بالنظر
الى احكام الاخرة وفيما عند الله تعالى واما بالنظر الى احكام الدنيا فالايمان
الكافي فيها هو اتيان بما يدل على الاقرار وهو الشهادتان مع الاخبار فمن
اقر اجريت عليه الاحكام الاسلامية في الدين ولم يحكم عليه بكفر الا اذا
اقترن به قيد فيدل على كفره كالسجود للصنم ونحوه والعقيدة لغة الكريمة
من كل شيء وعرفا ما دعاه القلب وجزم به وارتبط عليه كما قال البقاعي
فتشمله عقيدة المقلد وغيره فهو اولى من قول شيخ الاسلام انها التفسير
للمعقول الذي لا يعارض لعدم انطباقه على عقيدة المقلد بنا على صحة
ايمانه كما هو الحق الذي يحل اعتقاد غيره كما جنح شيخنا رحمه الله
تعالى وانما طلب القطع في التوحيد لشرفه **لان توحيدنا** الشرعي الحاصل
عن الدليل ولو الاجمالي قال امام الحرمين رحمه الله تعالى من قطع
بوجود الصانع واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد انتهى
اليه فكره فهو مشبه **اصل** اي سبب **النجاة** اي التخلص **غدا** يعني يوم
القيامة من العذاب المخلد المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد هذا عندنا

لان توحيدنا اصل النجاة غدا
وعند من قد مضى من سائر الملل

وان اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان اطمأن الى موجود مح

وعند

وعند من قد مضى اي ذهب **من** اهل **سائر** اي جميع وفي نسخة من
مسلمي **الملل** جمع ملة وهي الدين وقيل معظمه فلا نجاة بدون التوحيد ولذا
لم يبعث الله نبيا الا بيانه لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وهو افضل شعب الايمان المتعين
على كل احد ولا يصلح شيء من الشعب الا بعد صحته ولذا كان اول مفروض
بين له صلى الله عليه وسلم واوجب عليه وحيث كان التوحيد اصلا
للنجاة **فلا يليق بنا** معاشر المكلفين **الا اليقين به** لان اليقين هو الذي
تنجلي به الشبهات وفي حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول سلوا الله اليقين والمعافاة فما اوتي احد
بعد اليقين خيرا من العافية خرجه الامام احمد في مسنده قال ابن القيم
رحمه الله تعالى فجمع بين عافيتي الدين والدنيا ولا يتم صلاح العبد في
الدارين الا باليقين والعافية فاليقين يدفع عقوبات الاخرة والعافية
تدفع عنه امراض الدنيا في قلبه وبدنه وعن ابن مسعود اليقين هو
الايمان كله اذا كان **على سبيل** اي طريق هو **الهدى** اي موصل للمطلوب
وهو النجاة الابدية والطريق الموصل اليها هو الجزم المطابق للواقع
الخالي عن الشك والتردد وهو سبيله صلى الله عليه وسلم وسبيل من
اتبعه لقوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن
اتبعني والبصيرة التبصر والاستدلال واليقين كما قال بعضهم راجع الى توالي
العلم بالمعلوم حتى يغلب على القلب كالعلم الضروري وسببه النظر في
المصنوعات الدال على الصانع وكمال صفاته وهذا يقال له يقين دلالة
وهو ما حصل بالنظر الدال على حدوث العالم وقدم محدثه ويقال للعلم
الحاصل عن خبر الانبيا بما غاب عن المشاهدة من الجنة والنار ونحوها
يقين خبرة والعلم الذي يخلقه الله تعالى في قلوب انبيايه واوليايه
يقال له يقين مشاهدة **لا غير** اليقين يليق بنا **من سبل** اخرى كالظن
والاعتقاد الغير الجازم فانه لا يكون به نجاة وقوله تعالى وما كان لي

فلا يليق بنا الا اليقين به
على سبيل الهدى كغيره من سبل

مطلب اقسام اليقين

فنسأل الله فيضا من هدايته
من لم ينله الهدى لم ينج من زلل

عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فيه انهم ابتعوا الشيطان بمجرد
دعواه ولم يطلبوا منه برهان فحكاه الله سبحانه تقبيحا لذلك الفعل منهم
والله تعالى اعلم فنسأل الله اي ندعوه ونطلب منه لانه القادر على كل
شيء ان يعطينا فيضا اي متسعا وكثيرا من هدايته اي ما يكون سببا عاديا
للنجاة من الزلل فان من اي كل مكلف لم ينله اي يشمله الهدى ازلا بان
لم يقدر له لم ينج اي بقدرته ولا بنظره من زلل اي الخطا في النظر اللازم
منه الخطا في العقيدة واضافة الهداية اليه سبحانه لانها مخلوقة له كالضلال
اذ لا خالق الا هو فليست بيد العبد كما يقوله المعتزلة قالوا ولو خلق سبحانه
الهدى والضلال لما اتجه منه المدح والثواب للعاصين والذم والعقاب للطايعين
ومنه يعلم ايضا بطلان ما ذهب اليه المعتزلة ان النظر الصحيح هو الذي
ولد العلم والناظر هو الذي حصله بقدرته الحادثة فالعباد قادرون على
نيل الهداية بانفسهم وبطلان ما ذهب اليه الفلاسفة ايضا ان النظر موجب
للعلم اي انه علة في حصوله على سبيل الاستقلال والله تعالى اعلم

فصل

فصل في اول الواجبات الاستدلال بالنظر في المخلوقات

في تعيين اول الواجبات على المكلف والواجب ما يثاب على فعله ويعاقب على
تركه وكيفية الاستدلال بالنظر اي التفكر في احوال المخلوقين المخرجة
من العدم الى الوجود فان احوالها يستدل بها على وجوب وجود الصانع
وصفاته فانها متبدلة متغيرة وخارجة من العدم الى الوجود ومن
الوجود الى العدم وذلك دليل الحدوث والافتقار الى صانع حكيم واجب
الوجود عام العلم تام القدرة والارادة من واجب على المكلف اولا اي
متقدما قصد المراد منه تفريغ القلب عن الشواغل لانه مقدمة الى النظر
يودي الى معرفته وجوده سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه لانها مبنى
ساير الواجبات اذ لا يصح بدونها واجب بل ولا مندوب لان الاتيان بالمامور
به امتثالا والانكفاف عن المنهي عنه انزجارا لا يمكن الا بعد معرفة الامر
والناهي فالقصد واجب لانه وسيلة الى النظر والنظر كذلك لانه وسيلة
الى المعرفة والمعرفة واجبة لذاتها لانها المقصودة وذهب العنبري وتبعه

من واجب اولا قصد الى نظر
صحيح معنى بلا نقص ولا خلل

القشيري

القشيري وابن رشد والغزالي واخرون الى ان النظر جايز وشرط كمال للايمان
وحرمه جماعة قالوا لانه مظنة الوقوع في الشبه والضلال ولم يقع خلاف
بين المسلمين في وجوب معرفة الله سبحانه وتعالى ولا في وجوب النظر الموصل
اليها بقدر الطاقة البشرية كما يفهم من قوله اولا وقيد النظر بقوله صحيح
معنى لانه الموصل الى المطلوب وهو المطابق للواقع كاعتقاد المقلد سنية
الضحى وفاسد المعنى الذي لم يطابقه الواقع كاعتقاد الفلسفي قدم العالم لا
يوصل الى المطلوب والمعنى لغة المقصود وعرفا ما يراد من اللفظ بالفعل
اي ما يقصد منه بلا نقص كما اذا كان الناظر غير عاقل او غافلا او نايما
او جاهلا ولا خلل هو عدم اتقان الشيء والحاصل انه يشترط للنظر مطلقا
اي صحيحا كان او فاسدا الحياة والعقل وعدم النوم وعدم الغفلة وعدم
العلم بالمطلوب اذ لا طلب مع الحصول وعدم الجهل المركب بالمطلوب بان لا يكون
جازما بنقيضه لان ذلك يمنعه من الاقدام على الطلب والاربعة الاول شروط
في العلم ايضا ويزاد الصحيح النظر ان يكون نظرا في دليل لا في شبهة وان يكون
النظر فيه من وجه دلالته وهو بواسطته ينتقل الذهن من الدليل الى
المدلول واشار الى وجوب النظر بقوله فانظر في المخلوقات والمصنوعات
لتستدل بها على صانعها والنظر لغة الابصار والفكر في حال الشيء بقصد
العلم وعرفا ترتيب امور معلومة ليتوصل بها الى ترتيبها الى مجهول
اي الى علمه كترتيب المقدمة الصغرى مع الكبرى في قولنا العالم متغير و
كل متغير حادث فانه موصل للعلم بحدوث العالم المجهول قبل ذلك الترتيب
وعرفه شيخ الاسلام بانه فكر يودي الى علم او اعتقاد او ظن والاعتقاد
هو الحكم الجازم القابل للتغير فان طابق الواقع كان صحيحا وان لم يطابقه
كان فاسدا ان وفي نسخة اذ كنت ذا اي صاحب عقل قال تعالى ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به والعقل لغة المنع لمنعه
صاحبه من العدول عن سواء السبيل واقوال اهل السنة متطابقة على
عرضيته وجلها انه من قبيل العلوم فهو كما قال شيخ الاسلام غريزة

فانظر ان كنت ذا عقل وتبصرة
فهل ترى غير خلق الواحد الازلي

يتهيأ بها الدرك العلوم النظرية وكانه نور يتقذف في القلب انتهى **وَتَبْصِرَةً** اي تامل تتبصر به مالم تكن تعلمه **فَهَلْ تَرَى** اي تشاهد ببصرك في الكاينات جميعا **غَيْرَ خَلْقِ** اي مخلوق **الْوَاحِدِ** اي الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه اخر **الْأَزَلِي** اي الذي لا اول له فهو القديم فكل ما تشاهده من الكاينات يدلك على مطلوبك انه فعله سبحانه من غير واسطة لا اثر لما سواه في شيء منها فاذا استدللت بالعالم على الصانع بان نظرت في العالم وحصلت من احواله قضيتين احداهما العالم حادث والاخرى كل حادث فله صانع ثم رتبتهما هكذا لتعلم من ترتيبهما ان العالم له صانع كان العالم هو الدليل عند المتكلمين لانهم عرفوا الدليل بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بالمطلوب وثبوت الصانع مدلول الدليل وكون العالم بحيث يفيد النظر فيه العلم بثبوت الصانع هو الدلالة وامكان العالم او حدوثه الذي هو سبب احتياجه الى المؤثر هو وجه الدلالة وهذه الامور الاربعة متغايرة بمعنى ان المفهوم من كل منها غير المفهوم من الاخر فتكون العلوم المتعلقة بها متغايرة بحسب الاضافة كذا قرره شيخنا رحمه الله تعالى **كَمْ آيَةٍ** اي ايات كثيرة والاية لغة العلامة وعرفا طايفة من القرآن **فِي كِتَابِ اللَّهِ** المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **تُرْشِدُنَا** اي تدلنا **لِلْفِكْرِ** اي على التامل **فِي خَلْقِهِ** اي مخلوقه سبحانه كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وانما امرنا بالفكر فيها والاستدلال بها لانها لا تصدر الا عن حي قيوم قادر غني عن العالمين حتى يكون الايمان مستندا الى اليقين الذي هو اصل النجاة لا الى التقليد **طُوبَى** اي الجنة وقيل شجرة فيها **لِمُمْتَثِلِ** اطاع بالتدبر في اياته سبحانه والتفكر في مصنوعاته للاستدلال والاعتبار يشير به الى قوله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الاية المذكورة ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها ولو لم يكن للنظر منفعة تترتب عليه لما امر به سبحانه في قوله تعالى قد جاءكم بصاير من ربكم اي ايات يستدل بها فمن ابصر فلنفسه اي فمن استدل فقد نفع نفسه ومن عمي عليها اي لم يستدل او صار بمنزلة الاعمى فعليها

كَمْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تُرْشِدُنَا
لِلْفِكْرِ فِي خَلْقِهِ طُوبَى لِمُمْتَثِلِ

اي

ـــــــــــ

تأمل ايها المؤمن خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من اعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالاجسام الثقيلة ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والارض ان تزولا ثم تامل استوائها واعتدالها ...

اي فعلى نفسه يعود ضرر عماه ويكفي في ذم تارك النظر توعده بانه يحشر يوم القيامة اعمى واندا اذا قال رب لما حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال الله سبحانه وتعالى في جوابه كذلك اتتك اياتنا فنسيتها والمعتبر النظر على طريق العامة كما اجاب به الاعرابي الاصمعي عن سواله بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير واثر الاقدام على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحر ذو امواج الا تدل على اللطيف الخبير اما النظر على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها ففرض كفاية في حق المتاهلين له يكفي قيام بعضهم به اما غيرهم ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه والضلال فليس له الخوض فيه وهذا محمل نهي الشافعي وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام **فَبَعْضُهَا** اي الايات **قَدْ أَتَتْ** عنه سبحانه وتعالى بواسطته عليه الصلاة والسلام **فِي اللَّفْظِ** وهو ما دل على المعنى **مُجْمَلَةً** اي غير مبينة اذ المجمل عرفا ما لم تتضح دلالته او ما لا يعرف معناه الا بقرينة كاشفة كقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء **وَبَعْضُهَا** اي الايات **بَيَّنَتْ إِجْمَالَ مُحْتَمِلِ** تلك الايات المجملة فيرد مجملها الى مبينها كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وعند ابن ابي الدنيا من حديث عامر بن عبد قيس سمعت غير واحد من الصحابة يقولون ان ضياء الايمان او نور الايمان التفكر قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى فعلى هذا يعد من شعب الايمان فاذا اردت الفوز بالايمان والنجاة من العذاب المخلد **فَانْظُرْ لِخِلْقَتِهِ** اي في ايجاده وابداعه السموات **السَّبْعَ الطِّبَاقَ** التي جعل بعضها فوق بعض قال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا هو الذي يجب ان يعبد وقال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها اي رفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما لها من فروج جمع فرج وهو الشق وقال الكسائي ليس بينها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق

فَبَعْضُهَا قَدْ أَتَتْ فِي اللَّفْظِ مُجْمَلَةً
وَبَعْضُهَا بَيَّنَتْ إِجْمَالَ مُحْتَمِلِ

فَانْظُرْ لِخِلْقَتِهِ السَّبْعَ الطِّبَاقَ وَفِي
عَوَالِمِ الْأَرْضِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلِ

والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل نوع
من النبات بهيج اي حسن يسر الناظرين تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة اي
تنبيها على قدرتنا وذكري لكل عبد منيب راجع الى الله مفكر في قدرته
ومذهب اهل الحق انهن متفاصلات بين كل واحدة والتي تليها مسيرة
خمسماية عام كما ياتي التصريح به خلافا لاهل الهيئة في تراكمها وفي عوالم الارض
وهي الجرم المقابل للسما اي وانظر في الارض وفي انواعها واجناسها فانها
مختلفة وان كانت من التراب والراجح ان الارضين منفتقة بين كل واحدة
والتي تليها خمسماية عام ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان الله سبحانه
كان عرشه على الما لم يخلق شيا غير ما خلق من قبل الما ثم اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما فسما عليه
فسماه سما ثم ايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين
الحديث الاتي وقوله فجعلها سبع ارضين موافقة لقوله تعالى ومن الارض
مثلهن وفي حديث ابن مسعود ايضا ما بين السما والارض مسيرة خمسماية
عام وما بين كل سمائين خمسماية عام وبصر كل سما وارض يعني غلظ
ذلك مسيرة خمسماية وما بين السما السابعة الى الكرسي مسيرة خمسماية
عام وما بين الكرسي والما مسيرة خمسماية عام والعرش على الما والله
فوق العرش يعلم ما انتم عليه من سهل ضد الحزن بيان لعوالم الارض
ومن جبل كان ابو قبيس اول جبل وضع في الارض لحكمة ياتي ذكرها
وهو الجبل المشرف على الصفا سمي برجل من مذحج كان يكنى ابا قبيس
لانه اول من بنا فيه وكان يسمى في الجاهلية الامين لان الركن كان
مستودعا فيه عام الطوفان إذ قال سبحانه فأمره بقول لا حرف فيه
ولا صوت ويحتمل تعلق القدرة بذلك والجمهور على انه سبحانه قال
لهما اي للسموات والارض بعد خلق الادراك فيهما ان أئتيا بما خلقت
فيكما من المنافع والمصالح واخرجاه لخلقي فقال للسما اطلعي ما خلقت فيك
فاطلعي شمسك وقمرك وكواكبك واجري رياحك وسحابك طايعة او كارهة
وقال للارض شقي انهارك واخرجي شجرك وثمرك طايعة او كارهة

إذ قال سبحانه فأمره لهما أن ائتيا أتتا في الحين عن عجل

ايتيا

أتتا في الحين اي في وقت الخطاب وقالتا اتينا طايعين عن عجل اي من
غير بطء فكان موضع الكعبة اول ما نطق من الارض ونطق من السما
ما يقابلها وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب لو ان السموات والارض
حين قلت لهما ايتيا طوعا او كرها عصتا ما كنت صانعا بهما قال كنت امر
دابة من دوابي فتبلعهما قال يا رب واين تلك الدابة قال في مرج من
مروجي قال يا رب واين ذلك المرج قال في علمي فافهم ايها الناظر مضمن
اي ما اشتمل عليه باتيها اي الاية التي فيها اسناد الامر للسموات والارض
وهو قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا والاستفهام فيه للتوبيخ والتعجب من فعلهم اي لم تكفرون بانه
سبحانه وهو خالق السموات والارض في يومين وكن فطنا اي متيقظا لما اتقنا
اي دل عليه خطاب الله اي كلامه النفسي المدلول عليه باللفظ ولا تكن غافلا
عما دلت الاية عليه من وجوب وجوده سبحانه واتصافه بالقدرة التامة
والارادة النافذة في جميع الممكنات وعلمه الشامل لجميع المعلومات وتنزهه
عن الشريك لما يلزم على وجود الشريك من الفساد وتعطيل الوجود وامتثل
امره سبحانه بالفكر والنظر في مخلوقاته لقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شيء فانك اذا امتثلت امره سبحانه
بالنظر في ملكوت السموات والارض وجدتهما قد امسكا اي حبسا بقدرته
سبحانه في جو اذ دون ما اي من غير عمد يرفع عليها الجرم الثقيل خوف
سقوطه لو بقي وحده قال تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
على هذا جماعة والذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما انها لها عمد
على جبل ق ولكنها لا ترى ويحتمل ان يكون المراد بالعمد على هذا قدرته
العلية التي يمسك بها السموات والارض وهي غير مرئية لاحد كما اتى
ذاك اي الامساك مصرحا به في الذكر الحكيم اي القران المحكم في نظمه ومعناه
فلا يلحقه خلل ولا يعتريه بطلان ولا تناقض تلي اي الامساك كقوله
تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية وقد اختلف في



تقف على
السموات خلقت اولا ام الارض

الارض والسما ايتهما خلق اولا على قولين فعن ابن عباس خلق الله
عز وجل الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السما ثم دحا الارض
بعد ذلك ولما خلق الله سبحانه الارض على وجه الما جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقرة على ظهرها احدا فاوحى الله الى جبريل عليه السلام
ان يثبتها فنزل اليها فامسكها فغلبته الرياح فقال يا رب انت اعلم لقد غلبت
فيها فاصبحت صُبحها وقد ارسى الجبال اي اثبتها بها اي في الارض وجعلها
اوتادا لها كي لا اي لئلا تميد اي تميل بنا وتضطرب قال تعالى والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم تحبسها عن التحريك عند ارسال الجبال فيها من غير ان
يكون ارساؤها هو المؤثر في الحقيقة انما هو منسوب للقدرة والارادة الازليتين
وانما ارسيت الجبال بالارض لانها في الهوا وما كان الاجرام الثقيلة موضوعا
في الهوا من غير عمد يمسكه متى اي اي زمان لم يحتبس من التحرك بحسب العادة
يقل اي يسقط واذا اردت زيادة التبصر فاعجب لقدرة مولانا اي ناصرنا التي
بهرت كل ممكن وغلبته فاثرت فيه على وفق ما اراد سبحانه كان ذلك الممكن
موافقا للعادة او خارجا عنها اذ زاد ما كان موضوعا في الهوى كالارض
ثقلا بالجبال على ثقل نفسها وذلك يستلزم زيادة السفل فان العادة
تقتضي ان يكون اضطراب الارض وسرعة نزولها الى الاسفل عند وضع الجبال
فكما تعلقت القدرة باضطراب الارض مع قلة ثقلها تعلقت باستقرارها عند
ارسا الجبال بها وكان خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام على مثال
ايامنا هذه وكان ابتدا ذلك السبت لحديث ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله عز وجل التربة
يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين
وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة
من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وخلق النجوم والشمس والقمر
والملائكة يوم الجمعة الى ثلاث ساعات منه وهذه الايام كايام الدنيا

ارسى الجبال بها كي لا تميد بنا
ما في الهوى متى لم يحتبس يقل

الباء في بها ظرفية بمعنى في والضمير عائد على الارض ومعنى ارسى الجبال في الارض خلقها فيها ثابتة متمكنة راسخة اهـ

فاعجب لقدرة مولانا التي بهرت
اذ زاد ما في الهوى ثقلا على ثقل

ما في قوله ما في الهوى موصول اسمي واقع على الارض والثقل المزيد هو ثقل الجبال التي وضعت فوقها والثقل الاخر المزيد اليه ثقلها في نفسها اهـ سنوسي

على ما قاله ابن الجوزي وصرح به الحسن ثم اشار الى وجه الاعتبار بالمخلوقات
بقوله فيها اي في الارض من جنس الخلق اي المخلوقات انواع منوعة اي
مختلفة كل نوع منها اصناف مختلفة كتنويع الحيوان مثلا الى انسان مفكر
وفرس صاهل وحمار ناهق وطاير وغير ذلك وتنويع الانسان الى الوان
مختلفة البياض والسواد والحمرة والالسنة واللغات العربية والعجمية و
الامزجة فلا ترى احدا الا وانت تعرف بينه وبين الاخر ما لا يحيط
بها اي بتلك الانواع وصف اي اخبار لمشتمل اي جامع لا يحيط بجميعها
الا خالقها سبحانه وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله
سبعة عشر نوعا من الخلق السموات السبع والارضون السبع وما بينها عالم
واحد من ذلك في البر والبحر من تلك الانواع الف عالم واحد منه متفرقة
فيهما بل قد زاد البحر ستماية على البر في عدد انواع الحيوانات لما
ورد ان انواع حيوانات البحر ستماية اذا خرج منها شي الى البر لا يعيش
فيه ما البر اي ليس البر منه اي من النوع الذي في البحر على شي متعلق
بمشتمل الواقع خبر الما فان انواع حيوانات البر اربعماية اذا دخل شي
منها الى البحر لا يعيش فيه وعن وهب ابن منبه ان لله تعالى ثمانية
عشر الف عالم الدنيا من ذلك عالم واحد وقال ابو العالية الجن عالم
والانس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر الف عالم من الملائكة على الارض
والارض اربع زوايا في كل زاوية منها اربعة الاف وخمسماية عالم خلقهم
الله تعالى لعبادته وقال قتادة الارض عشرون الف فرسخ اثنا عشر
الفا عمران والباقي خراب وقال ابو الجلد الارض اربعة وعشرون الف
فرسخ اثنا عشر الف للسودان وثمانية الاف للروم وثلاثة الاف لفارس
والف للعرب تقدر اقوات اي ارزاق ومعايش كل الخلق العاقل وغيره قدرها
اي الارض فقدر فيها لقوله تعالى وقدر فيها اقواتها اي اقوات اهلها
ما يصلح بهم من نبات وحبوب وشجر وماء وغير ذلك مما لا يعلمه
الا هو سبحانه مدبر الخلق اي مصرفهم على ما يريد ومدبر الارزاق

فيها من الخلق انواع منوعة
لا يحيط بها وصف لمشتمل

في البر والبحر بل قد زاد في عدد
ما البر منه على شيء بمشتمل

قوله في البر والبحر هو بدل من المجرور الاول وهو فيها وقوله بل قد زاد في عدد الضمير يعود على البحر يعني ان المخلوقات التي اودع سبحانه في البحر تزيد على ما في البر بانواع كثيرة لا تنحصر اهـ

تقدر اقوات كل الخلق قدرها
مدبر الخلق والارزاق والاجل

جمع رزق وهو ما انتفع به و مدبر الاجل وهو مدة الحياة بذلك بارك
فيها اي كثر خيرها بما خلق فيها من المنافع فاحتوت اي جمعت بعضها
من النبات والشجر والمياه والمساكن حتى ياخذ كل نوع من المخلوقات
قسطه من الاقوات فلا يقع تزاحم على نوع واحد من القوة وغيره
كان تقدير تلك النعم وايجادها فضلا من الله اي كرما واعطا عن
اختيار لا عن ايجاب ولا وجوب جل الله اي عظم وتنزه عن مثل اي عن
ان يكون له مماثل وشريك كذا السموات السبع من سما اذا علا لانه سبحانه
لما اراد ان يخلق الخلق خلق الما فثار منه دخان فبنا منه السموات و
تمت وما بينهن في اربعة ايام لا تخفى عجايبها اي محاسنها على المتامل بل
هي ظاهرة يكفيك ظاهرها اي ما ظهر منها بالمشاهدة عند النظر للاعتبار
لدلالته على باطنها عن غيبها وما بطن منها انعزل اي اترك الخوض فيه
اذ لا طريق الى معرفته من خمس عام بلا تنوين اي سنة قيل لها عام لان
الشمس عامت فيها حتى قطعت جملة الفلك غلظا بسكون اللام مع التنوين
اي سمك وثخن كل واحدة منها كذا في الاصل الواقع لنا وفي نسخة من
خمسماية عام كل واحدة باسقاط لفظ غلظ والمعنى عليه وقوله مايته
بوزن غاية والله اعلم كذا ارتفاع اي مقدار مسافة سموك اي ارتفاع
الكل اي كل السموات لا تخل اي لا تستبعد لشمول القدرة وصلاحيتها له وقد
اخبر بذلك الصادق صلوات الله وسلامه عليه ففي حديث العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنه كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبطحا فمرت سحابة فقال اتدرون ما هذا قلنا السحاب قال والمزن
قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السما والارض
قلنا الله ورسوله قال بينهما مسيرة خمسماية سنة وكثف كل سما خمسماية
سنة وفوق السما السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السما والارض
ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض
والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شي قال العلما

وكذلك

وكذلك الارضون السبع في كثافتها وبعد ما بين الواحدة والاخرى فذلك
مسيرة اربعة عشر الف سنة سوى ما تحت الارض من الظلمة والنور
وما فوق السموات من الحجب والظلمة الى العرش وهذا على قدر سير الادمي
الضعيف فاما الملك فانه يخرق ذلك في ساعة وقد سال ابن الكوا علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه عن مسافة ذلك فقال دعوة عبد صالح والشمس
في السما الرابعة تجري صيفا وشتا من المشرق الى المغرب تطلع كل سنة
في ثلثماية وستين كوة كل يوم في كوة فلا ترجع الى تلك الكوة الا في ذلك
اليوم من العام المقبل كجري اي القمر وليلة البدر ليلة اربع عشرة وسمي
بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب ويقال سمي بدرا لتمامه
وامتلائه وكل شي تم فهو بدر والهلال اول ليلة ثم الثانية والثالثة ثم
هو قمر بعد ذلك الى اخر الشهر في فلك فهما يدوران في ابواب السما كما تدور
الفلكة في المغزل على ما قاله ابن عباس في قوله تعالى كل في فلك يسبحون
وقال الحسن اذا غربت الشمس دارت في فلك السما مما يلي دبر القبلة حتى
ترجع الى المشرق الذي تطلع منه وتجري في السما من مشرقها كذلك في
مسخرة في فلكها وكذلك القمر على التعاقب في الاوقات المختصة بكل منهما
فالنهار للشمس لا تطلع ولا ترى الا فيه فاذا ذهب وقتها عقبه وقت
القمر وهو الليل فلا يطلع ولا يرى الا فيه والدول جمع دولة كالصيف والشتا
والربيع والخريف وفي حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
ابرم الله خلقه فلم يبق غير ادم خلق شمسين من نور عرشه فاما ما
كان في سابق علمه ان يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس في
الضوء ولو تركهما شمسين لم يعرف الليل من النهار ولكان الصايم لا يدري
الى متى يصوم فارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر
فمحى منه الضوء وبقي فيه النور وخلق للشمس عجلة لها ثلاثماية وستون
عروة ووكل بها ثلاثماية وستين ملكا قد تعلق كل ملك بعروة فاذا
اراد ان يرى العباد اية الليل جرت الشمس عن عجلتها فوقعت في بحر

البدر صح
قوله تجري البدر في فلك
الظاهر انه اراد به التشبيه
بينهما في الحركتين والجامع
بينهما الاتحاد في المنازل
والبروج والجهة وان
اختلفا بالبطء والسرعة
والمحل واحكام اخرى

الى مغربها ثم ترجع الى الافق
مما يلي دبر القبلة الى
مشرقها صح

على
تقف
ان الله خلق شمسين
فجعل احدهما قمرا

اعلم صح

في بحر وتسجد الشمس تحت العرش بمقدار الليل ثم تومر بالطلوع فاذا دنت القيامة خسفت الشمس ثم يتبعها القمر ثم يطلعان من المغرب ثم يعودان الى ما خلقا منه وفي حديث ابي امامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالشمس سبعة املاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما اتت على شي الا احرقته تجري الشمس دائبا اي اعادة مع الاصباح وهو اول النهار مشرقة اي مضيئة والبدر اي القمر يتلوا اي يتبع في طلوعه وظهور سلطانه غروب الضوء اي الشمس في العين الحماة الكثيرة الحماة وهي الطينة السودا الشديدة الحرارة اي سرعة من غير تراخ فبالشمس تعرف الليالي والايام والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا اي ذات ضيا والقمر نورا اي ذات نور وانما سمي القمر قمرا لبياضه ثم الشمس تبرز بالنهار لانتفاع البصر وتستتر بالليل لسكون الخلق وتظهر بالنهار لمعاشهم وتارة تبعد ليرطب الجو وينطبخ الثمر وانما قل ضوء القمر لقلة الاحتياج الى النور وقت النوم وفي النجوم حكم ومنافع منها اهتداء الناس برا وبحرا في الطرق المختلفة قال تعالى وبالنجم هم يهتدون ثم زينتها اي زينة السما قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح واعظم الكواكب الثابتة الخمسة عشر النيرة مثل الشعرى والسماك وقلب الاسد وجرم كل كوكب منها اعظم من الارض باربعة وتسعين مرة ونصف والله اعلم مع تفكر في مصنوعاته سبحانه بنور العقل الذي اودعه الله فيه لنيل السعادة الدينوية والاخروية والعقل انواع غريزي وهو لكل ادمي مومن وكافر وكسبي وهو ما يكتسبه المومن من معاشرة العقلا ويحصل للكافر ايضا وعطاي وهو عقل المومن الذي اهتدي به للايمان والرابع عقل الزهاد والخامس شرفي وهو عقل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اشرف العقول مع حفظها اي النجوم سارقا السمع من الشياطين ولو كان ذا حيل اي صاحب تحيل لا يمكنه الاستماع كان الشياطين يدخلون السموات لا يحجبون عنها فيلقون ما يسمعون

من

من الاخبار الى الكهنة فيحدثون الناس بالكلمة ويزيدون عليها اضعاف الشيء باطل فاذا اراد شيئا مما قالوه صدقوهم فيما جاوا به فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب قال تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا من اجل حفظ الاله سبحانه الوحي للرسل عن تخليط الشياطين حيث امروا بتبليغ الامم ليعملوا به بنا على ان الرمي بالشهب كان قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاصح لقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ويحتمل جعله من اطلاق الجمع مرادا به الواحد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعظيما لشانه بنا على ان الرمي بالشهب انما حدث بعد المبعث الشريف فكان من جملة اياته وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون من ان تزيد الشياطين فيه باطلا وتنقص منه حقا فلم يزل محفوظا حيث تولى الله حفظه ولما وكل حفظ غيره اليهم بدلوه وغيروه من ذا الذي لضروب اي انواع الخلق اي المخلوقات يعلمها اي ضروب المخلوقات على التفاصيل فيعلم حركاتها وسكناتها ومقاديرها وازمنتها وعدد قطرات البحار والامطار وعدد الجواهر الفردة من كل حيوان وكم يمر على كل واحد من الاوقات وما يتعاقب عليه من الاعراض في علو وهو ما ارتفع من الفلكيات من سماوات وكواكب وغيرها كالعرش والكرسي والجنة والملايكة ومستفل وهو ما نزل على الفلكيات الى النجوم من ارض وبحار وجبال وغيرها مما لا شعور لنا بنوعه ولا باسمه لا جملة ولا تفصيلا كل ذلك غايب عن علومنا الحادثة لا يعلمه على التفاصيل الا الاله المعبود فانه الذي بالخلق ابدعها اي اوجدها من غير مثال سابق ولا مادة سبحانه ذكر عظيم اختص به سبحانه لنفسه ورضيه واحب ان يقال له ومعناه التنزيه والبراة من كل نقص فهو سبحانه المختص بعلم مخلوقاته دائبا اي

وبالقمر تعرف السنون والاعوام قال تعالى جعلنا الليل

ان العقل انواع خمسة

باقيا في الصبح بكرة النهار واوله والاصل بضمتين جمع اصل وهو العشي
فاذا فكرت بنور عقلك في انواع المخلوقات وجدتها مشتملة على ما لا يصدر
اتقانه الا عمن يكون عالما قادرا مريدا حيا مختارا في فعله ولكنه متغير
متبدل متحيز متحرك او ساكن وهذه امارات سبق العدم ولحوقه لان ما
يستحيل عليه العدم لا تلحقه مثل هذه الامور فاذا اردت ان تاتي بقياس
مستنبط من نظرك في العالم على هذا الوجه لتتوصل به الى تيقن حدوثه
قلت العالم متغير لنفسه جايز عليه العدم وكل ما جاز عليه العدم
استحال عليه القدم فاذا ثبت الحدوث للعوالم فقد ثبت القدم والبقا
لصانعها وموجدها وعن سعيد بن المسيب بينما رجل واقف بالليل في
شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط
من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير وقوله تعالى في الحمد لله الذي خلق السموات و
الارض وفيه رد على الدهرية وقوله جعل الظلمات والنور فيه رد
على المجوس الذين زعموا ان الظلمة والنور هما المدبران وقوله ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فيه رد على مشركي العرب ومن دعا من دون الله
الها ثم الرياح جند الله الاعظم مسجونة بالارض الثانية كما في حديث ابن
عباس رضي الله عنهما وفيه ايضا الريح ثمان اربع منها رحمة واربع منها
عذاب فاما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات واما العذاب
فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر وقيل
مسكنها تحت اجنحة حملة العرش كما في حديث الاعرج جبال السحب جمع
سحابة لان السحابة مع الهوا مفعول سايقة اي تسوقها بامره سبحانه
الى بلد ميت وحيث شا قال تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد
ميت اي لا نبات به وقال تعالى الم تروا ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف
بينه الاية وفي حديث عبيد بن عمير يبعث الله المبشرة فتقم الارض
قما ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب فتجعله كسفا اي قطعا متفرقة

ثم

وفيه رد على مشركي العرب

ثم الرياح جبال السحب سايقة والرعد والبرق يغشي ناظر المقل

اسناد السوق اليها مجاز عقلي ...

ثم يبعث المولفة فتولف بينه فتجعله ركاما اي مجتمعا يركب بعضه
بعضا ثم يبعث اللواقح فتلحقه ثم قرا وارسلنا الرياح لواقح وفي لفظ
ثم يبعث الرابعة فتمطر والسحاب ثمر شجرة في الجنة فالسود منها هي التي
قد نضجت وهي التي تحمل المطر والبيضاء هي التي لم تنضج لا تحمل المطر والرعد
ملك يسمى به وقيل صوت ملك يزجر السحاب والبرق سوطه على ما
ذهب اليه اهل الحق وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود قالوا
يا رسول الله اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملايكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شا الله قالوا فما الصوت
الذي يسمع فيه قال زجره السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر قالوا
صدقت والمراد ان ضوء البرق يغشي اي يستر ويغطي ناظر اي الشخص المقل
جمع مقلة وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدقة وهي
السواد التي وسط العين وفيها الناظر والانسان قال تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار وقال تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فالخوف
للمسافر لانه يحذر اذاه والطمع للمقيم لانه يرجو منفعته وكان ابن الزبير
رضي الله عنهما اذا سمع صوت الرعد الهى عن حديثه وقال ان هذا وعيد
شديد لاهل الارض واين ما اي وكل مكان امرت السحب تنهل اي تصب
ماءها به اطاعت وذهبت اليه قال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من
بعد ما قنطوا وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه بينما
رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى
ذلك السحاب فافرغ ماءه في حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت
ذلك الما كله فتتبع ذلك الما فاذا رجل قايم في حديقته يحول الما بمسحاته
فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم سالتني عن اسمي قال اني سمعت صوتا في السحاب
الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع قال اما اذا
قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه واكل انا وعيالي
ثلثا وارد فيها ثلثه وفي رواية فاجعل ثلثه في المساكين والسايلين

وابن ما امرت السحب تنهل ...

با اسمك قال فلان للاسم الذي سمع من السحابة فقال يا عبد الله صح

وابن السبيل حاملة ثجاجا اي كثيرا واسعا يخرج من تحت العرش ينزل الى
السما الدنيا فتترب السحابة مثل الاسفنجة يسوقها الله عز وجل حيث
يشا وهنا هو الذي يكون عنده النبات ومنه ما يستفيد الغيم من البحر بالارض
فيعذبه الرعد والبرق وهذا لا يكون عنده نبات فهي تفيض اي تنصب الودق
اي المطر من خلل اي فرج لما في حديث كعب السحاب غربال المطر ولولا
السحاب حين ينزل من السما لافسد ما يقع عليه من الارض كي اي لاجل
ما تكون بها اي لما تفيضه تلك السحب من الما في الارض منفعة يوصلها الله
تعالى الى من يشا من خلقه كانبات الزرع واحيا الخلق قال تعالى وفي
السما رزقكم اي في المطر وكان الحسن اذا نظر الى السحاب قال فيه والله رزقكم
ولكنكم تحرمونه بذنوبكم وانما كان بها منفعة اذ اي لانها لم تفض ماها دفعة
واحدة فيها اي في الارض ولم تسل تفسير لما قبله قال تعالى وانزلنا من
المعصرات اي السحاب الذي يمسك الما ويعتصره اي يمطر منه شيا بعد شي
ما ثجاجا اي صبا متتابعا ليحصل الري ضد العطش في سهل وهو المنخفض
من الارض وفي جبل ضد السهل فهو المرتفع منها تحرك السحب جمع
سحابة ذاك الودق اي المطر اذا وقع عليها من السما القطرة كالبيض ثم
تسيل الى الارض في مهل لما في حديث الى المثنى ان الارض قالت رب روني
من الما ولا تنزله على منهمرا كما انزلته يوم الطوفان قال ساجعل لك
السحاب غربالا احيى الله به اي بذلك الودق الارض فاخرج نباتها في
كانت قبل ميتة لا نبات بها قال الله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه
لبلد ميت فاهتزت حين اصابها الما وتحركت جوانبها وتواجيها بالنبات و
انواع الحبوب والثمرات فاضحت الارض من صنوف وانواع الزهر الكثير
المتقارب بعضه من بعض كانها في حلل جمع حلة وهي برود اليمن
ولا تسمى حلة الا اذا كانت ثوبين من جنس واحد قال تعالى الم تر ان الله
انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة ثم يحتمل ان يكون المراد اصباح ليلة
المطر كما يرى بمكة ونهامة من عدم تاخر الاخضرار كما ذكره ابن عطية

وحكى

قوله فاضحت اي صارت كذا في شرح السنوسي

اعلم ايها المومن وتامل الحكمة في مقادير الليل والنهار تجد ها على غاية المصلحة والحكمة وان
مقدار اليوم والليلة لو زيد على ما قدر عليه او نقص لفاتت المصلحة واختلت
الحكمة بذلك بل جعل مكيالهما اربعة وعشرين ساعة وجعلا يتقارضان في
الزيادة والنقصان بينهما ما زيد في احدهما من الاخر يعود الاخر فيسترده منه
قال الله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وفيه قولان احدهما

وحكى القرطبي رحمه الله تعالى انه شاهد المطر نزل ليلا بسوس الاقصى
بعد قحط فاصبحت الارض التي نسفتها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف
رقيق ويحتمل انه كناية عن استعجالها اثر نزول الما بالنبات على ان
التعقيب في كل شي بحسبه والله تعالى اعلم اما الثمار اي ثمار الشجر فاصناف
متنوعة تفضل سبحانه وتعالى بايجادها مختلفة شكلا كالصغير والكبير والرطب
واليابس والبياض والسواد وطعما كالحلاوة والحموضة والرائحة مع كون
الما فيها والارض واحدة او متجاورة وانبساط الشمس والقمر على الجميع
على نسق واحد قال تعالى تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
كذا امر الحبوب اي شانها المختلف شكلا وطعما جلي اي ظاهر لا يخفى وانما كانت
الثمار والحبوب انواعا لانها الاصل بحسب العادة في اصل الحياة وحفظها في
الابدان الحيوانية فيتنا الكل واحد منها ما وجد السبيل اليه فقد لا يصل الى الجميع
ولا الى نوع دون اخر مع اختلاف الامزجة والطبايع فبعضها يصلح لنوع
دون غيره وفي فصل دون غيره الى ان يبلغ المومنا ذكرا كان او انثى منتهى
اي نهاية الاجل اي اجل تلك الحياة ومدتها المقدرة ازلا فان عرض الحياة
يستبدل بعرض الموت الذي يخلقه الله سبحانه ليحصل بواسطته الانتقال الى
دار السعادة او ضدها ويولج الليل خلاف النهار وهو من غروب الشمس الى
طلوع الفجر طورا اي مرة بادخال ما ينقص منه في النهار حتى يصير النهار
خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون والليل تسع ساعات وهو اقصر
ما يكون والنهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس كما قد قال تعالى يولج
اي النهار بادخال ما ينقص منه في الليل حتى يصير الليل خمسة عشر ساعة
وهو اطول ما يكون والنهار تسع ساعات وهو اقصر ما يكون هذا على
ما ذهب اليه ابن عباس رضي الله عنهما في طايفة وقيل المراد بالايلاج
تعاقب الليل والنهار بالبدل اي بمجي احدهما بعد الاخر لرحمته سبحانه بخلقه
حيث جعل الليل للسكون والراحة والنهار للسعي في طلب المعيشة قال تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقال تعالى

ان المعنى يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك وضياء هذا في مكان ظلمة الاخر فيدخل كل واحد منهما في موضع صاحبه وعلى هذا فهي عامة في كل الدنيا والقول الثاني انه يزيد في احدهما ما ينقصه من الاخر فما ينقص منه يلج في الاخر لا بغيب جملة وعلى هذا فالآية خاصة ببعض ساعات كل من الليل والنهار في غير زمن الاعتدال فهي خاصة في الزمان وفي مقدار ما يلج في احدهما من الاخر وهو في الاقاليم المعتدلة غاية ما تنتهي الزيادة خمس عشرة ساعة فيصير الاخر تسع ساعات فاذا زاد على ذلك اخرج ذلك الاقليم في الحرارة والبرودة في حد لا يسكنه الانسان ولا يكون

شكلا وطعما اما الثمار فاصناف
كذا امر الحبوب في اصل الحياة الى ان يبلغ
ويولج الليل طورا في النهار كما قد قال يولج

وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا والذي دلت
عليه الايات القرانية ان الليل من خواص اهل الارض راجع للابدائم
كما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى ان طال ذا عما اخذ من الاخر صار
هذا اي الثاني بعد اي بعد ما انقص منه مما زيد في الاخر ذا قصر
او صار ذا اعتدال وتساو فلم يقصر احدهما بزيادة الاخر ولم يطل احدهما
بنقص الاخر وذلك في اول فصل الربيع يكون الليل قبل ذلك طويلا
والنهار قصيرا فلا يزال الليل ينقص والنهار يطول حتى يعتدلا ثم يشرع
النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص الى اخر فصل الربيع ثم يتراجع
الامر وينعكس الحال فيشرع النهار يتناقص والليل في ازدياد حتى يعتدلا
ايضا في اول فصل الخريف ثم يتراجع النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل
شيا فشيا حتى يعتدلا ايضا في اول فصل الربيع وهكذا في كل عام قال تعالى
وله اختلاف الليل والنهار ونسبة الكل اي السموات والارض للكرسي و
هو مخلوق عظيم من لؤلؤ بين يدي العرش في عظم الخلق وتفاوته كحلقة
مطروحة في فلاة اي مفازة من الارض كما جا ذلك في المثل اي في
التمثيل المروي عنه صلى الله عليه وسلم من طريق الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال لو ان السموات السبع والارضين السبع بسطن
ثم وصلن بعضهن الى بعض ما كن في سعة الكرسي الا بمنزلة الحلقة في
المفازة زاد كما في حديث ابي ذر رضي الله عنه وفضل العرش اي زيادته
على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ثم الجميع اي السموات والارض
والكرسي كذا اي نسبته للعرش في العظم نسبته اي كنسبة الكل للكرسي
في العظم وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يقدر العرش الا الذي خلقه
والعرش هو جسم عظيم نوراني علوي محيط بجميع الاجسام قيل هو اول المخلوقات
وجودا عينيا نسكت عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها وفي حديث
الشعبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العرش من ياقوتة حمرا
وان ملكا من الملايكة نظر اليه والى عظمته فاوحى الله اليه اني قد

الكرسي

العرش

جعلت

جعلت فيك قوة سبعين الف ملك لكل ملك سبعون الف جناح فطر فطار
الملك بما فيه من القوة والاجنحة ما شا الله ان يطير فوقف فنظر فكانه
لم يرم سبحانه المالك اي المتصرف في هذا الملك ومصرفه على ارادته لم يزل
ملكا لا يمتنع عليه شي منه والملك بضم الميم ظاهر الكاينات كما ان الملكوت
باطنها ثم انه وصف سبحانه بانه ملك كان من صفات ذلك وان وصف بانه
مالك كان من صفات فعله كما قاله القرطبي وجميع العوالم التي ذكرنا مع كثرتها
وتنوعها صنع اي مصنوع الاله اي من ايجاده واختراعه فانه الذي بالحق
اي بما يجب له من الوجود والعلم والقدرة والارادة اتقنها اي احكمها ودبر
حكمها فلم توجد الا على وفق ارادته وعلمه من غير خلل قال تعالى صنع
الله الذي اتقن كل شي وكل من قاس بالعقل صنع الله الذي اتقن كل شي
بغيره ممن عجز عن ادراك نفسه التي بين جنبيه ولا يملك لنفسه نفعا ولا
ضرا لم ينل اي لم يعط صوابا لان صنع المخلوق ناقص كثير الخلل بخلاف
صنعه سبحانه قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي اعوجاج
وتناقض وتباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت
صورها وصفاتها فارجع البصر هل ترى من فطور اي خلل ثم ارجع
البصر كرتين اي مرة بعد اخرى فان الانسان اذا نظر في الشي مرة
لا يرى عيبه ما لم ينظر اليه مرة اخرى فاخبر الله سبحانه انه وان
نظر الى السما مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير وينقلب خاسيا اي
صاغرا متباعدا عن ان يرى شيا من ذلك وكلها اي العوالم علويها
وسفليها ثابتة في هوا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما اراد
سبحانه ان يخلق الخلق اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما فسمى عليه
فجعله سما ثم فتقها الى سبع سموات وان الارض على ظهر حوت وهو
في الما والما على ظهر صفات وهي على ظهر ملك وهو على صخرة
وهي في الريح فالريح هو الحامل للعالمين العلوي والسفلي وعن كعب
هذه الارض على صخرة خضرا في كف ملك وذلك الملك قايم على ظهر

الملك والملكوت

حوت وذلك الحوت منطو بالسموات السبع من تحت العرش وقال ابن عباس
الصخرة على منكبي ملك والملك على النور والنور على الماء والماء على متن
الريح قال وهب واسم الحوت بهموت **اِنْ ذا** يعني ثباتها واستقرارها في الهوا مع
زيادة ثقلها بالجبال **عَجَبٌ** فان العادة جارية بان الجرم الثقيل لا يتماسك في
الهوا فتماسكها انما هو **بِقُدْرَةِ اللهِ** المتعلقة بالممكنات ايجادا واعداما **مالا**
تَجْعَلْ تَفْعَل كانت القدرة المؤثرة فيه ثم كون ما ذكر في الهوا ليس مختصا به
بَلْ يَحْمِلُ العَرْشَ يوم القيمة **اَمْلاكٌ ثَمانِيَةٌ** على صورة الاوعال بين اظلافهم
وركبهم مثل ما بين سما الى سما والعرش فوق ظهورهم وفي لفظ ما بين اظلافهم
الى ركبهم مسيرة سبعين للطاير المسرع وعن ابن عباس في قوله تعالى ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم
الا الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم
يحمله اليوم اربعة وهم يوم القيمة ثمانية **وَفِي الحَقِيقَةِ** اي حقيقة الامر
واليقين العرش وان اسند حمله الى الملايكة فهو **قَطْعًا غَيْرُ مُحْتَمَلٍ** اي ليس محمولا
لهم **اِذْ هُم مَعَهُ** اي مع العرش **فَتَحْمِلُوا** بقدرته سبحانه في الهوا **اَنْ** كانوا
لَمِنا بِالثَّرَى اي على وجه الارض **وَتَغِيبُوا** لما تقدم ان الارض محمولة على الهوا
كما في رواية **اَوْ** غاصت اقدامهم حتى فاتت الارض السابعة السفلى ووقفوا
بِالهَوَى كما في اخرى **فَلا تَبْعُدْ** ان وحملته العرش محمولون **وَلا تَحُلْ** اي ولا تعتقده
من المحال الذي لا يمكن وتوعده لانه من الممكنات **بَلْ فِي السَّمواتِ** مما نزيدها
ثقلا **اَمْلاكٌ** جمع ملك وهم كما قال السعد اجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل
باشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الافعال الشاقة شانها الطاعات
ومسكنها السموات هم رسل الله الى انبيايه عليهم الصلاة والسلام وامناوه على
وحيه يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وتمع عامه ان شاء الله تعالى **بِلا عَدَدٍ** يحصرهم لكثرتهم وعن
الاوزاعي قال موسى عليه السلام يا رب من في السما قال ملايكتي قال كم عدتهم
يا رب قال اثني عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب ولما كانت

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين اتاه جبريل عليه السلام فجلس
عنده فجاه ملك فقال ان ربك يامرك بكذا وكذا فخشي النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكون شيطانا فقال يا جبريل اتعرفه فقال هو ملك وما كل ملايكة ربك اعرف
قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو **حَتّى لَو وَضَعَ كَفٌّ** اي مقدار سعته من
السموات **بِالسُّجُودِ** المعروف **مُلِي** كما عند الترمذي وغيره من حديث ابي ذر رضي
الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تئط
ما فيها موضع اربعة اصابع الا وعليه ملك واضع جبهته لله ساجدا وفي
حديث وهب ان السموات السبع محشوة من الملايكة لو قيست شعرة ما انفلتت
منهم الراكع والراكد ترعد فرايصهم وتضطرب اجنحتهم خوفا من الله عز وجل
ولم يعصوه طرفة عين **وانْظُرْ لِنَفْسِكَ** اي تفكر في احوال ذاتك **اَيْضًا** كما نظرت
في العالمين العلوي والسفلي **هَلْ تَرَى** في خلقتها الظاهرة والباطنة **خَلَلًا** اي
فسادا **وَهَلْ تَرَى مِنْكَ عُضْوًا** اي جزا من اجزا بدنك **غَيْرَ مُعْتَدِلٍ** اي غير مستقيم
الخلقة فكمال اعضائها دليل على وجوب وجود صانعها واتقانه قال
تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون قال مجاهد ايات
النفس سبيل الخلا والبول وقال الحسن في الكبر بعد الشباب والضعف بعد
القوة والشيب بعد السواد **مِنْ نُطْفَةٍ** اي من ما قليل يقطر في الرحم وهي
ابيض غليظ يخلط بما المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان
من عصب وعظم وقوة فمن ما الرجل ولما كانت هذه لا تزول الا بالموت
نسب الولد الى الاب دون الام لان ما المراة يكون منه اللحم والدم والشعر
وكذا الجمال والسمن او الهزال ولكنها لا تدوم بدوام الحياة بل يعرض لها
افات التغير وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان الملك الموكل بالرحم
ياخذ النطفة فيضعها في كفه فيقول يا رب مخلقة او غير مخلقة فان
قال مخلقة قال يا رب ما الرزق ما الاثر ما الاجل فيقول انظر في ام الكتاب
فينظر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه واثره واجله وعمله فياخذ
التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته **بَيْنَ القُرْآنِ نَشْأَتُها** اي

تعريف الملائكة

سبب نسبة الولد الى الاب

تدلها في الاطوار قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر
فتبارك الله احسن الخالقين وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي
الله عنه حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان
احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم
يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع
كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فانهم مفتحن ليرق الاي
فانه سبحانه ذكر احوال ابن ادم قبل كونه نطفة بل ترابا الى حين بعثه الى
يوم القيمة واشتمل امره سبحانه بالنظر في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
لحم خلق من نطفة وعظم صلب اي يابس شده اي ربط بعضه ببعض
عصب جعل داخل العظام وخارجها والنفخ للروح اي ادخالها البدن
بعد تمام خلقته وسريانها في اجزائها الظاهرة والباطنة ليصير حيا متحركا
فيجد اللذة او الالم ولا سبيل الى علم كيفية الروح ولا ادخالها في البدن لانها
سر من اسراره تعالى عنه متعلق بقوله لا تسل فينبغي الامساك عنها لانها
سر هو في الاصل ما يكتم من الحديث والمراد انه سبحانه اخفى علمه عن الخلق
لانه من الامر الذي استاثر سبحانه بعلمه فلم يؤته احدا من البشر الا
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذهب اليه ابن عباس واكثر السلف وهو
الحق لقوله تعالى ويسالونك عن الروح اي عن كيفيته وسلكه في بدن
الانسان وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وله تمدحا ان شا الله
تعالى جل شانه اي عظم ما لقنه اي الروح فانه سبحانه المختص بعلمه فلا
ينبغي الخوض فيه وانما خاض اي تكلم فيه اي في بيان حقيقته القوم
الفلاسفين كانوا اولا بالجدل فغايته ما اثبتوا به حقيقته انما يفيد الظن قد
كررا الله في غير اية من القران شانها اي شريفنا المخترع له سبحانه
للاعتبار اي ليعتبر العاقل بذلك ويحصل له المعرفة التي هي سبب للسعادة

ثم وعظم صلب شده عصب والنفخ للروح ثم عنه لا تسل

قد كرر الله في القران شانها للاعتبار ولكن نحن في شغل

الابدية

الابدية ولكن نحن بالاشتغال بالدنيا والميل الى الشهوات في شغل عن النظر
والتفكر في مصنوعاته العجيبة في كل خلق اي مخلوق له سبحانه من العالمين
العلوي والسفلي قد اشتملت اي استوت حكم جمع حكمة وهي صواب الامر وسداده
على معنى انه وصل الى الوجود الذي اراده سبحانه على غاية من الاحكام والاتقان
خاليا من الخلل ولسنا ندركها اي ادراك تلك الحكم والدلايل فهما اي
بالفهم والعلم الحاصل من النظر بمعزل اي ممنوع لوضوحها وظهور دلالتها
لاهل البصاير والتوفيق فاذا تاملت فيها وصلت الى مطلوبك من معرفة
وجوب وجود الصانع كالعينين ينظر بهما مسيرة خمسماية عام من السما الى
الارض مع كونهما قطرتي ما والاذنين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة اعني
اي اريد الحكم التي ليس يخفى عنك ظاهرها اي ما ظهر منها لوضوحها كالشمس
والقمر والنجوم والليل والنهار واقرب من هذا ان الادمي ياكل ويشرب
من مكان واحد وانما اردت الحكم الظاهرة اذ اي لانه كم هنالك اي في المخلوقات
من الحكم والدلايل ما هو للافكار اي العقول غير جلي اي غير ظاهر كالعالم
العلوي فانه قد يخفى وجه حدوثه لعسر مشاهدة جميعه والطريق الذي
وصلنا به الى معرفة حدوثه انتقال المماثلة بينه وبين السفلي وما جاز
على احد المتماثلين او ثبت له جاز للاخر فما ترى اي تشاهد ببصرك
في الوجود ذرة هي اصغر النمل الاحمر مخلوقة اي مخرجة من العدم
الى الوجود عبثا اي من غير فايدة بل هي اي تلك الذرة شاهدة له
بالاقرار بالربوبية للواحد اي المتصف بالوحدة المطلقة الازل اي
القديم بذا اي باقرارها اي المتصف بالوحدة المطلقة بالشهادة للواحد الازلي
تناديه اي تسبح لقوله تعالى تسبح له السموات السبع الاية في الملايكة والانس
والجن والاشيا كلها الجمادات وغيرها بعد خلق الحياة فيها تنادي بالتسبيح
والاقرار بالوحدانية له تعالى ولكن ليس يسمعها عامة البشر فضلا عن
الكفار بل لا يسمع نداها الا ذو العقل الذين يتفكرون في مصنوعاته سبحانه
ويعتبرون بها والاحسان اي الاتقان للعمل اي عمل الطاعة ولا يكون

الملحنا اي معتنا بد الا اذا وجد معه الايمان فيزداد ايمانهم دون
الكفار المعرضين عن الاعتبار وندا وها بقولها بلسان الحال والمقال جميعا لها
عند البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل وفيه تسبيح الحصى في يده صلى الله عليه وسلم وفي ايدي الخلفا
الاربعة رضي الله عنهم واذا ثبت هذا في نوع من الجماد فهو في جميعها كذلك
من غير استحالة اوجدني اي اخرجني من العدم الى الوجود رب اي خالقي
ومالك من التربية وهي تبليغ الشيء الى الحد الذي يريده المربي عظيم
لا تتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته لانه جاوز قدره عن حدود العقول
وقد توصف الاجسام به على معنى كبير الطول والعرض المستحيل عليه تعالى
وفي نسخة قدير اي قادر كايجادك لنا اي كما اوجدك كل مما تلى لحيث الحدوث
والافتقار الى الموجد من ساير العوالم العلوية والسفلية اذ الموجد للجميع
واحد لا شريك له كذاك نفسك ايضا اتتك تنادي ما ان انت موجدها
اي لست مخرجها من العدم الى الوجود وانما الموجد لها هو الله سبحانه
فانظر في احوالها فانها اقرب الموجودات وتفكر فيها بعقل سليم من الافة
التي تمنع صحة النظر غير مختبل اي فاسد فانك تجدها مشتملة على احوال
متبدلة خارجة من العدم الى الوجود ومن الوجود الى العدم كالسمع
والبصر والكلام والجهل والايمان والكفر ونحوها وذلك دليل حدوثها في
انتقالها الى موجد حكيم واجب الوجود عام العلم تام القدرة والارادة فتكون
حادثة وهي قايمة بالذات لازمة لها وملازم الحادث حادث ان قلت ايها
الناظر في هذا الباب معترضا على صنيعي اطنبت بتنويع وجوه الانظار
والاطناب زيادة اللفظ على المعنى المقصود في حثنا اي تحريض على نظر
مع تمكنك من الايجاز بالاقتصار على بعضها لكفايته في الاستدلال فاكفف
اي احبس لسانك وامنعه عن لومي وعن عذلي اي لومي لانه لا يتوجه
على لوم فيما ذكرته من وجوه الدلالة في ضروب العوالم لان المقام الذي
حصل التعدد من اجله هو مقام افادة المعرفة بالله تعالى التي

تتوقف

تتوقف عليها السعادة الاخروية فهو حقيق بان يعتنى به بتكرير العبارات لينشرح
الظاهر والباطن بتكثير الفوايد حتى يصير المكلف اذا راى شيئا من العوالم كانه
يرى الله تعالى فيكون من اهل اليقين وكم قد ذكرت مما بعد اطنابا يتوجه
اللوم من اجله علي وفي القران انت ترى كم كرر الاي الدالة على توحيده
ومعرفته حتى لا تجد اية الا وفيها التنبيه على ذلك صريحا او ضمنا حتى
زاد بالمثل التي ضربها كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا
الاية يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان قلت معترضا على ما احتججت عليه
به من ان الاطناب انما هو تبع للقران واقتدا به ليس كتاب الله ذا سام
اي ملالة اذا كرر تتلذذ الانفس وتجد الطباع فليس يخشى في تكراره الذي
تخشاه في تكرار كلامك من ملل وهو استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد
محبته لان القران خص معجزة وخرقا للعادة بانه اذا كرر لا يمل ولا يزداد مع
التكرار الا حلاوة وطلاوة فجوابك ان الاطناب في ذا الباب وهو اثبات الوحدانية
له سبحانه والاستدلال عليها وتحتمل في باب تعليم العقايد بالتاليف مغتفر
اي لا يتوجه اللوم من اجله على من ارتكبه كي اي لاجل ان يوقظ الغافل
بذلك الاطناب والغافل خلاف الفطن والتيقظ الانتباه من نوم او غيره
المغرور اي المخدوع بالامل وهو لغة الرجا والمراد به اما رجا طول الحياة
واما رجا النجاة ونيل الدرجات مع التباعد عن اسبابها الشرعية وفي الحديث
ان اخوف ما اخاف على امتي الهوى وطول الامل اما الهوى فيصد عن
الحق واما الامل فينسي الاخرة فاذا كرر الكلام الموضوع بصدد ايقاظ
الغافل وتعليم الجاهل كهذه المقدمة لا يكون مملولا بل يكون محمودا
محبوبا فان المكلف يطلب منه اذا اشتغل بعلم التوحيد ان يصرف همته
اليه فيكرره مرة بعد اخرى ويعرضه على ذهنه حتى يدركه اجله
لعل ان يكون ذلك سببا في حسن خاتمته فيتخلص من العذاب المخلد المؤبد
المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد فان المرء يموت على ما عاش عليه
ويبعث على ما مات عليه لان غفلتنا اي غفلة المغرور بالامل غطت

قلوبنا قد قست من رين ما اكتسبت من الماثم لا تخشى من الزلل

ملـ القسوة

الرين والطبع والاقفال

نسال الله رب حسن خاتمة بلا امتحان لنا في موقف الوجل

اي سترت **بصايرنا** حجبتها عن ادراك المعارف وفي الحديث ليس الاعمى من عمى بصره انما الاعمى من تعمى بصيرته فنحن لاستيلا الغفلة على بصايرنا **تحكي** اي نشابه **بها** اي بسبب الغفلة **همل** اي ماشي **الانعام** الابل والبقر والغنم على وجهه من غير راع يرعاه ويحفظه من الانات **في الهمل** فان العقول لما غفلت عن مراشدها وهي الراعية للجوارح هملت الجوارح وتصرفت بما شات لنوم راعيها الذي يردها الى الصواب **قلوبنا قد قست** اي خلت عن الانابة والاذعان لايات الله تعالى لقوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك وفي الحديث اربعة من الشقا جمود العين وقسا القلب وطول الامل والحرص على الدنيا وفيه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي **من رين** اي من الطبع والدرن الغالب عليها بسبب **ما اكتسبت** اي جمعت **من الماثم** اي الذنوب وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة سودا فاذا نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى يعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم اي غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الحسن وهو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وعن مجاهد الران ايسر من الطبع والطبع ايسر من الاقفال والاقفال اشد ذلك كله وهو اشارة الى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم وقوله سبحانه طبع الله على قلوبهم وقوله عز وجل ام على قلوب اقفالها **لا تختشي به** اي لا تخاف عقاب الله تعالى يوم القيامة **من** اي لاجل **الزلل** اي الذنوب التي اكتسبناها قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه المغيب عنهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه كفى بخشية الله علما وبالاغترار جهلا **فنسال الله ربي** اي نطلب منه لانه القادر على

اعطا

يكنه

فصل في ما يجب من الوجود للاله المعبود

العبادة

الوجوب المستحيل الجائز

والنظري هو الذي يتوقف حصوله على النظر والاستدلال صح

مطلـ الصفة اربعة اقسام

اعطا السؤل **حسن خاتمة** وهي الموت على الايمان بعد متابعة الشرع في الاعمال الظاهرة والباطنة وعن وهب اذا اراد الله بعبد خيرا ختم له بخير عمله واذا اراد به شرا ختم له بشر عمله **بلا امتحان لنا** اي مناقشة في الحساب لحديث من نوقش الحساب هلك **في موقف** اي مكان **الوجل** اي الخوف العام الذي يكون لكل احد يوم القيمة حتى الاوليا والملا والانبيا عليهم السلام وان كانوا امنين من العذاب لان خوفهم خوف اعظام واجلال وفي الحديث خوفني جبريل يوم القيمة حتى ابكاني فقلت يا جبريل الم يغفر لي ربي ما تقدم من ذنبي وما تاخر فقال يا محمد لتشاهدن من اهوال ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة

فصل **في بيان ما يجب من الوجود الذاتي للاله المعبود**

اي المطاع والعبادة الطاعة والتذلل والوجوب احد الاقسام الثلاثة الراجعة للاله سبحانه وهي الواجب والجايز والمستحيل فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه اما ضرورة كالتحيز للجرم واما نظرا كوجوب القدم له تعالى والجايز ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه اما ضرورة كالحركة او السكون للجرم واما نظرا كتعذيب المطيع واثابة العاصي والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده اما ضرورة كتعري الجرم عن الحركة والسكون واما نظرا كالشريك له تعالى فهي ستة اقسام ويمكن تمثيلها بحركة الجرم وسكونه فالواجب احدهما لا بعينه لا بعينه والمستحيل خلوه عنهما جميعا والجايز ثبوت احدهما له معينا بدلا من الاخر والضروري هو الذي يضطر الانسان اليه بحيث لا يمكنه دفعه ولا يحتاج في تحصيله الى نظر واستدلال وينبغي الاعتنا بمعرفة هذه الاحكام والارتياض عليها لان معرفتها هي العقل على ما قاله امام الحرمين بنا على انه العلم بوجوب الواجبات وجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وقدم الواجب لشرفه لانه به يتصف الباري سبحانه لان بمعرفته يعرف قسيماه واتبعه بالمستحيل في قوله فصل فيما يستحيل على المولى الجليل وختم بثالث الاقسام الراجعة للاله وهو في قوله فصل في الجايزات واعلم ان الصفات بحسب تحقيقها منقسمة الخارجة

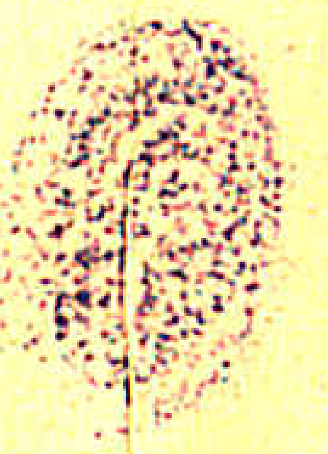


اقسام على المشهور على القول بالحال ايضا على ظاهر النظم تبعا لبعض المتاخرين والاصح انه لا حال وهي صفة للموجود لا تكون موجودة ولا معدومة مثل العالمية والقادرية ونفسية وهي كما قال السعد صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زايد عليها ككون الجوهر جوهرا وذاتا وشيا وموجودا ويقابلها المعنوية وهي صفة ثبوتية دالة على معنى زايد على الذات ككون الجوهر حادثا ومتحيزا وقابلا للاعراض وهي فرع الثبوتية الملازمة اياها وسلبية وهي كل صفة مدلولها عدم امر لا يليق به سبحانه وتعالى ويقال لها صفات الجلال اذ يقال فيها جل عن كذا وثبوتية وهي كل صفة موجودة في حد ذاتها حادثة كانت كبياض الجسم وسواده او قديمة كعلمه تعالى وقدرته ويقال لها صفات المعاني اصطلاحا واعلم ايضا ان الصفة هي المعنى القايم بالذات والموصوف من قام به المعنى والاتصاف قيام المعنى به والوصف هو الاخبار عن قيام الصفة بالموصوف والواصف هو المخبر بذلك وقد تطلق الصفة على الوصف والوصف عليها واعلم ايها المكلف المخاطب بمعرفة العقايد الدينية لتكون من اهل اليقين بان وجود الله لذاته بمعرفة العقايد يعني بثبوته وانه غير محتاج في وجوده وايجاد مراده الى شي وهي صفة نفسية على المشهور فهو سبحانه موجود ووجوده تعالى لنفسه لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم مسبوق بعدم ويجوز عليه لحاق العدم ووجوده من موجده لا من نفسه وتقديم الوجود على غيره من الصفات تبعا للقوم لكونه كالاصل اذ وجوب الواجبات له تعالى واستحالة ما يتنزه عنه وجواز ما يجوز في حقه كالفرع عنه فتقديمه عليها يشبه تقديم التصور على التصديق وهو بديهي والحكم ببداهته بديهي فلا يحتاج الى تعريف قد شهدت به اي بثبوته له تعالى واتصافه به البراهين اي الادلة الكثيرة جمع البرهان وهو لغة ضوء الشمس الذي يرى على وجهها والحجة وعرفا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بالمطلوبات فلنقتصر عن الخوض فيها لكثرتها ووضوحها ولا نطيل بذكرها فكيف من صيغ التعجب اي نكيف مع كثرتها ووضوحها

قف على الفرق بين الصفة والموصوف والاتصاف والوصف والواصف

وجوده تعالى

يخفى



يخفى على العاقل وجود الله اذ كل حادث فهو دليل قطعي عليه ولهذا اتفق جميع اهل الملل والكافر على وجود الصانع في الجملة خلا شرذمة قليلة من جهلة الفلاسفة زعمت ان حدوث العالم امر اتفاقي بغير فاعل فيا عجبا لجاحد اي منكر وجوده سبحانه كجهلة الفلاسفة فان صدور هذه المقالة من العاقل من اغرب ما يكون ومن اعجبه والتعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بامر خفي سببه الذي هو معنى من المعاني من ظلام ضد النور والمراد من اضافته الى الكفر البيان في ظلل عظيمة جمع ظلة وهي السحابة المظلمة قال تعالى هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور والكفر ضد الايمان فهو انكار ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به من الدين بالضرورة او ما يستلزمه كالقا المصحف في القاذورات والايمان تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به من الدين كذلك لو لم يكن هو سبحانه موجودا لم نجد نحن ضرورة لاستحالة موجود من غير موجد له ولا وجدت انواع مخلوقة الحاضر المرئي اي المشاهد بالمقل اي العيون كالارض وما فيها من العوالم لوجوب افتقار الجميع الى صانع مختار او غاب اي او الغايب عنا من تلك الانواع ولم تشهده اي لم تره اعيننا كالعالم العلوي وما فيه من الكواكب والعرش والكرسي والملايكة والحجب والانوار فان ما نشاهده من العوالم لا شك في ان له صانعا اوجده على الحد الذي اراده ودليل ذلك ما قام به من دليل العدم وامارة الحدوث وهو الاعراض الحادثة الملازمة له كالحركة والسكون والوجود والعدم والاشكال والالوان والحدود والنهايات واما ما لا نشاهده من العوالم الغايبة عنا فانا نفرضه مثل المشاهد والمثل الغايب كالمثل الموجود فيثبت له ما ثبت له من وجوب الحدوث والافتقار في الوجود الى الفاعل المختار كما تقرر في المعقول من جدل اي في علم الجدل المعقول وهو علم يتعرف منه كيفية تقرير حجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الادلة وترتيب النكت الخلافية وفايدته معرفة تحرير المباحث الفقهية والاصولية والاصولية وتشحيذ الفكر ونحن اذا بحثنا عن احوال العالم العلوي وجدناه مشمولا لجهات مخصوصة وامكنة معينة في

مطلب الجدل وفائدته

بعضه محجوبا ببعض وداخلا في بعض ومرتفعا بعضه فوق بعض وبعضه
ظلمانيا وبعضه نورانيا وبعضه متحركا وبعضه ساكنا وكل ذلك امارات الحدوث
والافتقار الى الصانع المنزه عن مماثلته ذاتا وصفات فالعوالم مستندة اليه سبحانه
اذ لولا وجوده سبحانه واختياره وجودها الواجب ان تبقى على عدمها الذي
كانت عليه ابد الاباد **فواجب كونه** اي وجوده تعالى بمعنى انه غير محتاج
في وجوده الى غيره فوجوده هو مقتضى ذاته على معنى ان العقل لا يتصوره الا
كذلك اي موجودا لا يستند وجوده الى غيره وانما كان وجوده سبحانه واجبا
لان العالم وكل جزء من اجزايه حادث ومفتقر من حيث وجوده ومصنوعيته
اليه تعالى من حيث صانعيته وايجاده اياه وصانع العالم لا يكون وجوده الا
وجوبيا الا واجبا **قطعا** اي قولا مقطوعا بصحته **بلا عدم** سابق لوجوده ولا
لاحق له اذ لو كان مسبوقا بعدم لافتقر الى محدث ثم محدثه ومحدثه وهلم
جرا لانعقاد المماثلة بين الكل وذلك مفض اما الى ذاته تعالى فيلزم
افتقار وجوده الى موجد يخترعه بدلا عن العلم الجايز عليه فيكون حادثا
واللازم باطل فكذا الملزوم فتعين انه سبحانه واجب الوجود لا يقبل العدم اصلا
لا ازلا ولا ابدا وذلك يجمع وجوب القدم له تعالى والبقا **سبحانه** اي تنزيها
له **وتعالى** عن افك المفترين فانه سبحانه العلي الذي ليس فوقه شي في المرتبة
والحكم **جل** اي عظم وتنزه **عن مثل** اي مماثل مطلقا **وجايز ممكن** وهو
عند المتكلمين ما لا تقتضي ذاته وجوده ولا عدمه وله طرفان طرف الوجود وطرف
العدم وذاته لا تقتضي وجوب احدهما فالممكن **ما كان** مبتدا **من عدم وجوده**
اي ما كان العدم قبله وابتدي وجوده ولذا يستحيل وصفه تعالى بهما للمنافاة
معناهما الوجوب الوجود **عند كل ذي عقل** ومعرفة **من** اصحاب **الملل** اي
الاديان **وقد مضى** اي نفذ وتقرر **القول** الحق الذي لا يرده جاحد ولا معاند
في بيان **وجد الدليل** الموصل الى معرفته تعالى والدليل لغة المرشد وعرفا ما
يلزم من العلم به العلم بشي اخر ولو عدميا بطريق النظر وترتيب امور معلومة
بما قد انزل الله في القران **نصا** اي منصوصا ظاهرا **غير محتمل** فلا سبيل الى

العدول

عنه كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس الاية **فباعتبار** اي استدلال **بمخلوقاته** التي اخرجها من
العدم الى الوجود **قطعت** اي جزمت **اولوا النهى** اي اصحاب العقول **بوجود الخالق**
الازلي اي القديم ولولم يكن موجودا لم توجد
التي اوجدها بعد ان لم تكن موجودة
تلك المخلوقات وهذا لا ينكره العاقل اذا ساعده التوفيق **لكن ذووا الجهل** كالفلاسفة
الذين زعموا ان حدوث العالم اتفاقي ليس عن صانع **كالانعام مهملة** على وجهها
من غير راع يحفظها قال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اوليك كالانعام بل
هم اضل **ومن يضلل الله** اي من يصرفه عن طريق الحق بخلق الضلال فيه وهو
هو الجهل بالله تعالى وبرسله **للتوفيق لم ينل** اي لا يعطاه ولا يصل اليه فيكون من
اهل الاعتبار والاستدلال ليكون اعتباره علامة على سعادته بل هو من المخذولين
قال تعالى من يضلل الله فلا هادي له والتوفيق لغة التاليف بين الشيين وشرعا
خلق قدرة الطاعة في العبد ان لا يخلق فيه الا الطاعة على ما ذهب اليه امامنا
الاشعري فالمراد من القدرة العرض المقارن للطاعة **ومثلهم** اي مثل اهل الجهل
بالله تعالى وبرسله عليهم السلام في ضلالهم وصرفهم عن الحق **كل ذي شرك** هو
في الاصل اعتقاد شريك له تعالى في الوهيته وهو الشرك الاعظم وهو شرك اعتقاد
اهل الجاهلية المراد بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويليه في الرتبة اعتقاد
شريك له تعالى في الفعل وهو قول من قال ان موجودا ما غير الله تعالى يستقل
باحداث فعل وايجاده وان لم يعتقد كونه الها كالقدرية مجوس هذه الامة ويلي
هذه الرتبة الاشراك في العبادة وهو الريا ان يفعل شيا من العبادات التي امر الله
بفعلها لغيره وانواع الشرك ستة اولها شرك الاستقلال كشرك المجوس المثبتين لالهين
مستقلين احدهما يوجد الخير والثاني يوجد الشر وثانيها شرك التبعيض وهو
تركيب الاله من الهة ثلاثة وثالثها شرك التقريب كشرك اوايل الجاهلية لقولهم
في الهتهم التي عبدوا من دون الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ورابعها شرك
التقليد كشرك اواخر الجاهلية لقولهم فيما عبدوه من الاوثان انا وجدنا اباءنا

واجب كونه سبحانه اعلام

الى التسلسل او الى الدور وكلاهما محال فلزومهما كذلك ولو قدر لحوق العدم له كانت نسبة الوجود والعدم اليه

جايز ممكن ما كان وجوده من عدم

التوفيق

تنبيه على ان انواع الشرك ستة

علي امة وخامسها شرك الاسباب وهو اسناد الفعل والتاثير على سبيل الحقيقة
الى الاسباب العادية وسادسها شرك الاغراض المسمى بالريا والشرك الاصغر وهو العمل
لغير الله تعالى فاما شرك الاسباب فقد اختلف في التكفير به وعدمه واما الشرك
الاصغر وهو الريا فليس بكفر اجماعا والاربعة الباقية هي التي ارادها بقوله وتلم
كل ذي شرك **وان نسبوا الذين الحق انفسهم** مفعول نسبوا **كفر** اي اعتقد كفرهم والجزم
به متبريا منهم حيث اعتقد واثبت خاصة من خواص الاله لغيره من المخلوقات
ولا تقل بعدم كفرهم ويحتمل ولا تقل عثرتهم والدين لغة يقال لمعان منها الطاعة
وعرفا وضع الهي سايق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير بالذات لهم
اي احكام وضعها الله للعباد فرعية كانت او اصلية على معنى ان تلك الاحكام وضعها
الله للعباد ما وضعت الا سايقة الى الجزا اي النجاة والثواب **مثل النصارى** اتباع
عيسى عليه الصلاة والسلام لانه نسب الى قرية ناصرة من بلاد الاردن كان
ينزلها وكان ابتدا خروجهم منها **على التثليث دينهم** اي بنوه على التثليث التثليث
اي جعل الاله مركبا من ثلاثة الهة وهي الله والمسيح ومريم على ما ينهد له
قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او كون الله ثلاثة
ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب
الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة وهم قايلون في الحقيقة بكونها ذوات
لانهم قالوا **بالاتحاد** وانتقال اقنوم العلم الى بدن عيسى عليه السلام والمنتقل بالانتقال
هو الذات لامتناع الانتقال على الاعراض فقد قالوا بذوات قديمة وهذا
الذي زعموه ليس من الحق في شي وانما هو من الكفر **وزور الافك** اي والافك
المزور الذي بالغوا في تحسينه لتقبله العقول **والخطل** اي الخطا قال تعالى لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الاية ولا حجة لهم
فيما استدلوا به لالوهية عيسى بما ظهر على يديه من الخوارق لوجودها كذلك
لجميع الانبيا عليهم السلام **كذا اليهود** لزمهم هذا الاسم لقولهم انا هدنا وليهوذا بن
يعقوب وهم فرقتان ربانيون وقراءون والربانيون اسلمها حالا لانهم لا يقولون بالتجسيم والقراءون
قايلون بالتجسيم حتى انهم لعنهم الله قالوا ان الله شيخ ابيض اللحية والراس والقرايين كافرون عند

الرباني

الرباني والمراد ان بعض اليهود مثل النصارى في تحتم الحكم بكفرهم **وانهم جحدوا**
الله اي اعتقدوه واحداو وصفوه بالوحدانية فقد كفروا **بالله** اي لم يومنوا به من
جهة التجسيم كالقرايين منهم كالكفر بانبيهم **من جهة** اي لاجل **التكذيب بالرسل**
لفوات الجز الثاني من جز الايمان وهو الايمان بجميع الرسل عليهم السلام ككفرهم
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم بعيسى عليه السلام وقولنا بعض اليهود لان
الكثير منهم قد اشرك بالله تعالى كما حكاه الله سبحانه عنهم بقوله وقالت اليهود
عزير ابن الله وانما كفروا من جهة التكذيب للرسل **اذ** اي لانهم **صدقوا البعض**
اي نبوا بعض الرسل كموسى وهارون عليهما السلام الى الصدق **دون** اي غير **البعض**
اي البعض الاخر كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كذبوه **من حسد** اي لاجل
الحسد لا عن جهل فانهم كانوا عالمين بنبوته صلى الله عليه وسلم بشهادة قوله
تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فقد كانوا يذكرونه صلى
الله عليه وسلم قبل مبعثه ويقولون لاعدايهم المشركين قد اظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث صلى الله عليه وسلم نكصوا
على اعقابهم حسدا **فالقوم** يعني اليهود **عقلهم** ليس مصروفا الى المطالعة المصنوعات
انما هو مصروف **في المكر** اي اخداع المسلمين باظهار الايمان وابطال الكفر ليتعرفوا
اخبارهم فينقلوها للمشركين وليشاركوهم في الغنايم **والحيل** بما كانوا يتعاطونه من
تبديل صفته صلى الله عليه وسلم التي في كتبهم والسعي في ابطال دين الاسلام حتى
قال كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف وغيرهما للسفلة من قومهم اظهروا الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم في اول النهار واكفروا في اخره فانكم اذا فعلتم ذلك ارتاب
اصحابه في دينهم فرجعوا الى دينكم وقالوا اهل الكتاب اعلم به فهم **عمي البصاير**
اي القلوب بما طبع الله عليها فلم يهتدوا النظر في عجايب مصنوعاته **لا تطمع**
برشدهم اي في هدايتهم والرشد ضد الغي وحقيقته ان يظفر الانسان بما يريد
اي لا يطمع في ظفرهم بالنجاة لانهم ليسوا من اهل الاعتبار فان **عمى البصاير**
الذي احاط بهم بتولي خلق الضلال الضلال فيهما **ادهى** اي اشد واعظم لانه
يمنع من الهداية والنجاة في الاخرة **من عمى المقل** اي الابصار لانه لا يمنع

من ذلك قال تعالى فانها لا تعمى الابصار اي العيون ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور اي عن ادراك الحق والاعتبار والبصيرة هي القوة التي تكتسب العلوم وهي
للقلب بمنزلة البصر للعين قال الانصاري رحمه الله تعالى وقال مجاهد لكل انسان
اربعة اعين عينان في راسه لدنياه وعينان في قلبه لاخرته فان عميت عينا
راسه وعميت ابصرت عينا قلبه لم يضره عماه شيا وان ابصرت عينا راسه
وعميت عينا قلبه لم ينفعه نظره شيا **لولا عتنا** جمع امام الذي يقتدى به
لتقدمه على غيره في ضروب الفضايل وانواع الكمالات **للرد** على اليهود والنصارى
واهل الشرك **قد سبقونا لم** نشتغل بالرد عليهم لما في التشاغل بنقد اقوالهم الباطلة
من ايهام تعظيمها بل **لا نلتقيهم سوى بالبيض** يعني السيوف **والاسل** بضمتين الرماح
لاستحقاقهم ذلك لعنادهم فان مقاتلتهم بالقتل والاسر كافية في ابطال مذهبهم
وبيان فضيحتهم فاقتدينا بالايمة في ذكر شبههم مع ردها مبالغة في قطع العذر
ولان الرد بالحجة ابلغ في التاثير واظهر في الفضيحة **من ينكر الشمس تبدو** اي
في حال ظهورها **لا حجاب لها** يسترها **و ذا** اي ذكر الشمس **مثال** اي تمثيل وتشبيه
لظهور وجوده سبحانه ووجوب صفاته ~~صلى الله عليه وسلم~~ وظهور بعثة
الرسل بما ثبت بدليل السمع **وجل الله** اي عظم قدره **عن مثل** اي مماثل في ذاته
او صفته بوجه وحال لانه لو كان له مثل في شيء من صفاته للزم الحدوث
لاحتياج كل من المتماثلين الى من يخصصه بالعارض الذي يمتاز به عن مثله
فينكر الخالق الموجد لجميع الكاينات **المعبود** بحق **موجده** اي الذي اوجده بعد
ان كان معدوما كالنصارى واهل الشرك **او ينكر معجزات** اي خوارق عادات
تبين اي تظهر **الصدق** وهو مطابقة حكم الخبر الواقع **للرسل** عليهم الصلاة والسلام
كاليهود ولولا ما ظهر على ايديهم من الخوارق المطابقة لدعواهم ما وجب قبول
اقوالهم ولا الاقتدا بافعالهم وعند ظهورها يحصل الجزم بصدق من ظهرت
على يده **فذاك** المنكر **كالعير** اي الحمار في تناهي البلادة قال تعالى مثل الذين
حملوا التورية كاليهود ضمنا احكامها ثم لم يحملوها لتركهم العمل بها كمثل
الحمار يحمل اسفارا اي كتبا كبيرة ليس له الا ثقل الحمل من غير فايدة **لا تشقى**

اي

تنبه على ان لكل انسان اربعة اعين فاستفده فانه نفيس

اي لا تتعب نفسك معه **تناظره** اي بمناظرته والمناظرة لغة المقابلة وعرفا
النظر بالبصيرة اي بالقوة التي تكتسب العلوم من الجانبين في النسبة الحكمية بين
الشيئين اظهارا للصواب **دع** اي اترك **الحمير على امثالها تصل** من الصيال وهو
الوثوب وهذا مثل شايع في العرف وفي عبارات البلغا يشبهون الحقير بالحقير و
العظيم بالعظيم والله تعالى اعلم

فصل **في** بيان **ان الاختراع**

اي ايجاد الممكن واعدامه من غير مثال سابق ولا مادة مع غاية الاحكام
ونهاية الاتقان **لله سبحانه** لانه المنفرد بذلك **لا تاثير لشيء** من الموجودات
العاقلة وغيرها **سواه** اي غيره تعالى فالتاثير عند الاسباب العادية مخلوق له
سبحانه كالستر عند الثوب والشبع عند الاكل والري عند الشرب والقطع عند ملاقاة
الالة للمقطوع **وكل شيء** من محدثات العوالم علويها وسفليها والسرور والقبايح
فان الله موجده اي مخرجه من العدم الى الوجود بمحض اختياره المستلزم لنفي
قدم العوالم خلافا للفلاسفة المردود عليهم بقوله **بلا اضطرار** اي الجا في ايجادها
لاجل الاغراض او العلة او الطبيعية **الى فعل** يفعله **ينفعل** اي يمكن من ايجاده
له او اعدام او تخصيص بعرض او مقدار او شكل او مكان او زمان فالله سبحانه
هو الموجد للعالم عن سبق عدم بمحض ارادته واختياره لا انه اوجدها لذاته
على طريق التعليل كما في مثل حركة اليد مع المفتاح فان حركة المفتاح لازمة
لحركة اليد لا يمنع منها مانع ولا اقتضا بطبيعته على طريق تاثير الطبيعة كما
في احراق النار مثلا عند وجود شرطه وهو قربها من ذلك المحترق وانتفا المانع
وهو بلل ذلك المحترق مثلا وقولنا فيما اوجدها على طريق التعليل ولا التاثير
الطبيعة لان فعلهما باللزوم لا بالاختيار ولو كان سبحانه اوجدها بطريق التعليل
او الطبع لكانت كلها قديمة مثله او يكون هو سبحانه حادثا مثلها وقد قام الدليل
القطعي على حدوث العوالم كلها واستحالة ان يوجد شيء منها في الازل لما قام
بها من دليل الحدوث والافتقار الى الصانع المنزه عن مماثلة مصنوعه ذاتا
وصفات ولو كانت قديمة ما طرا عليها العدم فان القدم ينافي العدم وليس بين
وجود العوالم ووجود الاله سبحانه ارتباط **لان افعاله** تعالى واحكامه **ليست**

فصل في ان الاختراع لله سبحانه

في افعاله تعالى ليست معللة

معللة عند الائمة اهل الحق لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل بالاسباب جمع سبب
وهو كل ما يتوصل به الى غيره ويقال لما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده
الوجود لذاته كالزوال لوجوب الظهر والعلل ولو فعل سبحانه فعلا لغرض لكان
ذلك الغرض اما ان يكون قديما او حادثا فان كان قديما لزم من قدم ذلك الغرض
قدم فعله فيكون ذلك المحدث قديما وهو محال وان كان حادثا فذلك الحادث اما
ان يكون من فعله او فعل غيره والاول باطل لان الكلام فيه كالكلام في الاول فيلزم
التسلسل وان كان الثاني فهو محال لما بينا لانه لا يحدث حادث الا بقدرته سبحانه
ومذهب الماتريدية امتناع خلو فعله تعالى عن المصلحة قال السعد والحق ان
تعليل بعض الافعال سيما الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح ظاهر وذكر ايات
واحاديث وليس فيه ما يرد مذهب الاشاعرة اذ يقولون بالحكمة والمصلحة
في نفس الامر لانهم يمنعون العبث في افعاله تعالى كما يمنعون الغرض ولذلك كان
التعبدي من الاحكام ما لا نطلع على حكمته لا ما لا حكمة له على ان الاشاعرة انما
يمنعون وجوب التعليل لا انهم يحيلونه كما نقله استاذنا رحمه الله في شرح جوهرته
بل انه سبحانه باختيار اي بالمشيئة والارادة منه اوجدها اي الموجودات المفهومة
من قوله وكل شيء اي اخرجها من العدم الى الوجود فهو سبحانه فاعل بالاختيار
لا بالذات خلافا للفلاسفة حيث ذهبوا الى ان ايجاده العالم على النظام الواقع
من لوازم ذاته فيمتنع خلوه عنه فقد زل اي اخطا موجبها اي العالم اي من
قال انه سبحانه اوجدها بطريق التعليل او الطبع فقد وقع في الزلل بالعقل
اي بدليل العقل لما يلزم على قوله من قدم العالم او حدوثه سبحانه والجدل
وهو رفع الخصم خصمه عن افساد قوله بحجة قاصدا به تصحيح كلامه تغيير
العالم المتقدم تعريفه بانه ما سوى الله تعالى الموجود اي المخرج من العدم ذا
قدم ضد الحدوث وبيان الخطا ان العالم اما عين وهو ما يقوم بنفسه بان يتحيز غير
تابع في تحيزه لغيره جسم ان قبل الانقسام بان تركب من جزئين فصاعدا على
المختار وجوهر ان امتنع قبوله الانقسام واما عرض وهو ما يقوم بغيره
بان يتحيز تابعا في تحيزه لغيره كالالوان والسواد والبياض وكالاكوان الاجتماع

بيان الخطا في قدم العالم

والافتراق

والافتراق والحركة والسكون وكل من الاعيان والاعراض قابل للعدم ولو كانت قديمة
لما طرا عليها العدم وطريان العدم ينافي القدم لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه
وما جاز عدمه امتنع قدمه وذلك اي اثبات القدم لغيره تعالى كفر باجماع
المسلمين لما يلزم عليه من تعدد القدماء وقد كفرت النصارى باثبات قديمين
فكيف بالاكثر بلا شك في كفره والشك خلاف اليقين فهو تجويز وقوع كل واحد من
امرين بدلا عن الاخر ولا وهل اي غلط لان تغييره اي ما يعرض للعالم من
التغيير بايجاد اعراضه تارة واعدامها اخرى يكفي دلالته في وجوب الحدوث لجميعه
لان حدوث احد المتلازمين وهو الاعراض يقتضي حدوث ملازمه الاخر وهي
الجواهر وكل متغير محدث لانه وجد بعد ان لم يكن وله صانع ضرورة اذ المحدث
لا بد له من محدث وهو الله سبحانه لو كان العالم ذا قدم اي قديما كما زعموا بالقطع
وفي نسخة بالعقل متعلق بقوله لم يحل اي لم يتغير اذ التغير دليل الحدوث فالجوهر
ما يشغل الحيز وهو عند المتكلمين الموجود المتحيز بالذات اعني ما يتحيز غير تابع
في تحيزه لغيره الفرد هو الذي لا يقبل الانقسام اصلا لا قطعا ولا كسرا ولا وهما
ولا فرضا وهذه عبارة المتقدمين وعبر المتاخرون بدلها بالجزء الذي لا يتجزى
والاجسام جمع جسم وهو المتحيز لذاته الذي يقبل القسمة بان تركب من جزئين
فصاعدا على المختار وذهب المعتزلة الى ان اقل ما يتركب منه الجسم ثمانية جواهر
لانه لا بد له من طول وعرض وعمق حادثة عندنا فجميع الاجسام تركب منه
مع تناهي احاده وقد علمت ان العالم وكل جزء من اجزائه التي منها الجوهر الفرد
حادث ولا معنى للحادث الا ما كان مسبوقا بالعدم اي لم يكن ثم كان خلافا للحكما
الفلاسفة فان المشائين منهم ذهبوا الى تركب الاجسام من الهيولى والصورة و
الاشراقيين منهم ذهبوا الى انها بسائط في انفسها كما هي عند الحس وليس فيها تعدد
اجزاء اصلا وانما تقبل الانقسام بذاتها ولا تنتهي الى حد لا يبقى لها معه قبول للانقسام
كما هو شان مقدورات الله تعالى كذا اعراضها اي الاجسام حادثة والعرض ما
يقوم بغيره بان يتحيز تابعا في تحيزه لغيره كما تقدم والحدوث في بعض الاعراض
بالمشاهدة كطرو الحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة والسواد بعد البياض وفي

اثبات القدم لغيره تعالى كفر

الجوهر الفرد

الجسم

تركب الاجسام على المذهبين

ونفي بعضها بالدليل فان الاجسام متماثلة ولافرقة في المثل فيجوز على كل منها ما يجوز على الاخر وقد جازت الحركة على البعض بحكم المشاهدة فتجوز على الكل بعقد التماثل قالوا اي المتكلمون القايلون بحدوث ما سواه تعالى والامكان وهو استوا الوجود والعدم بالنظر الى الذات بمعنى سلب احدهما ضرورة يدل على حدوث العالم ايضا اي كما دل على حدوثه ملازمة اجرامه للاعراض الحادثة فيه اي في العالم كالحركة والسكون ونحوهما الحقه اي العالم بجايز حادث اي دلة على حدوثه والبسط اي بسط القول والعبارة فيه اي في دليل الامكان جلي اي ظاهر لا يخفى على اهل الفن وتلخيصه ان كل جرم من اجرام العالم ممكن الوجود والعدم بحسب ذاته ومقداره وصفته من جهة ان بعضه قد اتصف بالوجود وبعضه قد اتصف بالعدم فيلزم اتصاف العالم بمثل ذلك لان كل ما ثبت لاحد المثلين يثبت للاخر فالعالم لابد له من موجد يستند اليه اوجده باختياره يكون حادثا ومسبوقا بالعدم فاذا علم العاقل ان العالم ممكن وان كل ممكن فله مخصص علم ان العالم له مخصص وهو الله سبحانه لا اله الا هو وكل من قال بالتاثير اي اسنده الى غيره تعالى فانا نكفره اي نحكم بكفره لاشراكه من ذوي الطبيعة كالفلاسفة القايلين بتاثيرها وقدم العالم ونفي الاختيار في الايجاد عنه سبحانه والتنجيم ذوي الخطل اي الخطا باسنادهم الافعال الى النجوم وتكفير الطبايعيين والمنجمين متفق عليه واما المعتزلة القايلون بتاثير القدرة الحادثة في افعالنا الاختيارية مباشرة فيما قام بمحال تلك القدرة وتوليدا فيما خرج عنها كانتلاح الجرح ورمي السهم ونحوها فقد اختلف في تكفيرهم وكذا من اسند التاثير للاسباب العادية فيما قارنها بسبب ما خلق بينهما من القوى كالطعام والشراب والنار والمطر والحديد ولبس الثياب والاردية ونحوها والاقرب الى السلامة الوقف عن الجزم بتكفير مثل هولا احتياطا وخروجا عن عهدة تكفير احد من الناس بغير قاطع والله تعالى اعلم

تكفير الطبايعيين والمنجمين والخلاف في تكفير غيرهم

فصل في بيان وجوب صفة الوحدانية وهي عرفا عبارة عن سلب ثلاثة اشيا احدها انتفا الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام ويعبرون عنه بنفي الكم المتصل والكم عرض مقداري يقبل القسمة

فصل في وجوب الوحدانية

لذاته

لذاته وثانيها انتفا النظير له تعالى بمعنى عدم التعدد في ذاته او في صفة من صفاته ويعبرون عنه بنفي الكم المنفصل ويلزمه وجوب انفراده تعالى باختراع جميع الكاينات ذواتٍ كانت او افعالا اي امتناع اسناد التاثير لغيره سبحانه في شي من الممكنات وثالثها انتفا مماثلة تعالى للحوادث اللازم منه انتفا ضد له تعالى منها بالاولى والوحدة بالمعاني الثلاثة ثابتة لخالق اي موجد البرية اي الخليقة لا اله اي لا معبود بحق موجود او في الوجود او لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه الا هو المنفرد اي المختص بالالوهية العامة لجميع العوالم علويها وسفليها مومنها وكافرها قال تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال والهكم اله واحد الهنا والهكم واحد الهنا اي معبودنا وحد اي فرد في الملك اي في تصرفه التام في جميع العوالم ذواتها واعراضها نعبده اي نخصه بالخضوع له ونطيعه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه هو في ذاته صفات المجد اي الشرف والملك والصفات الحميدة لم يزل متصفا ويلزم منه الوحدانية له تعالى ذاتا وصفات وافعالا خلافا للخابطية بالخا المعجمة والموحدة والطا المهملة اصحاب احمد بن خاطب وهم فرقة من المعتزلة وخلافا للحدثية بالحا والدال المهملتين بعدهما مثلثة نم تحتية اصحاب فضل الحدثي وهما من اصحاب النظام وكانا يزعمان للعالم الهين احدهما محدث والاخر قديم فالمحدث المسيح وهو الذي يحاسب الخلق يوم القيمة وهو المراد بقوله تعالى وجا ربك والملك صفا صفا وهو الذي ياتي في ظلل من الغمام وهو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله خلق ادم على صورته وبقوله يضع الجبار فيها قدمه لو كان اي لو قدر ان يكون في ملك ربي الواحد الذي لا شريك له والتربية تبليغ الشي شيا فشيا الى الحد الذي يريده المربي من يشاركه اي يعينه في فعله على تقدير الوهيته افضى للخلاف اي التنافي المودي لانواع من الخلل اي الفساد قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو وجد فردان متصفان بصفات الالوهية لامكن بينهما تمانع بان يريد احدهما حركة زيد والاخر سكونه لان كلا منهما في نفسه امر ممكن وكذا تعلق الارادة بكل منهما اذ لا تضاد بين الارادتين بل بين

مذهب الخابطية والحدثية في وحدانيته تعالى

قف على تعريف الربوبية

دليل التمانع

المرادين وحينئذ اما ان يحصل الامران فيجتمع الضدان او لا فيلزم عجز احدهما
وهو امارة الحدوث والامكان لما فيه من شائبة الاحتياج فالتعدد مستلزم لامكان
التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا وهذا ايضاح لبرهان التمانع وصفاته وادلته
بل على تقدير تعدد الاله يلزم الفساد بان لا يمكن وجود شيء من البتة لان التعدد
في الالوهية لما استلزم العجز العام لزم ان لا يمكن وجود ممكن على العموم كما قال تعالى في الكتاب
في كتابه العزيز لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اي لو كان في السموات والارض الهة
معبودون غير الله تعالى لفسدتا اي خربتا اي لفسد التدبير لان احدهما ان اراد
شيئا واراد الاخر ضده كان احدهما عاجزا وهو مستلزم لعجز الاخر والفساد
اي والتدبير الفاسد وهو ما لا يفيد في الجملة ليس على شيء من الممكنات بمتمكن لا
ايجادا ولا اعداما لاستلزامها القدرة وقد ثبت عجز كل منهما بل دعوى تعدد الالهة
كاذبة لانا لم نشاهد من الممكنات الموجودة سوى صنع اي مصنوع وصنعته لمقتدر
اي تام القدرة قد اتقن اي احكم الصنع اي المصنوع في عالم علو اي علوي وهو ما
ارتفع من الفلكيات من سموات وكواكب وغيرهما وانقن الصنع ايضا في عالم منسفل
خلافا المستعلى وهو ما نزل عن الفلكيات الى التخوم بحيث ينقطع العالم من ارض
وبحار وجبال وغيرها من غير مثال ولا مادة والاتقان دليل علم الصانع وقدرته
وارادته وحياته واختياره وهو لا يصدر الا عمن يكون موصوفا بما ذكر ثم شرع
في اقامة البرهان على استحالة التعدد مع تقرير الاتقان في الارادة فقال وانما كان
الهنا سبحانه واحدا ايضا لانه ان يفرض العقل اي ان قدر بالتجويز اي المجرد
عن الدليل الهة متعددة والبعض اي وبعضها مفتقر اي يحتاج للبعض الاخر فيتوقف
تصرفه على موافقة القادر له في الفعل اي ايجادا او اعداما او تخصيصا فما فرضه
ليس بصحيح اذ الاله الحق تعالى اي جل عن انه المفترين لا يكون قط متصفا بالافتقار
اي الاحتياج لان معنى الالوهية استغنا الاله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه
اليه وذا اي تعدد الالهة بالعقل لنا تجلى اي فلنعتقد محاليته بالعقل لان الافتقار
ينافي معنى الالوهية لم لا يكون تعدد الالهة محالا اي ممتنع التصور في العقول لنا
اي في عقولنا اذ قادران اي لانه يلزم عليه اجتماع قادرين على المقدور الواحد بجا

كان

بيان وبسطه

كان اداعداما او تخصيصا وهو غير جلي اي غير ظاهر الصحة وهذا هو المسمى عندهم
برهان التوارد وتقدم بسطه بالاصل فلا شريك اي لا مشارك له في الخلق بمعنى اخراج الممكن
من العدم الى الوجود ومنه الى العدم اذ لا نظير له في الوهيته فلا مشارك له في اثر
ما لا بالمباشرة ولا توليدا ولا شبيه له اي لا مشابه ولا مماثل له في ذاته او صفته بوجه
او حال قد جل اي عظم الله عن مثل ونظير وكفو وقرين لاتحاد الجميع معنى وعلة
قال تعالى ليس كمثله شيء ومن كلام علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده
واعلم يا بني لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت اثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله
وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه احد وللائمة فاعلم ما يطول ذكره
هنا اي في باب وجوب الوحدانية له تعالى وما يطول ما كثر لفظه وقل معناه او كثر
من الادلة على اثبات الوحدانية له فلنقتصر عن تتبعها بعد ذكر المشهور منها ولا
نطيل باستقصائها والمناقشة بينها

فصل

في بيان تالي
اقسام الحكم العقلي وهو ما يستحيل اي لا يتصوره العقل على المولى اي الرب الجليل
اي الموصوف بنعوت الجلال الحاوي لجميعها جل اي عظم ثناؤه اي وصفه بالجميل عن
ان يحصى لان افراده لا تتناهى وتقدست اي تنزهت وتباعدت اسماؤه عن ان
تكون محدثة من وضع الخلق له بل سمى بها نفسه ازلا والمراد ما دل على مجرد
ذاته كالله او باعتبار الصفة كالعالم او القادر خلافا للمعتزلة حيث زعموا انه
سبحانه كان ازلا بلا اسم ولا صفة فلما اوجد الخلق وضعوا له الاسما والصفات و
هذا القول منهم اشد خطا من قولهم بخلق القران لاشعاره بالاحتياج للغير الاول
الذي ليس قبله شيء الاخر فليس بعده شيء كما شرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث اللهم انت الاول والاخر وقال تعالى هو الاول والاخر ومدلولهما وجوب
الوجود لذاته سبحانه فلا يقبل العدم لا ازلا ولا ابدا وهو يستلزم ثبوت الغنا المطلق
له وحدوث كل ما سواه مع افتقاره تعالى ومن كان كذلك فهو المعبود اي المستحق
ان يعبد وحده ذو قدم هو من الصفات السلبية التي قدمنا انها كل صفة مدلولها
عدم امر لا يليق به سبحانه وتعالى ليست جزئياتها منحصرة ومعناه امتناع ان
يسبق وجوده عدم والا لزم افتقاره تعالى الى محدث ثم محدثه ويحدث محدثه

وهلم جرا لانعقاد المماثلة بين الكل وذلك مفض الى الدور او التسلسل وكلاهما
محال فيلزم وما ادى لذلك وصفا الحدوث المشعر به كاتصافه بمقابل القدم وهو ان يكون
لوجوده بداية وكاتصافه بالجرمية وهو التحيز اي ان تاخذ ذاته المقدسة قدرا
من الفراغ وكاتصافه بالعرضية وهي كونه صفة تقوم بالجرم محال غير مستقل عليه
تعالى فانه لو اتصف باحدهنه مع قيام الدليل القطعي على وجوب استناد جميع
الاجرام واعراضها اليه تعالى لزم حدوثه لقيام البرهان القطعي على حدوث الاجرام
كلها واعراضها ولزم ايضا تقدمه لوجوب القدم والبقاء له سبحانه وذلك جمع بين النقيضين
وانما استحال عليه تعالى وصف الحدوث اذ اي لانه تعالى ليس ذا جسم لان الجسم محتاج
ليس تعالى ذا جسم
لاجزائه الحسية كالجواهر الفردة او المقدارية كالابعاض والجوهر وهو الجزء الذي لا
يتجزأ مفتقر الى التحيز وجزء من الجسم واحقر الاشياء وهو محتاج ايضا الى فراغ وهو
الفراغ
الخلا الموهوم او المحقق يحله الجسم وتنفذ فيه ابعاضه فتقوم به امتدادات تنطبق
على امتدادات الجسم الحال فيه من الطول والعرض والعمق والله سبحانه منزه عن
الامتداد والمقدار لاستلزامهما الجزئية والتجزي وهو محتاج ايضا الى زمان وهو متجدد
الزمان
معلوم يقدر به متجدد موهوم وهو محتاج ايضا الى جهة وهي اسم لمنتهى ماخذ
الجهة
الاشارة ومقصد التحرك وذلك حدود ونهاية والحيز حصر واحاطة والكل محال
عليه سبحانه ولا عرض وهو ما يقوم بغيره لانه مفتقر الى محل يقوم به وتمتنع
بقاؤه لان البقا معنى يقوم بمحل فيلزم قيام المعنى بالمعنى والكل محال عليه تعالى
ان مجسم يعني من وصفه تعالى بالتجسيم كالحشوية وهما صنفان صنف قالوا بتحيزه
المجسمة صنفان
وتصويره وتشكيله على شكل الانسان فشاركوا اليهود في هذا الاعتقاد الخبيث وصنف
قالوا بتحيزه من غير تشكل ولا جارحة ذو جهل لا علم عندهم وذو خطل اي قول
فاسد مضطرب نعيقتهم شر العقايد لقيام القواطع على حدوث الاجسام واعراضها
قال ابن عرفة المالكي والاقرب تكفير المجسم واختار العز بن عبد السلام عدم تكفيرهم
تكفير المجسمة وعدمه
لعسر فهم العوام برهان نفي الجسمية تنزه اي تنزه الرب قطعا اي قولا مقطوعا
بصحته ان يكون له بالعقل اي بدلالة العقل وصف مكان اي ان يتصف بالحلول
تقدسه تعالى عن الحلول
في مكان من الامكنة لان الحلول في المكان من خواص الاجرام لان المكان لا يكون
الا

الا لجسم او جسماني وهو سبحانه يستحيل عليه الجرمية فيستحيل عليه المكان الذي هو
من خواصها مثل ذا اي ما ذكر من احالة الحلول في مكان من كل ما هو من خواص
الاجرام كالاتصاف بالتحيز وهو اخذ الذات قدرها من الفراغ والاتصاف بالمماسة
والمحاذاة للاجرام والقرب والبعد بالمسافة منها والصغر والكبر والجهات احل اي
اعتقد محاليته عليه سبحانه لان الاتصاف بواحد من هذه الامور يوجب الجرمية
والحدوث وهو سبحانه وجب له مخالفته للحوادث بل انما كان مولانا اي ربنا سبحانه
بعد ان خلق الخلق بعزته المراد منها عدم النظير او العظمة باقيا على الكمال الذي كان
عليه قبل ايجاد الخلق اي جنس المخلوق في الازل فلم يلحقه تغيير في ذاته ولا في صفاته
ازلا ولا ابدا ولو جاز عليه التغير لكان حادثا مماثلا لساير العوالم في وجوب الافتقار
الى الفاعل ومن كان كذلك لا يكون عزيز النفس وكثرة امثاله فمن اجاب عما
اوهم الجسمية والعرضية من القران او السنة قال علا الرحمن سبحانه على العرش
وهو قبة ذات قوايم يحمله في الدنيا اربعة املاك وفي الاخرة ثمانية كما تقدمت
الاشارة له فيجب الايمان به اذ اي لانه جا الكتاب اي القران به في قوله تعالى الرحمن
على العرش استوى لكنه يجب ان يعتقد ان علوه سبحانه بلا حلول بالمماسة والمحاذا
ولا كيف اي تكيف بهيئة من هيات الاستقرار في الامكنة من المثل التي كثرت في الاجرام
كالتمكن في الجلوس والتوكي والاضطجاع ونحوها الان ذلك يستلزم الجسمية المقتضية
عقلا للحدوث والعجز وغيرهما من النقص وذلك مستحيل عليه سبحانه لوجوب
مخالفته للحوادث ولا افتقار له سبحانه ايضا الى جهة كالفوق والتحت فالافتقار
الى الجهة والحلول فيها محال لانها لا تكون الا لجسم او جسماني عز عنه دل اي مستقيم
لما يلزم عليه من الانحصار كما تقدس عن شبه اي مشابه يكون اي يوجد له
سبحانه مطلقا ولو حل في مكان لكان جرما والجرم له اشباه وامثال لا تنحصر
ان المشبه وهو القائل بالتجسيم والحركة والانتقال والحلول وحلول الحوادث به
به تعالى وغير ذلك من العوارض الجسمية ممن تاه اي تحير في الزلل حيث
عدل عن طريق اهل الحق فلم يجد له مخلصا الا انه ان شبهه تعالى بشيء من
خلقه لزمه ان يكون حادثا مخلوقا مفتقرا الى رب اخر وهو باطل وان شبهه

بقديم ادعاه مماثلا له عز وجل فقد وصفه بالعجز لما ذكر في دليل الوحدانية
من ان تعدد الاله يستلزم العجز العام وقد مر بك من كلام امام الحرمين ان
المشبه من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره ثم ايها السني الطالب للحق كيف استفهام
تعجب واستعظام يشبه مخلوق لخالقه الذي اوجده او كيف يمكن ان يماثله في
شيء من الصفات ووجه التعجب ان المشبه معترف بانه سبحانه هو الذي اوجد
المخلوقات مخترعا لها وهذا يقتضي وجوب الغنا المطلق والقدرة والارادة والعلم
والحياة والوحدانية ثم يثبت المشبه بينه وبين مخلوقاته وهذا يقتضي عدم اختراعه
لها اذ هو كواحد منها يجب ان يعجز كعجزها قد جل سبحانه عن مثل اي مماثل
ومشابه له مطلقا ثم اشار الى غلط المشبهة القايلين بالجسمية بقوله حقيقة الروح
وهي كما قال امام الحرمين جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام الكثيفة
اشتباك الما بالعود الاخضر هذا اصح ما قيل فيها على طريق الخوض في حقيقتها فقوله
تعالى قل الروح من امر ربي اي من ابداعاته الكائنة بتكوينه من غير سبق
مادة ولو تولد من اصل وعلى هذا اختم هاحال الحياة البطن من الجسد وقيل
بقرب القلب وقيل به واما بعد الموت فارواح السعدا بافنية القبور وقيل بالبرزخ
عند ادم عليه السلام وهي متفاوتة فيما اعظم تفاوت وارواح الكفار ببير برهوت بحضرموت
واما على طريق الوقف عن الخوض فيها كما عليه ابن عباس واكثر السلف فلا جزم
بمحل مخصوص لها من البدن ثم النفس بسكون الفا مرادف للروح لغة كاصطلاح
الحكما والنفس عند الاطبا قوة كلية مدبرة للبدن متصرفة في انواع قوة الجزئية
والروح عندهم بخار الدم ولطيفه وعند بعض اهل الحق من اهل السنة الروح
هي الحياة وعند بعضهم هي عين لطيفة مودعة في هذا القالب ملازمها الحياة
عادة ولها ترقي في حالة النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع اليه حالة اليقظة في
الانسان هو مجموع الروح والنفس والجسد وقد سخر الله تعالى هذه الجملة بعضها
لبعض نجهلها اي لا نعلم حقيقتها لانه لم يرد عنه سبحانه نص يبينها ولذا قال
الجنيد رحمه الله تعالى الروح شيء استاثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من
خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه باكثر من انه موجود قال تعالى ويسالونك

تفسير
على الروح والنفس

محل الروح بعد الموت

عن

عن الروح قل الروح من امر ربي اي مما استاثر بعلمه اظهارا للعجز المرء حيث
لم يعلم حقيقة نفسه التي بين جنبيه مع القطع بوجوده فيرد العلم اليه سبحانه
مع الاقرار بالعجز عن ادراك ما لم يطلعه الله عليه وقريب من هذا كما قال القرطبي
رحمه الله تعالى عجز البصر عن ادراك نفسه كذلك العقل وهو لغة المنع لمنع صاحبه
من العدول عن سوا السبيل وهو الة التمييز فيما غير منعقل على احد الطريقين
وهو المختار لانه من المغيبات التي لم يخبر عنها علام الغيوب فالاولى عدم الخوض
فيه لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم واقوال اهل السنة متطابقة على عرضيته
وجلها انه من قبيل العلوم فهو كما قال الانصاري رحمه الله تعالى غريزة يتهيا
بها لادراك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب انتهى فمحله القلب ونوره في
الدماغ كما ذهب اليه الامامان مالك والشافعي رضي الله عنهما وجمهور المتكلمين
هذا على طريق الخوض في حقيقته ورجحها استاذنا رحمه الله عليه في هداية المريد
لو ادرك اي لحقق القوم يعني المشبهة كنها اي نهاية من حقايقها اي الروح والنفس
العقل ما طال بحثهم اي تفتيشهم عن حقايقها بالعقل والجدل فاختلافهم في بيان
حقايقها تعريفا ووقفا دليل عدم مع كونها مخلوقة فكيف يدرك المشبه كنه مولي
اي خالق للروح والنفس والعقل مع جهله بحقايقها لا شبيه اي لا مشابه له من
مخلوقاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سبحانه اي تنزيها له لا يليق به مما
نسبه اليه المشبه واهل البدع بصفات المجد اي النهاية في الشرف لم يزل متصفا به
ولما كان من قوله فكيف يدرك مولى الى سوال كيف ادركه اهل السنة وباي طريق
عرفوه حتى يسلكه من اراد معرفته اجاب عنه بقوله نعم نحن معاشر اهل
السنة بنور يقين القلب اي بالدليل والبرهان اليقيني الذي لا يبقى معه شك ولا
احتمال نقيض نعرفه سبحانه كما هو الطريق الى معرفته لا بمجرد توهمات باطلة
واقيسة فاسدة كالمشبهة فانهم لم يروا موجودا قايما بنفسه تعالى الله الا وهو
جسم قالوا انه سبحانه كذلك لانه موجود قايم بنفسه تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا كما يليق به في اعدل اي اقوم السبل اي الطرق التي يسلكها الناس في
معرفته تعالى فانها تتشعب الى ثلاث وسبعين طريقا سلك كل فريق من الناس

العقل

ادراكها
صح

طريقا لكن طريقنا التي سلكها الاشاعرة هي التي يؤمن معها الهلاك
دينا واحرى على حسب ما جا به الكتاب والسنة واجمع عليه السلف الصالح
قبل ظهور البدع وهي مستنبطة من الكتاب والسنة جامعة بين الحقيقة
والشريعة وسط بين التشبيه والتعطيل مرتفعة عن الجهل بالله تعالى المنهي
عنه ومنحطة عن ادعا الاحاطة بكنه جلال الذات والصفات المتعذر على
المخلوقات والله تعالى اعلم لهم اي للعلما مقال اي قول مختلف هنا اي في
اي في ذاته تعالى هل هي معروفة للبشر ام لا ان شئت اي ان اردت تعرفه
اي ذلك المقال فاعرفه منهم اي من كتبهم المطولة ولا تعرفه منا قبلي
اي من جهتي فان بسط القول لا يليق بالمختصرات خصوصا هذه المنظومة
المختصرة التي سلك فيها الطريق الاعدل المامون عند كل عاقل والاصح ان
ذاته تعالى غير معروفة لقوله تعالى ولا يحيطون به علما لا تدركه الابصار
واختار الفخر في اول مصنفاته انها معلومة لانه يحكم عليها باحكام والحكم
على الشيء فرع معرفته ثم اختلف فقيل المنع ابدا في الدنيا والاخرة واليه ذهب
الغزالي والامام وذهب القاضي الى الوقف والله تعالى اعلم حارت عقول
اي تحيرت عقول الورى اي الخليقة طرا اي جميعا في ادراك كنه الذات
والاحاطة بها فرجعت وقد عجزت عن الاحاطة وكلها اي جميع العقول
عن جلال الله اي عن الاحاطة بعظمته في عقل جمع عقال ما تربط
به الدابة ولكن المؤمن يدرك بحسب ما كتب له وهذا غير متعذر وانما
حارت عقول الورى في ادراك كنه ذاته العلية والاحاطة بها فرجعت
اذ كل ما خامر اي خالط الاوهام اي الظنون من صور جمع صورة
بيان لكل مخلوقة اي مخرجة من العدم الى الوجود مثلنا لا يدرك بها
الا ما يشبهها من الصور لا خالقها العديم المثيل والشبيه نزه الرب سبحانه
عن ان يماثله حادث ولا تهل اي ولا تغلط في اعتقاد عدم مماثلته سبحانه
للمخلوق الحادث مع اية اي قطعة في كتاب الله وهو اللفظ المنزل على سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى ليس كمثله شيء نافيه عنه

سبحانه

سبحانه كل النقايص اي العيوب التي منها المشابهة للحوادث تنفي كل ذي مثل
اي مماثلة ... تلك الاية بشورى اي بسورة حم عسق لقوله تعالى فيها وامرهم
شورى بينهم والشورى مصدر تشاور وتسمية مدح سبحانه الانصار بانهم قبل قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا اذا ارادوا امرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه وفي
سورة الاخلاص ثانية اي اية اخرى وهي قل هو الله احد الله الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد سميت بذلك لانها خالصة في صفة الله تعالى
او لان اللافظ بها قد اخلص التوحيد له سبحانه تكفي ذوي العقل اي اصحاب
العقول والتصديق بالرسل عليهم الصلاة والسلام في الدلالة على الوحدانية
المطلقة الثابتة لله تعالى واستحالة وجود المثل له واشار الى ان وجوب القدم
يستلزم وجوب البقا بقوله من اي الموجود الذي لا ابتدا له اي لوجوده وهو
القديم فلا انفصال له اي يستحيل ان يلحقه الزوال وهو الباقي فمن لا عدم له
سابق فلا عدم له لاحق والمراد من وصفه تعالى بالقدم سلب الاولية اي
الافتتاح او العدم اللاحق لوجوده سبحانه لان ما ثبت قدمه استحال عدمه
ولانه لو قدر لحوق العدم له تعالى لكانت نسبة الوجود والعدم الى ذاته تعالى
سوا فيلزم افتقار وجوده الى موجد يختر عدم بدلا عن العدم الجايز عليه فيكون
حادثا واللازم باطل فكذا الملزوم بقاوه سبحانه الموصوف به مستمر اي مستحكم
غير منتقل بعدم يلحقه يخرج به البقا بمعنى مقارنة استمرار الوجود زمانا
فصاعدا لاستحالته عليه تعالى بهذا المعنى لامتناع دخول الزمان في وجوده
تعالى وساير صفاته هذا على مختار المحققين ان البقا كالقدم من الصفات
السلبية وقيل اي وقال جماعة من المتكلمين البقا والقدم صفتا معنى فهما
صفتان موجودتان كالقدرة والعلم قايمتان بالقديم والباقي فمعنى كونه تعالى
موصوفا بالبقا على هذا انه باق على اي لاجل وصفه له ببقا يقوم بذاته
كذا القديم عندهم قديم بقدم يقوم بذاته كما ان القادر قادر بقدرة تقوم
بذاته والعالم عالم بعلم يقوم به ووجه البحث فيه اي في هذا القول وهو جعل
البقا والقدم صفتي معنى وصفات المعاني عندهم عبارة عن كل صفة قايمة

القدم والبقاء

صفتا المعاني



موصوف موجبة له حكما كقيام العلم بالذات الموجب لها كونها عالمة **محل** اي
ظاهر وهو انه يلزم على هذا القول ان يكون كل واحد من القدم والبقا الموجودين
في حقه تعالى قديما باقيا لاستحالة اتصافه بالحوادث ولانه لا يعقل موجود في الازل
وفيما لا يزال عاريا عن وصف القدم والبقا ثم يجب ايضا ان يكونا قديمين وباقيين
بقدم وبقا موجودين زايدين على ذلك القدم والبقا القايمين بهما والا لزم نقض دليل
هذا القايل الذي دل على ان القديم والباقي انما هو قديم وباق بقدم وبقا يقومان
به ثم تنتقل الكلام الى قدم القدم والى بقا البقا فيلزم في ذلك ما لزم في الاول ثم كذلك
ابدا فيلزم التسلسل وقيام المعنى بالمعنى **كذا البداية** المقابلة للقدم اي ان يكون لوجوده
سبحانه بداية **لا تخفى استحالتها** لاستلزامها الحدوث لانه لو كان لوجوده سبحانه
بداية لكان وجوده منتفيا قبل ذلك البداية فيكون حادثا فيفتقر الى محدث وتنتقل
الكلام الى محدثه فيلزم فيه ما لزم في الاول ثم كذلك ويلزم الدور ان انحصر عدد
الفاعلين او التسلسل ان لم ينحصر عددهم وكلاهما باطل **اذ تقتضي** اي تستلزم
النفي اي نفي كل موجود قديما كان او حادثا اما الاله فلاستحالة وجوده على
صفة الحدوث واما الممكنات فلتوقف وجودها على وجود الاله فاذا لزمهم
نفيه كان نفيها احرى **لكن** هذا النفي اللازم على تقدير البداية في وجود الاله
غير شمل على شي من الموجودات قديمها وحادثها وواجبها وممكنها اما الممكنات
فالموجود منها لا تنحصر انواعه واما القديم سبحانه فقد دلت القواطع على وجوده
ووجود صفاته وثبوت القدم له سبحانه واستحالة البداية لوجوده **كذا النهاية**
المراد بها نفي البقا **عمن كان ذا قدم** اي موصوفا به **محاله ظاهر** لا يخفى عليك
ان كنت ذا جدل اي صاحب معرفة بتقرير الحجج الشرعية ودفع الشبه وبيانه
انه لو قدر لحوق العدم له سبحانه لكانت نسبة الوجود والعدم الى ذاته تعالى
سوا فيلزم افتقار وجودها الى موجد يخترعه بدلا عن العدم الجايز عليه
فيكون حادثا واللازم باطل فكذا الملزوم لوجوب الوجود له تعالى

فصل

فصل في التنبيه على ما يوهم التشبيه

في التنبيه هو لغة التوقف والايقاظ **على ما يوهم** ظاهره من القران والسنة
اي يوقع في الوهم **التشبيه** اي صحة القول به مما يجب تاويله وصرفه عن

ظاهره

٤٧

ظاهره باتفاق اهل الحق وغيرهم خلا المجسمة والمشبهة المردود عليهم بقوله
وكل ما اوهم القران اي اوقعه في الوهم **من شبه** اي مشابهة بالمخلوق فمنه في
الجهة يخافون ربهم من فوقهم وفي الجسمية هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل
من الغمام وجا ربك او في الجارحة ويبقى وجه ربك يد الله فوق ايديهم **او** اوهمه
الحديث وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما نسب اليه قولا وفعلا واقرارا بطريق
صحيح والا فلا عبرة به كقوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا ان
الله خلق ادم على صورته **فاول** وجوبا اي اخرج **كل محتمل** عن ظاهره المحال
المعارض للمحكم بما يصير به موافقا له والمراد اوله تفصيلا معينا فيه المعنى الخاص
هنا طريق الخلف قدمه لارجحيته ويقال لهم المأولة فيأول الفوقية بالتعالي في
العظمة دون المكان والاتيان باتيان رسول عذابه او رحمته وثوابه وكذا النزول
ايضا على احد تاويلين ذكرنا احسنهما فيما علقناه على ليلة النصف وحديث ان الله
خلق ادم على صورته وارد على سبب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راي شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق ادم على صورته
اي ينبغي لك اكرام صورته والوجه بالذات او بالوجود واليد بالقدرة واشار الى طريق
السلف ويقال لهم المفوضة بقوله **او حذ بمعناه** اجمالا مفوضا علم حقيقته
تفصيلا اليه تعالى مع اعتقاد ان هذه النصوص من عنده سبحانه **واترك لفظ**
ظاهره حال كونك **منزها** له تعالى عما لا يليق به مما اوهمه ذلك الظاهر من المحال
مثل راي السادة الاول اي المتقدمين وهم السلف فقد اتفق السلف والخلف على وجوب
تنزيهه تعالى عما دل عليه ذلك الظاهر من المعنى المحال وعلى الايمان بانه من
عنده سبحانه جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم حقيقته الا هو سبحانه
بنا على الوقف على قوله تعالى لا يعلم تاويله الا الله ثم اختلفوا في تعيين محمل له
معنى صحيح كما ذهب اليه الخلف وعدم تعيينه كما ذهب اليه السلف وقد اشتهر بينهم
ان طريق الخلف اعلم اي يحتاج الى مزيد علم وطريق السلف اسلم اي من الوقوع
في الخطا الا انه لا نقطع فيه بانه مراده تعالى دون غيره ثم مثل ما اوهم الشبه بقوله
كالاستوا في تعالى الرحمن على العرش استوى فان العلما **حكوا** فيه **من قول سيدنا**

طريق الخلف فيما يوهم التشبيه

طريق السلف فيه

تاريخ الامام مالك

امامنا الذى ناخذ بقوله ونعتقد افضليته على غيره ابي عبدالله مالك ابن انس الاصبحي
الحميرى امام دار الهجرة المراد بقوله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا
اباط الابل يطلبون العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة خرجه الترمذى من
حديث ابي هريرة رضى الله عنه قال ابن عيينة وعبد الرزاق وابن جريج نرى انه
مالك ابن انس رضى الله عنه ولد سنة اربع او ثلاث وتسعين او سنة تسعين وتوفى
سنة تسع وسبعين ومائة بالنهى عن التعرض للتاويل حين سيل عن قوله تعالى
الرحمن على العرش استوى فاطرق راسه مليا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستوى غير مجهول
والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما اظنك الا ضالا لا
تسل عنه ثم امر به فاخرج وبعضهم اي العلماء رجح التاويل التفصيلي كما ذهب
اليه الخلف فيه اي فيما اوهم التشبيه من القران او الحديث اذا كان ذلك التاويل جاريا
على اصل القواعد جمع قاعدة وهي امر كلى تعرف منه احكام جزئياته قال
العز بن عبد السلام في بعض فتاويه طريق التاويل بشرطها اقرب الى الحق واليه
ميل امام الحرمين في الارشاد وتوسط ابن دقيق العيد فقال ان كان التاويل يعنى
التفصيلي قريبا على ما يقتضيه لسان العرب لم ننكره وان كان بعيدا توقفنا عنه
وامنا بمعناه على الوجه الذى اريد منه مع التنزيه عن ظاهره المحال ومثل
الاول بقوله تعالى يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله قال فيحمل الجنب على حق الله
وما يجب له وقريبا من هذا المعنى ولا يتوقف فيه وكذلك كون القلب بين اصبعين
من اصابع الرحمن يحمل على ان ارادة القلب واعتقاداته مصرفة بقدرة الله تعالى
وما يوقعه في القلوب ومثل استاذنا رحمه الله تعالى التاويل البعيد بحديث كان ربك
في عمى اذ تاويله بكونه كان غير معلوم للخلق فخلقهم ونصب اياته الدالة عليه وارسل
رسله الداعين اليه بعيد والله تعالى اعلم فاسلكها اي اتبع نهجها اي طريق القواعد
الواضح تصل الى الحق بتيسيره تعالى وتكتم الرد على الخابطية والحشوية ولن يضرك
ما دمت متبعا القواعد اهل الحق وسواس الشيطان وما تحدثك به نفسك من الشبه
الباطلة التي منشاؤها من اللعين اي الملعون المطرود عنه تعالى اذا كرهت ما
يوسوس به لان الله تعالى امرنا بمعاداته وعدم طاعته لانه انما يدعو حزبه

استوى

بعض العلماء رجح طريق التاويل

ليكونوا

ليكونوا من اصحاب السعير الاترى الى ما كان منه في حق ادم عليه السلام فلتستعذ
بالله من الشيطان ان يصدك عن الاعتقاد الحق وابتهل اي بالغ في التضرع اليه
في سوال الاستعاذة ومد يديك جميعا لانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجا اليه لانه
القادر على ذلك دون غيره والتعوذ عند الغضب والوسوسة مستحب لقوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ الاية والتجئ عند ضن عنه اي عن وسوسته لا تجعل له خطرا
اي قدرا ومنزلة فانك مهما اشتغلت عنه بذكر الله ينخزل اي ينقطع عنك و
يتاخر وفي حديث انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس واذا نسى الله التقم
قلبه فوسوس اللهم ثبتنا على الحق بمنك وكرمك يا رحمن فصل في بيان
ثبوت صفاته تعالى المعنوية نسبة للسبع المعاني وهي صفة لا موجودة ولا
معدومة ولا تقوم الا بموجود كالعالمية التي صار بها العالم عند قيام صفة العلم
به عالما والقادرية التي صار بها القادر عند قيام صفة القدرة به قادرا ضرورة
ربط الذات بالصفات لما بينهما من التغاير والصحيح عندنا انه لا ثبوت لصفة
زايدة على العلم والذات العالمة ولا على القدرة والذات القادرة وهلم جرا وانها
قديمة اي يجب لها القدم فلم يسبقها عدم كذاتة العلية اي التي ليس فوقها شيء في
المرتبة والحكم واعلم ايها المكلف بان صفات الله القايمة بذاته ثابتة عند اهل
السنة والمعتزلة صفات انه معنى وهي سبع العالم والقادر والمريد والحي
والسميع والبصير والمتكلم هذا لما اتفق عليه اهل السنة والاعتزال ثم اختلفوا
بعد ذلك فقال اهل السنة قاطبة ان هذه الاحكام السبعة المعنوية تلازمها صفات
اخر وجودية تقوم بذاته تعالى تسمى صفات المعاني وهي القدرة والارادة والعلم
والحياة والسمع والبصر والكلام درا ولاجل التلازم العقلي بين النوعين انه لو
انتفى هذا النوع الثاني وهو صفات المعاني لانتفى النوع الاول المجمع عليه وهي
الصفات المعنوية وذلك يستلزم نفي الالوهية واعتقاد هذا اللازم كفر فلا تقبا
اي لا تابى معتزلة ولا تخطاهم فقد راجيث نفوا هذه الصفات الوجودية
التي هي صفات المعاني وقالوا ان احكامها المعنوية من كونه تعالى قادرا مريدا

لعله خطمه

فصل في ثبوت صفاته سبحانه

صفات المعاني متفق عليها بين اهل السنة والمعتزلة

مرينا عالما الى اخره ثم انه تعالى عز وجل من غير صفة تقوم به اذ لو
كانت قايمة به لكان معه في الازل قدما لاستحالة اتصافه تعالى بالحوادث
كيف والاجماع ان القديم واحد والجواب ان كثرة الصفات لا تمنع وحدة الموصوف
وكذا لا نعبا بالفلاسفة ايضا حيث انكروا الصفات المعنوية والمعاني ايضا
وسبب تلقيب هذه الطايفة المعتزلة ان رجلا وقف على مجلس الحسن البصري — سبب تلقيب المعتزلة
وقال يا امام الدين ظهر في هذا الزمان جماعة يكفرون صاحب الكبيرة يعني
بهم الخوارج وجماعة يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر
طاعة يعني بهم المرجية فما نعتقده من ذلك فاطرق الحسن متفكرا في الجواب
وبادره واصل بن عطا بالجواب فقال انا لا اقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا
يعني في الدنيا والاخرة ولا كافر مطلقا يعني كذلك وقام الى اسطوانة في المسجد
يقرر منهجه ويثبت المنزلة بين المنزلتين ويقول الناس ثلاثة مؤمن وكافر
ولا مؤمن ولا كافر وهو صاحب الكبيرة اذا مات بلا توبة فقال الحسن اعتزل
عنا واصل واصر على ذلك حتى طرده الحسن عن مجلسه وجلس اليه عمرو بن
عبيد فسمي لذلك المعتزلة من الاعتزال وهو الاجتناب ولقبوا انفسهم اصحاب
العدل والتوحيد لايجابهم ثواب المطيع وعقاب العاصي ولنفيهم الصفات وانها عند
اهل الاعتقاد الحق خلافا للباطل وهم اهل السنة قاطبة اي جميعا قديمة
اذ لو كانت حادثة لزم قيام الحوادث بذاته تعالى ويلزم كونه تعالى كان عاريا
عنها في الازل خلافا للكرامية حيث نفوا قدمها صفة للذات الواجبة الوجود
قايمة بها مفتقرة للذات في قيامها بها في الازل وخرج باضافة الصفات الى
الذات الصفات السلبية كليس بمركب والاضافية كقبل العالم والعقلية كالاحيا — الصفات السلبية والاضافية ليست بقديمة
والاماتة فليس شي منها بقديم عند الاشاعرة ولا قايم بذاته تعالى وصفة
الذات ما قام بها او اشتق من معنى قايم بها كالعلم والعالم فصفة الفعل ما — صفة الذات والفعل
اشتق من معنى خارج عنها كالخالق والرازق فانهما من الخلق والرزق
وكذا الاحيا والاماتة فليست ازلية خلافا للحنفية بل هي حادثة ومتجددة
لانها اضافات تعرض للقدرة وهي تعلقاتها بوجودات المقدورات لاوقات

وجود

[illegible]

وجودا بها ولما اثبت اهل الحق الصفات الوجودية وردت عليهم شبهة
من جانب من نفاها تقريرها ان الصفات الوجودية اما ان تكون حادثة
فيلزم قيام الحوادث بذاته وخلوه تعالى في الازل عن العلم والقدرة والحياة وغيرها
من الكمالات واما ان تكون قديمة فيلزم تعدد القدما وهو كفر باجماع المسلمين
وقد كفرت النصارى بزيادة قديمين فكيف بالاكثر فاجاب المؤلف رحمه الله تعالى
عنها بقوله ولا يقال لها اي لا يصح ان يطلق على الصفات القايمة بذاته تعالى
انها عين ذاته لاقتضا هذا اللفظ نفي الصفات واتحادها مع الذات وذلك مستحيل
قطعا والعينية هي الاتحاد في المفهوم ولا غير للذات اي غيرها من الابهام — بجهة صح / الغيرية والخلاف
اي لما يوهمه لفظ الغير والخلاف من صحة العدم والمفارقة اذ الغيران هما
اللذان يصح وجود احدهما بدون الاخر والخلافان هما اللذان يصح اجتماعهما
وارتفاعهما فامتثل ما قاله اهل الحق من ان صفات الذات زايدة عليها قايمة
بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك فهو سبحانه حي بحياة عالم بعلم قادر
بقدرة وهكذا وما نفى المعتزلة الصفات الا هربا من تعدد القدما ونحن
نقول القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات
لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته فالذي ينبغي ان يقال الله تعالى قديم
بصفاته ولا يطلق القول بالقدما لئلا يذهب الوهم الى ان كلا منها قايم بذاته
موصوف بصفات الالوهية ثم شرع في تفصيل صفات المعاني فقال

فصل في بيان صفة الحياة وهي صفة ازلية قايمة بذاته — فصل في الحياة والسمع والبصر

تعالى توجب صحة العلم لموصوفها اي تستلزم وتقتضي ثبوته وامكانه والسمع
وهو صفة قايمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات او بالموجودات فتدرك ادراكا
تاما لا على طريقة التخيل والتوهم ولا على طريق تاثر حاسة ولا وصول هواء
والبصر وهو صفة تتعلق بالمبصرات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لا
على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تاثر حاسة ووصول شعاع فا
فالواجب له سبحانه انه حي كما ثبت بالكتاب والسنة مع ما يدل عليه من
كونه سبحانه عالما قادرا للامتناع قيام صفتي العلم والقدرة بغير الحي وهو الذي

تكون حيا بذاته والحياة الحادثة كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الارادية
وانه سميع اي متصف بالسمع بصير اي متصف بالبصر لقوله تعالى وهو السميع
البصير لا يشغله ما يسمعه عما يبصره ولا ما يبصره عما يسمعه بل يحيط علما
بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدي الصفتين على الاخرى لكن
سمعه سبحانه لا بجارحة اي لا بعضو من اعضا الانسان الذي يكتسب بها السمع
هو القوة المودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الاصوات بخلق
الله تعالى وهذا خرج بقيد الازلية وكذا يبصر سبحانه لا بجارحة ليخرج البصر
الحادث وهو القوة المخلوقة في العصبتين المجوفتين تدرك بها الاضوا والالوان
والحسن والقبح وغيرها مما يخلق سبحانه ادراكه في النفس عند استعمال العبد تلك
القوة وهذا خرج بقيد الازلية كما يليق اتصافه به وانهما لينا كصفتي الخلق
سبحانه معمول فقل اي قل تنزيها له عن ان يتصف بحادث وعزهنا كاثبات
الجارحة للسمع والبصر وانتفايهما بالمرة لما اورد على اثباتهما من انه لو كان سميعا
بصيرا فاما ان يكون السمع والبصر قديمين فيلزم قدم المسموع والمبصر او حادثين
فيلزم كونه محلا للحوادث وانه لو كان حيا سميعا بصيرا لكان جسما واللازم باطل
ضلال عن الحق والضلال نقيض الهدى لا خفا به بل هو ظاهر عقلا ونقلا
لان الاتصاف بالسمع والبصر لا يتوقف عقلا على الجارحة ولا على الاتصالات الجسمية
بلا شك هو خلاف اليقين ولا وهل اي غلط فنحن انما اثبتنا السمع والبصر اذ الاتصاف
بهما كمالي قطعا والكمال ضد النقص ثابت لذي الاجلال اي التعظيم خالقنا اي
مخرجنا من العدم الى الوجود والخلو عن صفة الكمال في حق من يصح اتصافه
بها نقص وهو محال عليه سبحانه فحيث اتصف سبحانه بالخلق لزم ان يكون
حيا فيكون سميعا وبصيرا لانه لو لم يتصف بهما لاتصف ~~بهما لاتصف~~ بضدهما
الصمم والعمى وهما من صفات النقص القايمة بالمشابهة والمماثلة وهو
سبحانه منزه اي يجب تنزيهه عن صفات الشبه اي المشابهة والمثل اي
المماثل عما لا يجوز من النقايص فالسمع والبصر زايدان على العلم مباينان
له حقيقة كما ذهب اليه جمهور اهل الحق وهو احد قولي امامنا الاشعري رضي

الله

رضي الله عنه وقيل اي وقال الفلاسفة والكعبي وابو الحسين البصري معناهما
اي سمعه وبصره تعالى للعلم مرجعه اي مرجع معناهما للعلم نسمعه تعالى و
بصره عبارة عن علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات قال الايمة اهل الحق هنا اي
كون السمع والبصر راجعين الى العلم ضعيف غير معتدل اي غير مستقيم للفرق الضروري
بين حقيقتي السمع والبصر وحقيقة العلم ولان الاصل في الاسما الحسنى عدم تراد
ومن اسمايه تعالى السميع البصير العليم والاصل حملها على التغاير في الحقيقة
والمدلول لكل واحد غير المدلول للاخرين

فصل في

بيان صفة العلم الواجبة له تعالى وهو كما قال السعد وغيره صفة ازلية قايمة
بذاته تعالى ينكشف بها المعلومات عند تعلقها بها اي يجب ان تكون الذات القايمة
هي بها عالمة بكل ما يمكن علمه ولكنه فيه ايهام حدوث الايضاح بعد الخفا فالاولى
منه قول الكمال المقدسي ~~ولكنه فيه~~ صفة ازلية لها تعلق بالشيء على وجه
الاحاطة به على ما هو عليه دون سبق خفا ودليل وجوب العلم له تعالى انه
فاعل لفعل متقن محكم وكل ما كان كذلك فهو عالم وهو العليم قال الاستاذ ابو
اسحاق الاسفرايني رحمه الله تعالى من اسما صفات الذات العليم ومعناه تعميم
جميع المعلومات اي فالمبالغة انما هي باعتبار كثرة المعلومات وحقيقة العلم لا تقبل
المبالغة والعلم اعم الصفات الذاتية تعلقا لانه يتعلق بالممكن والواجب والمستحيل
بدليل قوله تعالى والله بكل شي عليم فهو سبحانه يعلم جميع ذلك جملة وتفصيلا
بعلم قديم باق قايم بذاته سبحانه لا يتناهى ولا يتغير بتغير المعلومات ولا
يتجدد بتجدد المحدثات قد احاط سبحانه اي علم به اي بسبب العلم القايم بذاته
في كل منفصل عن غيره بل كل متصل به خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا الى انه
سبحانه علم ذلك بذاته من غير وجود علم يقوم به لانهم يثبتون احكام الصفات
المقدسة للذات مع انكارهم للصفات وبذا كفرهم امامنا مالك والشافعي رضي الله
عنهما والقاضي في احد قوليه فليس يخفى عليه سبحانه كل ما هجست به الضماير
اي القلوب اي ما يخطر بها ويدور فيها من الاحاديث والافكار من قول ومن
عمل قال تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من

نها

فصل في العلم

حقيقة علمه ما لا تقبل المبالغة فهي باعتبار كثرة المعلومات

كفر المعتزلة بانكار الصفات عند مالك والشافعي والقاضي

قف على هذه الحكاية العجيبة

خلق اي الا يعلم السر الذى خلقه فى قلوب عباده وهو الخالق لها لا بدان يكون
الخالق عالما بما خلق وما يخلق قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل فى شجر كثير
وقد عصفت الريح نوقع فى نفس الرجل اترى ان الله يعلم ما يسقط من هذا الورق
فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير واعنا
كان سبحانه لا يخفى عليه ما هجست به الضماير كما اي لاجل انه احاط اي علم واحصى
اي احاط علمه بكل شيء عددا اي احاط بعدد كل شيء وعلمه فلن يخفى عليه منه
شيء ولم يخرج عن معلومه قال تعالى ولحاط بما لديهم واحصى كل شيء بيا شيء
عددا فى كل علو علا اي ارتفع من العالم العلوي او كل مستفل اي منخفض من
العوالم السفلية فعلمه تعالى شامل لكل معلوم اي من شانه ان يعلم ممكنا كان او ممتنعا
الجزئيات والكليات ولا يقال العلم لله اي لا يجوز ان يطلق عليه مكتسب لان الكسبي
لا يكون الا حادثا وعلمه تعالى قديم لا يتجدد لان المكتسب هو الحاصل عن النظر
والاستدلال اذ ما تعلقت به القدرة الحادثة فلا بد من تجدده وحدوثه فيستلزم
قيامه به تعالى قيام الحوادث بذاته وسبق جهله تعالى بما اكتسب علمه وهو محال
كذا التجدد اطلاقه ايضا على علمه تعالى غير معتدل اي غير مستقيم لاستحالة

ما اوهم التجدد فى علمه تعالى يجب تاويله

اتصافه تعالى بالحوادث مطلقا فما اوهم التجدد كقوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم
يجب تاويله عند الاشاعرة النافيين تعليل الافعال بجعل اللام فى مثله للعاقبة
والفايدة اي فعلنا ذلك فترتب عليه فوايد ومصالح غير باعثة على الفعل لكنها
مترتبة عليه ترتب الاستظلال مثلا على الشجر المغروس كذا التعدد اى تعدد
علمه بتعدد المعلومات بانه يعلم كل معلوم بعلم يخصه لا المعلوم بوجه اى تعدد

لا تعدد فى علمه تعالى

المعلوم الذى تعلق به العلم لا يوجب تعدد العلم كما فى حقنا بل هو سبحانه يعلم
المعلومات التى لا نهاية لها بعلم واحد خلافا لما ذهب اليه ابو سهل الصعلوكي من
انه سبحانه له علوم لا نهاية لها كما ان متعلقاتها كذلك وهو محجوج بالاجماع
قبل ظهور خلافه وكذا التبعض ايضا فى قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه اي
معلومه كما نقلناه بالاصل وليست الوحدة مختصة بالعلم بل هو سبحانه متحد
للوصف اي كل صفة من صفاته متحدة فى الازل لا تعدد لها كالحياة والقدرة

والارادة

والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام فقد قدر الخلق وجعل منهم السعيد والشقي و
علم من يموت مؤمنا وان تقدم منه الكفر ومن يموت كافرا وان تقدم منه الايمان
والارزاق تعلق علمه بها فى ازله فلا يتجدد له سبحانه علم ولا ارادة لشيء منها بل كل
شيء من الكاينات نعم يبديه اي يظهره ويخرجه من العدم الى الوجود بقدرته
الازلية بلا واسطة فى اجل اي فى وقت محدود فى المستقبل على وفق ارادته وعلمه
الازليين

معنى الارادة

فصل فى بيان صفة الارادة

ويرادفها المشيئة عندنا
ان الارادة اي الصفة القايمة بالذات للتخصيص اي الترجيح لاحد طرفي المقدور
من الفعل والترك على الاخر موجبة اي مستلزمة له اي شانها تخصيص كل ممكن
ببعض ما يجوز عليه لانه اتفق على اطلاق القول بانه تعالى مريد وشاع ذلك
فى كلام الله تعالى وكلام الانبيا عليهم السلام ودل على ذلك ما ثبت من كونه تعالى

رد على المعتزلة فى الارادة

فاعلا بالاختيار لان معناه القصد والارادة ورد بقوله فليس عنها ينوب العلم
فى التخصيص بالبدل ولا ساير الصفات كما ذهب اليه اهل السنة والحق على الكعبي
ومعتزلة بغداد حيث قالوا ان ارادته تعالى لفعله هي علمه به او كونه غير مكره
ولا ساه ولفعل غيره هي امره به وهو مردود بان العلم يتبعه الى الموجودات كلها
على حد سوا لا اختصاص لبعضها به عن بعض والارادة انما تتعلق بشيء دون
شيء وفى وقت دون وقت فان يرد سبحانه كاينا خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا هداية
او اضلالا طاعة او معصية صلاحا او فسادا للعباد نفذت اي مضت فينا ارادته

المقتدر

لانه سبحانه هو المقتدر بايجاد الكاينات بلا واسطة على وفق ارادته اذ لا مكره
له سبحانه على فعل ما لا يريده ولا انزل سواه البتة فى شيء فما اراده سبحانه
فهو كاين وكل كاين فهو مراد له سبحانه وان لم يكن مرضيا له ولا ماموا
به قال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون من شا هدايته
يهديه بخلق الهدى والايمان فيه فلا مضل له او يضلل من شا بخلق الضلال

رد على القدرية

والكفر فيه فلا تسل عنه متى يهتدى لانه لا هادي له خلافا للقدرية القايلين
بخلق ايمانهم وهداهم وكفى بقوله تعالى ختم الله على قلوبهم شاهد صدق فى نفي
ايثالهم الايمان وقد طبع على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم ثم فرع على مذهب

الخير والشر خلق الله

اهل الحق فالخير ضد الشر ما زاد نفعه على ضره وهو ما يعبرون عنه بالحسن
وهو ما لا يكون متعلقا بالذم والعقاب يشمل المباح والشر ما زاد ضره على نفعه
والمراد منه ما يعبرون عنه بالقبيح وهو ما يكون متعلق الذم في العاجل والعقاب
في الآجل كل منهما خلق اي مخلوق له سبحانه يجري على يد من شا من عباده
لقوله تعالى ان ربك فعال لما يريد من شر ما خلق الا ان الخير واقع عندنا
برضاه تعالى وامره ومحبته اي ترك الاعتراض على فاعله بخلاف الشر لما على
فاعله من الاعتراض قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر ان الله لا يامر بالفحشا
وكلاهما واقع بارادته تعالى لما تقرر من ان ارادته تعالى متعلقة بكل ممكن
كاين غير متعلقة بما ليس بكاين على ما اشتهر بين السلف وروي مرفوعا الى
النبي صلى الله عليه وسلم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن لكن منهم من منع التفصيل
بان يقال انه تعالى يريد الكفر والظلم والفسق طلبا للادب معه سبحانه كما في
الخلق يقال انه سبحانه خالق الكل ولا يقال خالق القردة والخنازير والقاذورات
خلافا للمعتزلة القايلين ان المريد للشرور والقبايح هو الشيطان كما ان المريد
للافعال الحسنة هو الرحمن ان بذاك يعني الخير والشر قضى باجرايه على يد
من شا وجده على وفق القضا والارادة فليس للخلق في رد المقضي لذي قضا
سبحانه وارادة من حيل اي احتيال يتخلص به منه خلافا للقدرية حيث
ذهبوا الى ان الحذر يدفعه ويمنع منه بل كل انعامه من الايمان والاعمال
الصالحة والآثار المتعلقة بها فضل اي اعطا بمحض الكرم من غير استحقاق ولا معاوضة
فالاعمال الصالحة والايمان امارة على الثواب والنعيم ونقمته اي عقوبته من
شا عدل اي بمحض العدل لا مانع منه عقلا ولا شرعا والاعمال السيئة والكفر امارة
على العقاب من غير ان يكون لها تاثير في شي ولو تفضل او عدل من غير نصب
امارة على ذلك او عكس في الامارة لصح ذلك لا يسيل عما يفعل فهذا اي
اعتقاد الانعام فضلا والعقاب عدلا سبيل اي طريق العدل اي الاقتصاد وهو
عدم الميل الى الطرفين فاعتدل اي استقم في الاعتقاد ولا تذهب الى ما ذهب اليه
الحكما والمعتزلة من ان الثواب والعقاب عن ايجاب او وجوب لانه طريق الجور

وانما

الارادة غير الامر بل بينهما عموم وخصوص من وجه

وانما كانت ارادته تعالى نافذة فيما اراده من الخير والشر والايمان والكفر والطاعة
والمعصية اذ الارادة وهي القصد الى تخصيص الممكن ذاتا او عرضا فعلا او مكتسبا او غيره
فهي غير الامر اذ هو طلب الفعل المكتسب من المكلفين فبينهما لدى المحققين عموم و
خصوص من وجه فايمان ابي بكر رضي الله عنه مثلا مراد له تعالى مامور به
وكفر ابي لهب مثلا مراد غير مامور به وايمانه مامور به غير مراد له تبارك
وتعالى ولو كان الامر مساويا للارادة او مرادفا لها كما يقول به الكعبي ومعتزلة بغداد
للزم في الكفر والمعصية ان يكونا من المامور به كالطاعة والايمان مع ان المامور
به انما هو الايمان والطاعة ويلزم عليه ايضا ان يكون سبحانه امر بما علم امتناعه
كامره بالايمان من علم موته على الكفر كابليس ووزيريه ابوي جهل ولهب
والممتنع غير مراد اتفاقا واما ان الارادة غير الرضى فهو احد قولين لاهل السنة

الارادة غير الرضى او عينه على قولين

لقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والقول الثاني وحكاه الآمدي عن الجمهور ان
الرضى والارادة سيان وحملوا العباد في الآية على المخلصين كما قال تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان لا عجب في مباينة الارادة للامر منه سبحانه حكم عظيم
بلا علل اي لا يجري على مقتضى الاغراض والحكم والعلل المتداولة كما فعلت المعتزلة
سبحانه ربنا اي مالكنا وخالقنا تعنوا اي تذل الوجوه اي الناس وتخضع له
فكنى عن الناس بالوجوه لان آثار الذل انما تبين في الوجه وعن طلق بن حبيب
ان المراد منه وضع الجبهة والانف على الارض في السجود فيكون واقعا في الدنيا
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والا كان واقعا في الآخرة من لم يوصله
الله سبحانه للخيرات كالاعمال الصالحة في الدنيا والنعيم والنجاة من النار لم
يصل اليها

فصل في القدرة

فصل في القدرة وهي لغة القوة وعرفا صفة يتاتى بها
ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة اي تؤثر فيه عند تعلقها به تعلقا
تنجيزيا فيما لا يزال لا انها توجب وجود المقدور خلافا للحكما وانما وجبت له تعالى
لانه صانع قديم له مصنوع حادث وصدور الحادث عن القديم انما يتصور بطريق
القدرة دون الايجاب وليست متناهية كما ذهب اليه الفلاسفة ومن تابعهم لقوله
تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وقدرة الله اي الصفة القايمة به سبحانه

للقدرة تعلقان

موثرة في الاشيا عند تعلقها بها ولها تعلقان صلوحي وهو التعلق القديم بمعنى
انها في الازل صالحة للايجاد او الاعدام على وفق تعلق الارادة الازلية بهما فيما لا يزال
وتنجيزي وهو التعلق الحادث المقارن لتعلق الارادة بالحدوث الحالي ابدل من الاشيا
قوله ممكنها والمراد بالممكن ما لا يجب وجوده ولا عدمه او ما لا يمتنع وجوده ولا
عدمه لذاته فيدخل ما لا يتاتى ايجاده من الممكنات لكن لا بالنظر الى ذاته بل بالنظر
الى غيره كممكن تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه كايمان ابي لهب مثلا وخرج الواجب
والمستحيل لان القدرة صفة موثرة ومن لازم الاثر وجوده بعد عدم فما لا
يقبل العدم اصلا كالواجب لا يصح ان يكون اثرا لها والا يلزم تحصيل الحاصل وما لا
يقبل الوجود اصلا كالمستحيل لا يصح ان يكون اثرا لها ايضا والا يلزم قلب الحقيقة
بصيرورة المستحيل جايزا وكلاهما محال قال تعالى والله على كل شيء قدير بلا اعلاج
وتكلف بواسطة الة ونحوها قال تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب لانه لو توقف تعلق قدرته تعالى ببعض من الممكنات
على واسطة التي يفعل بها او معين يشاركه في الفعل للزم توقف ساير الممكنات على
مثل ذلك لوجوب استوا الممكنات كلها بالنسبة الى قدرته عز وجل وذلك يؤدي
الى التسلسل ولا ضرب اي نوع من العلل جمع علة وهي الغرض الباعث على الفعل
لاستحالة التعليل بالاغراض في حقه تعالى كان ذلك الغرض راجعا اليه سبحانه
او الى خلقه ما قال للشي الممكن يريد ايجاده او اعدامه كن ايما توجهت قدرته
اليه الا وكان اي وجد ذلك الذي اراده من غير احتياج الى تعب ومعالجة ومن
غير قول ايضا وانما هو قضايا برية قال تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن
فيكون على وفق تعلق الارادة الازلية الموافق لتعلق العلم من بطؤ خلاف العجلة
ومن عجل خلاف البطو فتعلق القدرة بالايجاد او الاعدام تابع لتعلق الارادة في
تعلق الارادة بالتخصيص ببعض الجايز تابع لتعلق العلم فلا يوجد سبحانه او يعدم
من الممكنات الا ما اراد ايجاده او اعدامه منها ولا يريد منهما عندنا الا ما علم فما
علم ان يكون ويوجد فيما لا يزال اراد وجوده في الازل وما علم انه لا يوجد فلا
يريد وجوده فالارادة تابعة للعلم لا للامر خلافا للمعتزلة فلا يريد عندهم

تعلق القدرة تابع لتعلق الارادة وهو تابع لتعلق العلم

الا ما امر به من الايمان والطاعة سوا وقع ذلك ام لا فعندنا ايمان ابي جهل لعنه
الله ما مور به غير مراد له سبحانه لعلمه عدم وقوعه وكفرا في لهب نهي عنه
وهو واقع بارادته تعالى وقدرته وعند المعتزلة ايمانه مراد له سبحانه لانه
ما مور به وكفره غير مراد له لنهيه سبحانه عنه فمن هنا لزمهم وقوع الخلل
في ملكه تعالى ان يقع في ملكه ما لا يريد قد جل اي عظم وتنزه سبحانه عن ان
يكون لبعض الاوامر يعني اوامر التكوين الكاينات المعبر بها عن تعلق القدرة
والارادة بكونها وحدوثها امر غير ممتثل بل متى تعلقت قدرته وارادته سبحانه
بايجاد كاين ما او اعدامه امتثل ذلك الكاين مراده تعالى اي قبل الاثر الذي اريد به
فكان كما اراد سبحانه لانه تعالى وحده خالق اي موجد الاشيا اجمعها باتفاق
السلف قبل ظهور البدع والاهوا كذاك افعالنا الاختيارية وما يصدر منا من حركة
وسكون ونحوهما فان الجميع مخلوق له سبحانه قال تعالى والله خلقكم وما تعملون
لا فرق في الخلق بين الذوات والالوان وغيرها ونبه بهذا على فساد مذهب القدرية
مجوس هذه الامة حيث ذهبوا الى ان القدرة الحادثة للعباد هي الموثرة في افعالهم
الاختيارية على وفق ارادتهم ولا تاثير عندهم اصلا للقدرة الازلية في تلك الافعال
الاختيارية ولا يلزم جريانها على وفق ارادته عز وجل ولا خلاف ان الافعال له
الاضطرارية مخلوقة له سبحانه كذا التولد اي الفعل المتولد عن شي انما جرى
ذلك الشي سببا الذلك الفعل من غير ان يكون موثرا فيه تاثير خلق وايجاد كالرمي
اي الالقا بالسهم فانه كان سببا لحركة السهم ولكنه من اي بسبب تاثير محل منفصل
عن محل القدرة الحادثة فانه محل الاندفاع وحركاته هو جرم السهم خلافا للمعتزلة
القايلين بالتوليد وهو ان يوجب فعل لفاعله فعلا اخر كحركة اليد توجب حركة
المفتاح فالالم الحاصل في المضروب عقب ضرب انسان والانكسار الحاصل في المكسور عقب
كسر انسان والموت الحاصل في المقتول عقب قتل انسان ليس الا بخلق الله تعالى لا
صنع للعبد فيه عندنا البتة لا تخليقا ولا اكتسابا ولما كان مذهب المعتزلة تخصيص بعض
صفات الله تعالى المتعلقة ببعض ما يصلح ان تتعلق به رد عليهم بقوله من
رام اي قصد بالعقل المجرد عن الدليل تخصيصا لقدرته ببعض الممكنات فزعم ان

رد على القدرية

رد على القائلين بالتوليد

القدرة الحادثة موثرة بالمباشرة او التوليد مع عموم تعلقها بجميع الممكنات التي منها الشرور والقبايح والتخصيص قصر العام على بعض افراده او غيرها صفة اورام تخصيص صفة غير القدرة كالارادة فانهم خصصوا تعلقها بالطاعات وبما هو صلاح او اصلح للخلق قد باي رجع بالزلل اي الخطا اي لم يصب بل الاصابة لما تعلقت به القدرة اي لا يخرج عنها فرد من الممكنات لقوله تعالى والله على كل شي قدير الا ان يكون لها اي للقدرة مخصص فان العقل وادلته التي صارت كالعلوم الضرورية والشرع خصصا تعلق القدرة بالممكن دون الواجب والمستحيل كما سبق اتبع هذا القول لانه الحق الذي ينبغي اعتقاده ثم اشار الي المسئلة المترجمة في كتب القوم بمسئلة الكسب وهي من غوامض مباحث الكلام حتى ضرب بها المثل فقيل اخفى من كسب الاشعري وادعى بعضهم انه اسم بلا مسمى فقال وقل للعبد المراد به كل مخلوق صدر عنه صورة فعل اختياري كسب اختيار منه لافعاله الاختيارية بلا تاثير واختراع لها والكسب ما يقع به المقدور بلا صحة انفراد القادرية او ما يقع به المقدور لا في محل قدرته وقد علمنا بالبرهان انه لا خالق سواه تعالى وان لا تاثير الا للقدرة القديمة وعلمنا بالضرورة ان القدرة الحادثة للعبد تتعلق ببعض افعاله كالصعود دون البعض كالسقوط فنسمي اثر الحادثة كسبا وان لم نعرف حقيقته و هو الذي صار العبد به اي بسببه مكلفا بالتكاليف الشرعية ليس العبد عن كسب لافعاله الاختيارية بمعزل بل هو ملازم له ضرورة تعلق التكليف بافعاله فعلا وتركا من غير ان يكون موجدا لشي من الافعال وخالقا وانما له فيها نسبة الترجيح كالميل للفعل والترك هذا مذهب اهل الحق وذهب الجبرية الى ان العبد مجبور في جميع افعاله لا اختيار له في شي منها وانما هو الة للفعل كالسكين للقاطع و الشجرة للريح بل كخيط معلق في الهوا يميله الريح يمينا تارة وشمالا اخرى من غير قدرة على مخالفتها او موافقتها فالحيوانات عندهم في افعالها بمنزلة الجمادات لا تتعلق بها قدرها لا ايجادا واختراعا ولا تناولا واكتسابا وهذا ابطله اهل السنة بما يجده كل عاقل من الفرق الضروري بين حركتي المرتعش الارتعاشية والارادية حال تناول بعض الاشيا فانهم قالوا التحرك ضد السكون لم يوجد

لم يتعش

[Right margin notes:] تنبيه على مسئلة الكسب — مذهب الجبرية في الافعال — القدرة صح

لم يتعش اي لم يقع منه بالاختيار اي باختياره وارادته ولكن وقع بالبلا اي بسبب المرض الذي بل به بخلاف حركته الاختيارية ويلزم الجبرية عدم التكليف للعبد بامر من الامور فلا يصح لغة ولا شرعا طلبه بالفعل ولا نهيه عنه ولا مدحه ولا ذمه وتوبيخه عليه وهو باطل باجماع المسلمين وذهب المعتزلة ومن وافقهم من اهل الزيغ الى ان العباد موجدون لافعالهم مخترعون لها بقدرهم ثم المتقدمون منهم كانوا يتنفون من تسمية العبد خالقا لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا هو سبحانه وتجرا المتاخرون منهم وسموا العبد خالقا على الحقيقة لافعاله الاختيارية الصادرة عن قدرته الحادثة وان كانت القدرة مخلوقة لله تعالى وهذا ما اشار الى رده ايضا بقوله لانه خالق الاشيا جميعها كذاك افعالنا والاليق البسط لهذه المسلة بتوسيع العبارة وبيان ادلة اهل السنة ورد شبه المخالفين لانها مسئلة مهمة تحتاج الى سداد الفهم وتمام النظر لكن البسط لا يليق بنا في هذه المنظومة ليلا يودي الى السامة والملال تكفي الاشارة اي الايما الى المسايل والمعاني طلبا للاختصار وان اردت البسط راجع كتبهم اي عد الى مطالعة كتب المتكلمين تصل الى ما تريده من بسط العبارة وتوسيعها في تقرير المذاهب والاستطاعة اي القدرة الحادثة التي عنها الكسب عرض مقارن للمقدور وهي الفعل تصحبه يخلقه الله سبحانه عند قصد الاكتساب بعد سلامة الاسباب والالات فان قصد فعل الخير خلق الله تعالى فيه قدرة فعل الخير وان قصد فعل الشر خلق فيه قدرة فعله ان شا فكان هو المضيع لقدرة فعل الخير بقصده فعل الشر وذلك كسبه فيستحق الذم والعقاب ولذلك ذم الله الكافرين بانهم لا يستطيعون السمع واذا كانت الاستطاعة عرضا وجب ان تكون مقارنة للفعل بالزمان وذا مذهب اهل الحق فهو خلافا اي يخالف لما قد قال معتزل من انها لا تجب مقارنتها للفعل بل توجد قبله لانهم اعتقدوا ان القدرة الحادثة هي المؤثرة في وجود الفعل على سبيل الاستقلال والاختيار فلا بد من تقدمها على الفعل لوجوب تقدم الصفة المؤثرة بالاختيار على اثرها وهذا باطل لما يلزم عليه من وقوع الفعل بلا استطاعة وقدرة عليه اذ يمتنع بقا الاعراض وقد مر بك

[Left margin notes:] مذهب المعتزلة فيها — الاستطاعة عرض عند اهل الحق الاشعري

فصل في الكلام

سبب تلقيب حسن البصري لهم بهذا اللقب **فصل في**
الكلام لاختلاف لارباب الملل والمذاهب في كونه تعالى متكلما قال الله تعالى وكلم
الله موسى تكليما ولانه تعالى حي فهو قابل للكلام وضده ومتى لم يتصف بالكلام
وجب ان يتصف بضده وهو نقص يجب تنزيهه تعالى عنه فتعين كونه متكلما
بالمعنى الذي ذكره اهل الحق **ثم الكلام** الذي نثبته **له** تعالى **وصف** اي صفة ازلية
منافية للسكوت والافة هو بها آمر ناه مخبر **يقوم به** اي بذاته العلية خلافا
للمعتزلة حيث ذهبوا الى انها قايمة بالغير كشجرة ونحوها ورد بقوله **كما** اي على
الوجه الذي **يليق به التنزيه** اي التبعيد عن السوء وما لا يليق به من المحدثات
على ان الحشوية والحنابلة اصحاب البدعة لا اصحاب الامام احمد رضي الله عنه
حيث ذهبوا الى ان كلامه تعالى صفة تقوم به لكنهم جعلوها حروفا واصواتا
واعتقدوها تليه في خزانات اخر **لست الى** اي انولي **اطالة** في صفة الكلام ولا
في غيرها من الصفات اعتمادا على ذكرها في الكتب الموضوعة لذلك لان الاطالة
تودي الى السامة والملال **سيما** اي خصوصا الاطالة **في مثل مسئلة** دهرهما
يسال عنه من العلم **يحتاج منتهها للبحث** اي التنقير والتفتيش مع المخالف
والجدل اي المجادلة معه والجدال عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه و
نسبته الى القصور والجهل فيه بعد قيام الحجة او الاصرار على الباطل بعد
ظهوره كان مذموما **من اجل ذا** اي من اجل ان الكلام صفة قايمة بذاته
تعالى على ما يليق به التنزيه **قال اهل الحق** المراد بهم اهل السنة والجماعة
لقبوا به لاثباتهم الحق دون السوفسطائية لانهم لما انكروا حقايق الاشياء لم
يثبتوا الحق اولانهم اهل الجزم والاحتياط فانهم حفظوا ظاهر السنة وما جرى
عليه السلف ولم ينصرفوا عنه لداعي العقل ما امكن **قاطبة** اي جميعا **ان القران**
يعني المعنى النفسي المدلول بهذا اللفظ المقروء وهو **كلام الله** الذي اوحى **للرسل**
اي اللفظ الدال عليه وانزله عليهم بواسطة جبريل عليه السلام لقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا فهو صفة واحدة لها تعلقات شتى يعبر عنها
بنظم مخصوص يسمى القران وبنظم مخصوص يسمى الانجيل وبنظم مخصوص يسمى

التوراة

الجدال

والجدال ان قصد به اظهار الحق كان محمودا وان قصد به رد الحق صح

وجه تسمية اهل الحق

جماعة صح

التوراة **وانه** يعني القران بالمعنى النفسي **غير مخلوق** ولا قايم بمخلوق كشجرة
خلقه سبحانه لتسمعه فيها نسمعه موسى عليه السلام كما زعمه المعتزلة فما ورد
في القران او السنة مما يدل على حدوث كلام الله تعالى محمول على اللفظ الدال على الكلام
النفسي المدلول للفظ لانه **له قدم** اي متصف بالقدم فليس وجوده مسبوقا بالعدم
لانه اي القران بالمعنى النفسي **صفة لله** واجب الوجود الموصوف بالقدم والبقا **في الازل** لا
متناع قيام الحوادث بذاته تعالى وقد كان سفيان ابن عيينة رحمه الله يستدل على ان
القران غير مخلوق بقوله تعالى الا له الخلق والامر لان الامر هو الكلام وقد عطفه
على الخلق فاقتضى ان يكون غيره لان العطف يقتضي المغايرة وسبقه الى هذا محمد
ابن كعب القرظي كما ذكره في الاكليل **اما الحروف** جمع حرف وهو صوت معتمد على
مقطع محقق او مقدر **فالاصوات** جمع صوت مع النفس مستطيلا متصلا بمقطع
من مقاطع حروف الحلق واللسان والشفتين وبين وجه الشبه بقوله **محدثة**
اي مخرجة من العدم الى الوجود ومنه الى العدم فما تركب منهما وهو اللفظ
المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك خلافا للحشوية والحنابلة زعموا
ان كلامه تعالى القايم بذاته حروف واصوات منقطعة يتكلم بما شاء منها باللسان
العربي والعجمي وضروب الالسنة الموضوعة لاهل الارض ومع ذلك فهو قديم
ومع ذلك فهو قديم والدليل على بطلان ما ذهبوا اليه ان الحروف **لو حلها**
قدم اي امكن اتصافها بالقدم على ما زعموا **دامت** اي استمرت **ولم تخل** اي لم
تتغير عن حالها لكنها متغيرة لما يعرض لها من التجدد والتقديم والتاخير
والتكرير مما لا يقوم الا بالحادث وكلامه تعالى النفسي منزه عن ذلك **فليس فيها** اذا
اطلق على ما ركب منها انه كلام الله **سوى معنى لالتها** اي ان ما تركب
منها دال **على الكلام** النفسي القايم بذاته تعالى **الذي قد جل** اي عظم وتنزه
عن مثل اي مماثل فالكلام في الحقيقة اسم للمعنى القايم بذاته تعالى وتسمية اللفظ
به انما هو باعتبار دلالته على ذلك المعنى فاذا قلنا كلام الله واردنا اللفظ
المولف من السور والايات كان معنى الاضافة انه مخلوق له تعالى تولى تاليفه
بذاته فليس من تاليفات المخلوقين واذا قلنا كلام الله واردنا المعنى النفسي

الوجود صح

كقوله تعالى انا انزلناه نزل به الروح الامين لا على الكلام النفسي صح

وهو عرض يقوم بمحل يخرج من داخل الرية الى خارجها صح

الكلام اسم للمعنى

معنى الاضافة في قولنا كلام الله

كان معنى الاضافة كونه صفة له تعالى والخلاف بيننا وبين المعتزلة راجع الى اثبات الكلام النفسي ونفيه والا فنحن لا نقول بقدم اللفظي الحادث وهم لا يقولون بحدوث النفسي القديم لو سلموه لانهم وافقونا على امتناع قيام الحوادث بذاته تعالى فمعنى كونه تعالى متكلما عندنا اتصاف ذاته العلية بصفة الكلام القديم الازلي ومعنى كونه تعالى متكلما عند المعتزلة مع نفيهم الكلام النفسي واعترافهم بوجوب تنزهه تعالى عن قيام الحوادث به انه اوجد الاصوات والحروف في محلها او اوجد اشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وان لم تقرا على اختلاف بينهم ويرده ان المتحرك هو من قامت به الحركة لا من اوجدها والا لصح لغة ان يوصف الباري تعالى بالاعراض المخلوقة له وهو ممتنع اجماعا كما قاله السعد وغيره وقد اتفق السلف على منع القول بخلق القران مرادا به اللفظ المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا في مقام بيان وتعليم واما مثل قولنا ونطقي بالقران مخلوق فالراجح جوازه واليه ذهب البخاري واكثر المتاخرين **فصل** في معنى ما تقدم مما يصح اتصافه تعالى به وزيد الادراك وهو تمثل حقيقة المدرك عند المدرك يشاهدها بما به يدرك والمراد منه هنا صفة زايدة على صفة العلم والسمع والبصر تتعلق بالملموسات والمشمومات والمذوقات على عد الصفات الذاتية الذاتية فاثبته القاضي وامام الحرمين على وصف يليق به سبحانه بان لا يكون معها اتصال بمحالها ولا مماسة ولا تكيف بكيفياتها بلا نقص يلحقه سبحانه في الاتصاف بها من تلذذ او تالم اي اتصال بالاجسام كما الفة ذلك في حقنا ولا خلل اي فساد باعتبار تعلقها وذلك بان تتعلق ببعض الموجودات دون بعض كما هو العادة فيها بالنسبة الينا اثبتنا هذه الصفة زيادة عن العلم اذ لا يستغنى به عنها ولانها كمالات وكل حي قابل لها فاذا لم يتصف بها اتصف باضدادها واضدادها نقص لان معها فوت كمال والكمال المطلق لذي الاجلال اي التعظيم نثبته عقلا ونقلا اي بدليل العقل والنقل جميع النقص لنحل اي والنقص في حقه تعالى لكن على ما يليق به من نفي الاتصال بالاجسام ونفي اللذات والالام عن الذات العلية ولهذا امتنع ان

اطلاق

اطلاق لفظ مشتق من الشم والذوق واللمس عليه تعالى لايهامه الاتصال والتكليف مع ان الشم والذوق واللمس ليست نفس الادراكات فينا والادراكات من لوازمها العقلية وانما هي اسباب عادية لها يخلق الله عز وجل معها الادراك غالبا وذهب الاستاذ وجماعة الى الجزم بنفي هذه الصفة اعني الادراك لان بينها وبين الاتصال بتعلقاتها تلازما عقليا فلا يتصور انفكاكها عنه والاتصال مستحيل عليه تعالى واستحالة اللازم توجب استحالة الملزوم ولان احاطة العلم بتعلقاتها كافية عنه عن اثباتها حيث لم يرد بها سمع ولا دل عليها فعله تعالى وقولكم انه تعالى لو لم يتصف بها اتصف باضدادها فيه منافاة العلم لتلك الاضداد وقد وجب اتصافه تعالى به ولانه لم يسمع اطلاق المدرك عليه تعالى كما لم يسمع اطلاق الشام ونحوه عليه تعالى وذهب ابن التلمساني وابو العز مظفر المعروف بالمقترح في جماعة من المتاخرين الى الوقف عن الجزم باثباتها او نفيها وهذا اسلم واصح من طريق الاثبات والنفي والخلاف في هذه المسئلة فرع الاختلاف في دليل اثبات صفة السمع والبصر والكلام فمن اثبتها بدليل العقل اثبت الادراك ومن اثبتها بدليل السمع وهو المعول عليه عندهم نفاه اذ لم يرد باثباتها سمع فتلك القاعدة وهي اثبات الكمال له تعالى ونفي النقص عنه قاعدة اي اساس التوحيد التي بني عليها والمراد منها من التوحيد اثبات الوحدانية له تعالى نعلمها ونعتقدها وهي السبيل اي الطريق لنا الى النجاة من اعدل السبل اي اقومها واصحها ولعله اشار بها الى ما ذهب اليه ابن التلمساني ومن وافقه من الوقف والله تعالى اعلم لان الاثبات يحتاج لدليل والنفي لا يتمشى الا على قول بعض الظاهرية انه تعالى لا صفة له وراء الصفات السبع المذكورة **فصل** اخر بفتح الخاء المعجمة مع مد الهمزة اي زايد في معناه اي ما تقدم ايضا اي كما ان الذي فرغنا منه كذلك واعلم بان صفات السمع اي التي ورد السمع بها ولا يعلم ثبوتها ولا حقيقتها بالعقل اثبتها قوم زيادة على صفات المعاني السبع او الثمان بزيادة الادراك براوا في هذه الصفات الزايدة التي دل عليها النقل مثل

فصل في معنى ما تقدم

الادراك

راي السادة الاول يعني السلف في عدم التعرض لتاويل على الظواهر لكن
السلف جزموا بتنزيهه تعالى عن ظاهرها المحال وتفوا عن ماورا ذلك
وقيل ليست تلك الصفات باقية بمعنى اي على معنى لفظ ظاهرها المستحيل بل
هي موولة مثل الذى مر في فصل في التنبيه على مايوهم التشبيه من وجوب
تاويل كل لفظ يحتمل للتاويل قابل له لايهامه بحسب ظاهره مايستحيل في حقه
تعالى بل بعضها للصفات السبع وهي صفات المعاني راجعة فتكون صفات اخر
ذاتية زايدة على الصفات السبع وان لم تقف على حقيقتها كما نقله جماعة عن
الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل السنة هذا الراي اي الاعتقاد فيها وهي
جعلها صفات مع وجوب الايمان بظواهرها وتفويض علم حقايقها الى الله
تعالى لديهم اي عند العلما اعدل السبل اي اقوم الطرق لانها مسايل علمية
لاينهض فيها دليل التاويل لافادة العلم مثل اليدين في قوله تعالى لما خلقت بيدي
فانه بمعنى القدرة انصرفا لما اوهم بظاهره الجارحة المخصوصة المستحيلة عليه
تعالى وجب الحكم بنفيه وتنزيهه تعالى عن الاتصاف به قطعا واراد بمثل اليدين
كل ماورد به ظاهر الشرع وامتنع حمله على معناه الحقيقي مثل الاستوا في قوله
تعالى الرحمن على العرش استوى فالاستوى مجاز عن الاستيلا وهو تمثيل وتصوير
لعظمة الله تعالى واذا اردت الفوز والنجاة فاسلك اي اتبع سبيلهم اي طريق
اهل الحق في وجوب تنزيهه تعالى عما اوهمته تلك الظواهر مما لايليق به
تعالى مع الايمان بها في الكل اي كل ماورد قرانا وسنة لا تمل عن سبيلهم بالميل
الزيغ عن الحق والطاعة ووجه ربك في قوله تعالى ويبقى وجه ربك انصرف
ايضا للوجود والذات وهذه كما قال القرطبي رحمه الله تعالى هو الذي
ارتضاه المحققون ابن فورك وابو المعالي وغيرهم وقال ابن عباس رضي الله
عنهما الوجه عبارة عنه اي ويبقى ربك ومن هنا الرحمة والكرم والرضى
اثبتها ابن سعيد راي الارادة وليس له دليل يعود عليه فالرحمة راجعة
لارادة الخير بالمرحوم او لفعل ذلك به على الخلاف في كونها من الصفات الذات
او الافعال وكذا الكرم واما الرضى فهو راجع الى الارادة لان بعضهم فسره بانه

الارادة

الارادة لان بعضهم من غير اعتراض وذا اي ماذكرناه من تاويل اليدين
بالقدرة والوجه بالوجود يغنيك علم تاويله عن غيره مما لم نذكره
من ساير اي بقية المثل جمع مثال بمعنى مماثل كالعين في قوله تعالى ولتصنع
على عيني تجري باعيننا وحديث مسلم ان القلوب العباد كلها كقلب واحد
بين اصبعين من اصابع الرحمن فالعين والاصبع صفتان ذاتيتان زايدتان على
الذات وان لم نقف على حقيقتهما على ما نقل عن الشيخ ابي الحسن الاشعري رضي
الله عنه والحق ما ذهب اليه الجمهور وهو المعروف في النقل عن الاشعري انها
مجازات فالعين مجاز عن البصر والاصابع مجاز عن القدرة والله تعالى

فصل في بيان المختار عند جمهور اهل السنة ان اسماه تعالى اعلم

جمع اسم وهو اللفظ الدال بالوضع لمعنى من غير دلالة على زمان ذلك المعنى
والمسمى هو ما وضع ذلك اللفظ بازائه وصفاته عز وجل توقيفية بجواز
اطلاقها عليه تعالى يحتاج الى التوقيف والتعليم من الشارع بان يسمع من لسانه
بطريق صحيح او حسن او ياذن في استعماله بطريق صحيح او حسن فما لم يسمع منه
ولم يوذن في استعماله فعلى المنع والتحريم احتجوا على ذلك بانه لايجوز ان يسمى
النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس من اساميه بل لو سمي واحد من افراد الناس
عالم يسمه به ابواه لما ارتضاه الباري تعالى وتقدس اولى اسماوه اي ما
دل على نفس ذاته تعالى سوا دل مع ذلك على صفة تقوم به كالعالم والقادر
او على فعل من افعاله كالخالق والرازق او لم يدل على زايد على الذات كالله
وصفات الذات اي مادل على معنى زايد على الذات قايم بها من غير ان يدل
بلفظه على الذات العلية كعلمه وقدرته وارادته وحياته نطلقها عليه تعالى
اطلاقا مقيدا بالاذن الشرعي فلا يجوز ان يسمى سبحانه الا بما سمى به نفسه
او سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم او انعقد على التسمية به اجماع وكذا الصفة
ايضا هذا ما اتفق عليه العلما واختلفوا حيث لا اذن ولا منع في جواز اطلاق
ما كان تعالى متصفا بمعناه ولم يكن من الاسما الاعلام الموضوعة من ساير
اللغات اذ ليس جواز اطلاقها عليه تعالى محل نزاع لاحد ولم يكن اطلاقه

فصل في ان اسمائه وصفاته توقيفية

اختلفوا حيث لا اذن ولا منع

سوهما نقصا بل كان مشعرا بالمدح فمنعها اهل الحق مطلقا وجوزه المعتزلة
مطلقا ومال اليه منا القاضي ابو بكر وتوقف امام الحرمين وفصل الغزالي
فجوز اطلاق الصفة من غير اذن ومنع اطلاق الاسم ورد على المعتزلة
والغزالي بقوله اسماؤه وصفات الذات نطلقها مثل الذي يحتاج في العمل فان
الاجماع على منع المكلف من الاقدام على فعل من الافعال قبل ان يعرف حكم الله
تعالى فيه والتسمية فعل من افعال المكلف فلا يجوز الاقدام عليها الا باذن
وبعد توقف الاطلاق على الاذن تعين الاقتصار على ما كان مسموعا وعدم
تجاوزه سواء وهمت كالصبور والشكور والحليم والرحيم او لم توهم كالعالم و
القادر والمراد بالمسموع ما ورد به كتاب او سنة صحيحة او حسنة او اجماع لانه
غير خارج عنهما بخلاف السنة الضعيفة والقياس ان قلنا ان المسئلة من
العلميات اما ان قلنا انها من العمليات فالسنة الضعيفة كالحسنة الا الواهية
جدا وقيل اي وقالت المعتزلة لا يتقيد الاطلاق بالاذن بل نطلق عليه تعالى
من الاسماء اللايق معناها به لفظا ليس يوهمنا نقصا ولا معنى مستحيلا امتنع
اطلاقه ومال الى هذا القاضي ابو بكر الباقلاني واختار ابن العربي ان يطلق عليه
تعالى كل اسم يقتضي التعظيم والمدح اذا لم يتعلق به شبهة قال القرطبي والجمهور على
المنع والاول وهو ان اطلاق الاسماء والصفات مقيد بالاذن من الشارع هو
الحق الذي عليه علماء الاسلام فاسلك اي ابتع طرقه اي الحق تصل الى المطلب
باذنه سبحانه ثم الايمة اي العلماء المقتدى بهم هنا البحث كلهم توكيد للايمة
وفي نسخة كله بالافراد بسطوا في كتبهم المطولة والبسط خلاف الاختصار و
نحن في مقيد متناهذه تنبيهنا الطالب يكفي عن البسط فلا نطيل به لعدم
الناية فصل فيما اي في بيان القول او الاعتقاد الذي زلت اي خرجت
عن الصواب والحق فيه اي ذلك القول او الاعتقاد للمبتدع اي القايل بالبدعة
وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما احدث على خلاف امر
الشارع ودليله الخاص والعام بان يكون الحامل عليه مجرد الشهوة والارادة
القدم فاعل زلت لمخالفته اي لاجل مخالفة المبتدع من تقدم من السلف

الصالح

بلغ
فصل فيما زلت فيه المبتدع القدم

الصالح كالانبيا والصحابة وتابعيهم خصوصا الايمة الاربعة وامامي اهل
السنة ابا الحسن الاشعري وابا منصور الماتريدي رضي الله عنهم فمن مقالة
اي قول اهل الحق يعني اهل السنة والجماعة لاثباتهم الحق قاطبة اي جميعا
ممن عن الدين والاعتقاد الحق خلاف الباطل والتحقيق هو اثبات المطلوب
بدليله لم يحل اي لم يتحول انه لا وجوب اي لا يجب عليه سبحانه شي لان من
شرط الواجب ان يكون اعلا رتبة من الموجب عليه والحق سبحانه خالق
الخلق ومالكهم والمكلف لهم فلا يصح ان يوصف بوجوب شي عليه تعالى من اثابتنا
اي اعطائنا الثواب وهو مقدار من الجزا يعلمه الله عن اي على فعل طاعتنا
وهي فعل المامور به واجتناب المنهي عنه بالحتم اي الواجب الذي لا بد من فعله
بل تفضل سبحانه باعطايه لمن شا من عباده في نظير اعمالهم الحسنة بمحض
اختياره كالبدل اي بدل الاثابة وهو تعذيب من اراد تعذيبه ليس ذلك
عن فعل المعصية بالحتم الواجب عليه تعالى بل نرتجي اي نومل فضله اي
اعطاه سبحانه في اثابتنا والمجاوزة عن تقصيرنا لانه المنفرد بالخلق والاختراع
لافعال العباد ولا تاثير لهم فيها سوى الكسب خيرا كانت او شرا والفضل العطا
عن اختيار لا عن ايجاب كما يقول به الحكما ولا عن وجوب عليه كما يقول به
المعتزلة ومعنى الوجوب عند المعتزلة الاستحقاق اللازم بمعنى انه يقبح تركه
ومعنى عدم الوجوب عندنا انه غير مستحق ولا لازم فيصح تركه ويحسن
اما الاستحقاق بمعنى ترتب العقاب على الترك والثواب على الفعل فمنتف عنده تعالى
اتفاقا فمنه سبحانه توفيقنا هو لغة التاليف وجعل الامر موافقا للاخر وعرفا
جعل شان عبده موافقا للحق والصواب فالتوفيق خلق القدرة على الطاعة
والداعية اليها في العبد على ما ذهب اليه امام الحرمين واراد بالقدرة سلامة
الاسباب والالات فاحتاج الى زيادة قيد الداعية لاخراج الكافر واسقطه
الاشعري لانه اراد بالقدرة العرض المقارن للطاعة ان هدانا اي خلق فينا
الهداية الى الطاعات التي هي افضل السبل اي الطرق الموصلة الى دار الثواب
بفضله وكرمه ففيه رد على القدرية ذهبوا الى ان العبد هو الذي اوجد

معنى الفضل
معنى الوجوب عند المعتزلة
معنى عدم الوجوب عندنا
تفسير التوفيق على معرفة
معنى القدرية

طاعاته بالقدرة التي خلق الله تعالى له ولو كان العبد هو الخالق للطاعات
كما زعموا لم يمتنع ان تكون الاعمال علة لاستحقاق الثواب وامارة عليه فيجوز
عندنا ان يثيب العاصي وان يعاقب الطايع لولا ما اخبر به من اثابته المطيع
فلا يجب عليه تعالى واحد من الامرين فان اثاب على الخير فبمحض فضل
منه وان عذب على الشر فبمحض عدل منه تعالى لا يسال عما يفعل خلافا
للمعتزلة بنوا ذلك على اصلهم السابق من خلق العبد افعال نفسه وكذا سموا
انفسهم اهل العدل كما سموا اهل التوحيد لنفيهم الصفات القديمة وهم احق
ان يوسموا باهل الجور والشرك ورعى اصلح اي ومن راعاه واوجب عليه
تعالى ان يفعل بعباده ما هو الاصلح لا تقتفي اي لا تتبع لبدعته ولا تتقلدها
فانه اي القول به مذهب هو لغة مكان الذهاب او مصدر ميمي اريد به
المفعول المذهوب اليه من الاحكام فالمراد ان مراعاة الاصلح حكم واعتقاد
يعزى اي ينسب لمعتزلي اي المعتزلة لكنهم اختلفوا فذهب معتزلة البصرة الى انه
يجب عليه سبحانه ما هو الاصلح لهم في الدين فقط وذهب معتزلة بغداد
الى انه يجب عليه تعالى ما هو الاصلح لهم في الدين والدنيا ثم اختلفت البصرية
فمنهم من اعتبر الانفع في علم الله تعالى فاوجب ما علم الله انفعيته ومن
هولاء الجبائي ومنهم من لم يعتبر ذلك فزعم ان من علم الله من الكفر على
تقدير تكليفه اياه يجب تعريضه للثواب بان يبقيه الى ان يبلغ قادرا على
اكتساب الخيرات وعلى هذا يلزم في مسيلة الاطفال ترك الواجب فيمن مات
صغيرا وعلى الاول يلزم تركه فيمن كفر ومات كبيرا والبغدادية وان
لم يلزمهم فيها شي لكن الالزام عليهم في تخليد الفساق في النار اشد قبحا
وشناعة وما ذهب اليه المعتزلة باطل لانه مبني على قاعدتين فاسدتين
عندنا احدهما تحسين العقل وتقبيحه في الاحكام الشرعية وثانيتهما استلزام
الامر للارادة ولو وجب عليه تعالى الاصلح لعباده ما خلق الكافر الفقير المعذب
في الدنيا بالفقر وفي الاخرة بالعذاب الاليم المخلد سيما المبتلى في الدنيا بالاسقام
والمحن والافات وايضا لو وجب عليه تعالى الاصلح لما بقي للتفضل محال ولم

يكن

بطلان رعاية الاصلح

يكن له تعالى خيرة في الانعام وهو باطل لقوله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار
يختص برحمته من يشا ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة ولا كبيرة من
الذنوب عند اهل الحق ومنه الاصرار على الصغيرة للطاعات جمع طاعة وهي فعل
الماموربه واجتناب المنهي عنه امتثالا محبطة اي تبطل ثوابها فالصغيرة من باب
اولى على تقسيمنا الذنوب الى صغاير وكباير احباطا كفر خلافا للخوارج حيث
ذهبوا الى ان كل ذنب كبيرة نظرا لعظمة من يعصى به وكل كبيرة كفر وخلافا
لمن ذهب من غير الخوارج الى انها كباير لكن لا تكفير الا بما هو كفر منها وخلافا
للمعتزلة في اخراجهم العبد بالكبيرة من الايمان وان لم تدخله في الكفر الا بالاستحلال
فهذا اي اعتقادات الكباير كفر وهي محبطة للطاعة غير معتدل اي غير مستقيم
لقيام القواطع على ان المومن اذا ارتكب ذنبا ليس من المكفرات وكان غير مستحل
له فانه لا يكفر بارتكابه ولا يخرج به عن الايمان صغيرا كان الذنب او كبيرا
وهذه القاعدة قال بها امامنا مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد رضي الله
تعالى عنهم في اصح الروايتين عن احمد والايات وما تمسك به الخوارج من نحو
قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون لا دليل فيه للايات
والاحاديث الناطقة باطلاق المومن على العاصي كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى والاجماع
من عصر النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا على الصلاة على من مات منا اهل
القبلة من غير توبة وعلى الدعا والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم الكبيرة بعد
الاتفاق على ان ذلك لا يجوز لغير المومن بل باجتناب لها اي الكباير والمراد
من الاجتناب ما يعم التوبة منها بعد الملابسة لا ما يخص عدم الكباير بالمرة
تمحى اي تغفر صغاير يا مطلقا كانت مقدمات للكباير المجتنبة كالقبلة للزنا
او لا هذا مما لم يقع فيه نزاع انما الخلاف في قطعية التكفير وظنيته فذهب بعض
المعتزلة وجماعة من الفقها والمحدثين الى ان المكلف اذا اجتنب الكباير كفرت
صغايره قطعا ولم يجز تعذيبه عليها لا بمعنى الامتناع العقلي بل لورود الادلة
السمعية به مثل قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وذهب

لا احباط بالكبيرة ولا بالكفر

امنوا

انمحاء الصغاير باجتناب الكباير

ايضا الكلام الى ان ذلك الحكم ظنى يقوى فيه الرجا تمسكا بانا لو قطعنا لمجتنب
الكباير بتكفير صغايره بالاجتناب لكانت له فى حكم المباح الذى يقطع بان لا تباعة
فيه وذلك نقض لعرى الشريعة ومبنى القولين جواز العقاب على الصغيرة وامتناعه
والحق جوازه كما قاله استاذنا رحمه الله تعالى والمغفرة مقيدة بتنب الى بالفرايض
لحديث ما من عبد يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكباير السبع
الا فتحت له ثمانية ابواب الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم الاية وفى مسلم عن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير على هذا جماعة اهل التاويل
وجماعة الفقها وهو الصحيح فى الباب واما الكباير فلا يكفرها الا التوبة منها
والاقلاع عنها او فضل الله تعالى كما قاله القاضى عياض وكذا تغفر الصغاير — تكفير الكباير اما بالتوبة او بفضل الله
بالحسنات مطلقا كالوضو والصلاة والصوم والحج المبرور ولكن مشروط باجتناب
الكباير على معنى انه ان كان هناك كباير لا يكفرها الا التوبة او فضل الله تعالى
لا الوضو والصلاة وليس المراد انه مع الكباير لا يكفر شى كما حرره النووى رحمه
الله والذنوب كالامراض والاعمال الصالحة كالادوية لا ينفع فيه غيره كذلك
المكفرات مع الذنوب وتوزيع ذلك موكول الى علم الله تعالى ويشهد له حديث
ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا جهاد وانما يكفرها السعى على
العيال وليس تكفير الاعمال الصالحة عبارة عن اسقاط ثوابها فى نظيرها كما قاله — على حديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا هم السعى على العيال الخ
المعتزلة بل هو عندنا عبارة عن عدم المواخذة بها مع بقا ثواب تلك الاعمال
موفرا على صاحبها وهذا اذا شا الله عدم مواخذة العبد بالذنوب فان اراد
مواخذته بها جازاه عليها بمثلها سوا سوا صغيرة كانت او كبيرة وسوا عملها العبد
حقيقة او طرحت عليه لظلامته الغير ونفاذ حسناته وله سبحانه ان يعفو عنها
ان لم تكن كفرا كما جازى نحن معاشر هذه الامة المحمدية باضعاف اى مضاعفة
وتكثير ثواب على العمل المقبول من غير ان يكون للتضعيف حد او عدد ينتهى اليه — مراتب المضاعفة
لقوله تعالى والله يضاعف لمن يشا فيضاعفه له اضعافا كثيرة واما اقل مراتب

المضاعفة

المضاعفة العامة التى لا يختص بها احد عن غيره ولا يراعى فيها زمان
ولا مكان ولا يعتبر فيها تفاوت الاحوال فقيل العشر المذكورة فى القران والحديث
وقيل السبعماية المضروب بها المثل فى القران ويكون من باب الاخبار بالاكثر
بعد الاخبار بالاقل وتقييدنا العمل بالمقبول لان المضاعفة انما تكون فى الاخرة
لمن جا بالحسنة خالصة مقبولة لقوله تعالى من جا بالحسنة دون
من عمل والتضعيف كما قال بعضهم انما هو فى الحسنات المفعولة ولو بواسطة — فلو هم بحسنة فلم يعملها لمانع كتبت له واحدة ويجزى عليها من غير صحة
لا المأخوذة فى نظير ظلاماتهم من تضعيف كما لا يكون الا الاجزا عبارة عن
فلا تضعيف لتسبيح وخشوع وتكبيرة وقراة من ركعة من صلاة قطعها المصلى
كما حكى عليه بعضهم الاجماع وظاهره ولو لم يتسبب فى قطعها واما الثواب المجازى
به على الحسنة فيجوز ان تضاعف افراده كما صرح به القرطبى رحمه الله تعالى
فى حديث مسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
كانت له عدل عشر رقبات وكتب له ماية حسنة ومحيت عنه ماية سيئة
وكانت له حرزا من الشيطان بقية يومه حيث قال يتم تضاعف كل حسنة من
الماية بعشر قال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه الاكليل فى قوله
من جا بالحسنة فله خير منها دليل على ان الثواب افضل من العمل قال
ابن عبد السلام الا التوحيد فانه افضل من ثوابه وقال شيخ الاسلام سراج
الدين البلقينى بل ثوابه ايضا افضل منه وهو النظر الى وجه الله الكريم
فلا على الله حق واجب من الجزا على السيئات والحسنات بل يكون له
سبحانه حق التفضل بالعفو عن السيات ومضاعفة الحسنات واجب علينا
وهو القيام بشكره مهما ان يشا اى يريده ينل اى يعطى ما اراده من ثواب
او عقاب لمن شا فضلا او عدلا لا يسال عما يفعل فله الحمد والشكر والحسن
بالعقل اى اسناد التحسين الى العقل والتقبيح اى اسناده الى العقل دون الشرع
اى اعتماد المعتزلة فى عقايدهم على التحسين والتقبيح العقليين هو الذى اوقعهم
فيما سبق من الضلالات كايجاب الثواب والعقاب وفعل الصلاح والاصلح
فقاسوا افعال الله عز وجل واحكامه على افعال المخلوقين واحكامهم

من غير ان يكون في ذلك جامع يقتضي التسوية في الاحكام ونحن اهل
الحق للشرع حكم اي نقول لا حكم الا للشرع ان يقل بتحسين شي او بتقبيحه نقل
اي نتبعه في ذلك فالحسن ما طلب منا فعله والقبيح ما نهينا عنه وما سكت
عنه فلا مجال لعقولنا فيه اصلا الحسن بمعنى تلايم الطبع والقبيح بمعنى
تنافره نعقليان اتفاقا

فصل في الرزق

بمعنى المرزوق والاجل وانه بحسب علم الله تعالى واخذ لا تعدد فيه
والاجل لغة الوقت ثم استعمل في اخر مدة الحياة فلذا يفسر بالوقت الذي
علم الله بطلان حياة الحيوان عنده سمي اجلا لانه الوقت المقدر للموت كالاوقات
المقدرة لقبض الديون وانهما كغيرهما من الاشيا الحادثة بتقديره على ما اراد
بحكمته لا عن شهوة وغفلة بل حدث كل منهما على ما خلق سبحانه الى يوم
القيامة فهو سبحانه الرازق لا رازق غيره وقالت المعتزلة من حصل له
الرزق بتعب فهو الرازق لنفسه او بغير تعب فالله هو الرازق له بنا على
اصلهم الفاسد ان افعال العباد مخلوقة والمتولد من افعالهم ينسب اليهم عز
من العزة وهي في الاصل القوة والشدة والغلبة فالعزيز هو الغالب القوي
الذي لا يغلب وجل من الجلال وهي العظمة فالجليل هو الموصوف بنعوت الجلال
والحاوي جميعها هو الجليل المطلق وهو راجع الى كمال الصفات كما ان الكبير راجع
الى كمال الذات والعظيم راجع الى كمال الذات والصفات والله تعالى اعلم وما
وقع به النفع اي الانتفاع في التغذي وغيره كاللباس فاسم الرزق بمعنى المرزوق
يشمله فالرزق عند اهل الحق ما ساقه الله تعالى الى الحيوان فانتفع به
بالفعل فدخل رزق الانسان ولو طفلا في بطن امه والدواب وغيرهما ويشمل
الماكول وغيره مما انتفع به وخرج عنه ما لم ينتفع به وان كان المسوق
للانتفاع لانه يقال في عرف الشرع فيمن ملك شيا وتمكن من الانتفاع
به ولم ينتفع به ان ذلك ليس رزقا له وبهذا يتضح قول اكابر اهل السنة
ان كل احد يستوفي رزقه وانه لا ياكل احد رزق غيره ولا ياكل رزقه
والرزق نوعان ظاهر للابدان كالاقوات وباطن للقلوب والنفوس كالمعا

فصل في الرزق والاجل

الاجل

الرزق بتعب وبغير تعب عند المعتزلة

معنى عز وجل

الرزق عند اهل الحق

الرزق نوعان ظاهر وباطن

والعلوم

والعلوم ولا يتقيد اسم الرزق بما ان كان من الحلال والمكروه بل ولو كان
المنتفع به حصل بغصب وهو اخذ الشي ظلما خلافا للمعتزلة حيث منعوا
كون الحرام رزقا وقالوا لا يكون الا حلالا لاسناده اليه تعالى في الجملة والمستند
اليه لانتفاع عباده لا يكون الا حلالا لا يقبح ان يكون حراما يعاقبون عليه واجيب بانه
لا قبح بالنسبة اليه تعالى يفعل ما يشا وانما عاقبهم عليه لسوء مباشرتهم بالاختيار
ويلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله وهو
خلاف قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وملك غير مكتمل
كانتفاع العبد بماله وكذا من احاط الدين بماله وكذا من انتفع بما اشتراه
شرا فاسدا قبل ان يفوت عنده ورد على المعتزلة بقوله لا انه اي الرزق
كل مملوك لا خذه انتفع به ام لا كقول مبتدع اي صاحب بدعة يفتي بالجدل
لفساده طردا وعكسا اما فساد طرده فلدخول ملك الله تعالى فيه ولا يسمى
رزقا وفاقا والا لكان مرزوقا واما فساد عكسه فلخروج رزق الدواب
والعبيد والاما عند بعض الايمة مع ما يترتب عليه ان ياكل الانسان رزق
غيره وان ياكل غيره رزقه ويحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام كان له
في اخر عهده ابنة صغيرة وكان يشتغل قلبه احيانا بسببها فامر بحضور
البحر وضربه بالعصى فظهرت صخرة فامر بضربها فانشقت وظهر من وسطها
دودة ضعيفة وفي فمها ورقة خضرا وهي تقول سبحان من لا ينساني على بعد
مكاني فلله الحمد سبحانه ولما فرغ من بيان الرزق شرع في بيان الاجل
فقال ومذهب اهل الحق انه لن يموت امرؤ اي كل روح قتلا اي بقتل وغيره
والمراد من القتل ازهاق الروح بعدوان من قواعد اهل الحق ان كل احد
لا يموت بلا انتها اجل وهو الوقت الذي كتب الله في الازل ان علم انتها حياته
فيه بقتل وغيره بل كل حاصل في الوقت الذي علمه سبحانه بايجاده وخلقه
من غير صنع ومدخلية للقاتل فيه لا مباشرة ولا توليدا وانه لو لم يقتل
لجاز ان يموت في ذلك الوقت وان لا يموت من غير قطع بامتداد العمر ولا بالموت
بدل القتل بدليل ان الله تعالى قد حكم باجال العباد على ما علم من غير تردد

الحرام ليس برزق عند المعتزلة

اسبابه صح

ما يلزم المعتزلة

قف على حكاية الدودة التي في الصخرة التي ضربها موسى

الاجل

الذي صح

وانه اذا جا اجلهم لايستاخرون ساعة ولايستقدمون في ايات واحاديث
دالة على ان كل هالك يستوفي اجله من غير تقدم ولا تاخر ثم على
تقدير عدم القتل لا قطع بوجود الاجل ولا عدمه فلا قطع بالموت
ولا بالحياة خلافا للكعبي من المعتزلة حيث ذهب الى ان المقتول ليس
بميت لان القتل فعل العبد والموت فعل الله تعالى اي مفعوله واثر
صنعه فالمقتول له اجلان القتل والموت ولو لم يقتل لعاش الى اجله
الذي هو الموت وخلافا للكثير من المعتزلة حيث ذهبوا الى ان القاتل
قطع على المقتول اجله وانه لو لم يقتل لعاش الى امد هو اجله
الذي علم الله موته فيه لولا القتل ولمات في ذلك الوقت البتة
كما ذهب اليه ابو الهذيل العلاف منهم وخلافا للفلاسفة ايضا
حيث ذهبوا الى ان للحيوان اجلا طبيعيا بتحلل رطوبته وانطفاء
حرارته الغريزيتين واجالا اخترامية تتعدد بتعدد اسباب لا تحصى
من الامراض والافات احتج المعتزلة بقوله تعالى وما يعمر من
معمر الاية وبما جا ان بعض الطاعات يزيد في العمر ونحوه واما
قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
فاجيب عنه بان المعنى ولا ينقص من عمر معمر اخر فالضمير
للمطلق المعمر لا لذلك المعمر بعينه اي لا ينقص عمر شخص عن اعمار
اضرابه ومبالغ مرادا مثاله الا بعلمه تعالى قال حافظ اسيوطي رحمه
الله تعالى جزم بذلك والدي رحمه الله تعالى في فتاويه واحسن
من ذلك ان المراد ولا ينقص من عمره بما يمضي منه من الايام
بذلك فسره سعد ابن جبير وغيره انتهى واما حديث ان بعض
الطاعات تزيد في العمر كصلة الرحم فقد تولى الجواب عنه صاحبه
صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابي الدردا تذاكرنا عند النبي صلى الله
عليه وسلم الاعمار فقلنا من وصل رحمه انسيئ في اجله فقال صلى
الله عليه وسلم انه ليس يزداد في عمره قال الله تعالى فاذا جا اجلهم

للمقتول اجلان عند المعتزلة

للحيوان اجال عند الفلاسفة

احتجاج المعتزلة والجواب عنه

ما يتعلق بزيادة العمر ببعض الطاعات

لايستاخرون

لايستاخرون ساعة ولايستقدمون ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة
فيدعون الله من بعده فذلك الذي ينسا في اجله ويحتمل ان تكون الزيادة
بحسب الخير والبركة او بالنسبة الى ما اثبتته الملايكة في صحفها فقد
يثبت فيها الشي مطلقا وهو في علم الله تعالى كان يعلم ان هذا العبد لو لم
يفعل هذه الطاعة لكان عمره اربعين سنة مثلا لكنه تعالى علم انه
يفعلها ويكون عمره ستين سنة مثلا فنسبت هذه الزيادة الى تلك
الطاعة بنا على علم الله تعالى انه لولاها لما كانت تلك الزيادة بل مذهب
اهل الحق انه سبحانه حكمه اي قضاوه واحد غير متعدد في الرزق
فما قدره رزقا للحي ياكله وينتفع به لا يتخلف عنه ولا ينتفع به غيره
ولا يموت حتى يستوفيه وفي حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم
ان احدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت والاجل ايضا فما قدره
سبحانه اجلا للموت حي لا يتعداه بنقص ولا زياده ولا يتقيد هذا بالرزق
والاجل بل وكذا كل شيء خلقه الى يوم القيمة وبعدها ايضا من سعادة
وشقاوة وطاعة ومعصية وحركة وسكون بتقدير في علمه فلا يتعداه
لا بحسب زمانه ولا مكانه ولا بحسب هيئته تقديما وتاخيره له اي
لذلك الشي امد اي مدة لو توقعها وارتقاعد ان شا الله سبحانه انشاه
اي اوجده في الحين اي الوقت الحاضر عن عجل فوجد من غير تاخير
وان شا توخره لا يوجد في الحين قال تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وفي
حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه اول من يعلم بموت العبد الحفظة
الذين يعرجون بعمله وينزلون برزقه فاذا لم يخرج له رزق علم انه
ميت

فصل في بيان الجايزات

جمع الجايز ثالث اقسام
الحكم العقلي وهو ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه اما ضرورة
كالحركة او السكون للجرم واما نظرا كتعذيب المطيع واثابة العاصي وهذا
الحكم وان كان جايزا في نفسه لكنه واجب الاعتقاد كما هو مذهب
اهل الحق والسنة واستدل الخطابي لوجوبه بقوله صلى الله عليه وسلم

متعلقه ثم يعود الى موجب علمه تعالى او بالنظر الى ما في علمه تعالى صح

اول من يعلم بموت العبد الحفظة

فصل في الجائزات

بلغ

رؤية الله عز وجل من باب الاعتقاد

ان رؤية الله عز وجل

الايمان ان تومن بالله وملايكته ولقايه وتومن بالبعث قال فقوله
وتومن بلقايه فيه اثبات رويته تعالى في الدار الاخرة قال البيهقي
وعندي لو وقف الحليمي على هذا الحديث وتاول اللقا على ما تاولنا الخطابي
وجماعة من اصحابنا لجعل الايمان بلقا الله وهو رويته سبحانه
والنظر اليه شعبة من الايمان ذكره حافظا اسيوطي رحمه الله تعالى
فمنها اي من الجايزات العقليه وبعض جزئياتها التي لو خلي العقل و
نفسه لم يحكم بامتناعها ولو بوجوبها روية المومنين المولى اي الرب المالك
سبحانه اي تنزيها له وتعالى عن افك المفترين ومعنى كون الروية في
حقه تعالى انه يجوز عقلا ان تتعلق قدرته تعالى بايجادها لخلقه
فيخلقها لهم على وفق مراده ويجوز عقلا ان لا يخلقها لهم فلا يستحيل
خلقها ولا يجب وقالت المعتزلة بل خلقه سبحانه لهذه الروية مستحيل
فروية الله سبحانه في الاخرة بالابصار جمع بصر وهو المحل الذي تخلق
الله فيه الابصار عادة عند وجود شرطه والتصريح به تحرير لمحل
النزاع بين المختلفين فان اهل السنة قاطبة على تجويزها كذلك بالشرط
المذكور اذ الروية بالبصر يصح ان تقع بدون مقابلة وجهة وان
تتعلق بذاته تعالى دون جهة ومكان لان هذه شروط عادية للروية
يصح ان تتخلف واحالها المعتزلة بنا على ان ما ذكر شروط عقلية للروية
والكرامية والمشبهة على تجويزها في جهة ومكان لاعتقادهم الجسمية
له تعالى لكن لا كالاجساد ثابتة للمومنين دون الكفار والمنافقين فانهم
لا يرونه سبحانه لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون الموافق
لقوله تعالى لا تدركه الابصار ولانهم ليسوا من اهل الاكرام والتشريف
وقيل انهم يرونه سبحانه ثم يحجبون عنه لتكون الحجبة حسرة عليهم
وجعل النووي رحمه الله محل الخلاف المنافق واما الكافر غيره فلا
يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه ساير الحيوانات غير العقلا وروية عموم
المومنين مجمع عليها في الجملة والمراد بالمومنين من اتصف بالايمان

تنبيه امكان رؤية المولى سبحانه

معنى كون الرؤية في حقه تعالى

تنبيه ما يتعلق برؤية الكفار لله

رؤية عموم المؤمنين مجمع عليها

عند

٣٨

عند الوفاة سوا كلف به بالفعل او كان صالحا للتكليف فيدخل الملايكة
ومومنوا الجن والامم السابقة والصبيان والبله والمجانين الذين ادركهم
البلوغ على الجنون وماتوا عليه ومن اتصف بالتوحيد من اهل
الفترة لانه ايمان صحيح اذ هو في حكم ما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم
في الجملة بنا على احد القولين ان رجالا غير هذه الامة يرونه وقد
استدل ابن عبد السلام بعموم قوله تعالى لا تدركه الابصار على ان الملئكة
لا يرونه سبحانه في الاخرة لانه خص منه المومنون بادلة معروفة
فيبقى في الملايكة على عمومه نقله حافظا اسيوطي رحمه الله تعالى واشار
الى ان اثبات الروية سمعي بقوله دليلها اي دليل جوازها محكم القران
اي القران المحكم الذي نظمت اياته نظما لا يلحقها تناقض ولا اخلال وهو
من الاحكام وهو الاتقان ضد المتشابه فالمراد ما كان منه واضح المعنى
لا اشكال فيه ولا تردد فيه اي في القران تلي من التلاوة وهي القراة
كقوله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة قال الحسن نضرت
وجوههم اي زينت اشراقا وحسنا ونظروا الى ربهم عز وجل وكان
ابن عمر رضي الله عنهما يقول اكرم اهل الجنة على الله عز وجل وكان
ابن عمر رضي الله عنهما من تنظر الى وجهه سبحانه غدوة وعشية
ثم تلى هذه الاية ودليلها في كتب الصحيح تلي ايضا والمراد بالصحيح ما
اشتمل من صفات القبول على اعلاها ويقابله الضعيف والحسن فالمجمع
على صحته عند المحدثين هو المتصل الاسناد بنقل عدل ضابط الفواد
عن مثله من غير شذوذ وعلة قادحة من الاخبار جمع خبر وهو
مرادف الحديث على الصحيح فهو ما اضيف اليه صلى الله عليه وسلم قولا او
فعلا او تقريرا او صفة وقيل الحديث ما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم
والخبر ما جا عن غيره وعند الشيخين وغيرهما من حديث جرير البجلي
رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى
القمر ليلة البدر فقال اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون

دليل جواز الرؤية نقلا

تنبيه على تعريف الخبر والحديث

حديث الرؤية

في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها يعني العصر والفجر وكاف التشبيه للروية وهي فعل الراي
لا المراي فالمعنى سترون ربكم عز وجل روية ينزاح معها الشك وتنتفي
معها المرية كرويتكم القمر لا تضامون ولا تمترون فيه كما نبه عليه
حافظا سيوطا رحمه الله تعالى يعضدها اي يقويها في الاحتجاج بها
وقبولها اجماع اي اتفاق من اي الفريق الذي قد مضى اي ذهب في
الاعصر اي الدهور الاول اي المتقدمة كالصحابة رضي الله عنهم فانهم كانوا
مجمعين على وقوع الروية في الاخرة وان الايات والاحاديث الواردة فيها
محمولة على ظواهرها من غير تاويل ومما هو صريح في الرد على منكر
الروية قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله صلى الله عليه
وسلم في تفسير الحسنى الجنة والزيادة النظر اليه تعالى وهو تفسير متواتر
وقد مر بك ان الروية ثواب التوحيد والاجماع لغة العزم واصطلاحا
اتفاق علما العصر على حكم الحادثة اي الخصلة التي من شانها ان تحدث
وتوجد من قول او فعل او غيرهما والاجماع حجة على العصر الثاني
ومن بعده الى اخر الزمان فيجب الاخذ به ويمتنع مخالفته ولذا اطبق
اهل السنة على ان رويته تعالى عقلا واجبة سمعا ثم الرسول يعني موسى
كليم الله الذي اختصه سبحانه بان اسمعه كلامه العلي من غير واسطة
يسالها اي يسال ربه عز وجل الروية حيث قال رب ارني انظر اليك و
بيان الاستدلال منه ان الروية لو لم تجز في الدنيا وكانت ممتنعة الوقوع
فيها يقظة قط لم يرغب موسى عليه السلام ولم يسل اذ يستحيل ان يسال
نبي ما لا يجوز على الله تعالى لان ذلك جهل به تعالى وبما يجب له
ويستحيل عليه والنبي معصوم من ذلك قطعا فسوال موسى عليه السلام
دليل امكانها وعدم امتناعها لكنها وان كانت عندنا جايزة فهي ممتنعة
شرعا الا ما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا على ما جزم به
ابن عباس واكابر الصحابة رضي الله عنهم واختاره المحققون انه عليه

السلام

ما هو صريح في الرد على منكر الروية

قف على حد الاجماع لغة واصطلاحا

السلام راه سبحانه ليلتيذ بعيني راسه وما تمسك به المعتزلة في احالة
الروية مما وقع في سورة الانعام من قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار فانه يدل على نفي الجواز لانه وارد مورد التمدح مدرج
في اثنا المدح فيكون نقيضه وهو الادراك بالبصر نقصا وهو عليه تعالى
محال فاجاب عنه اهل الحق بان عموم النفي فيه في الدنيا وما قبل
الاخرة تخصصه اي نقصره على الدنيا وهذا قول ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لا تدركه الابصار في الدنيا ويراه المومنون في الاخرة لاخباره تعالى
بها في قوله عز وجل وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة او النفي في
الاية من باب سلب العموم لا من باب عموم السلب فالمعنى لا تدركه
طذ جميع الابصار بل ابصار المومنين فقط او المنفي انما هو الادراك بمعنى الاحاطة
والتحديد كما تدرك ساير المخلوقات واما الروية فهي ثابتة او الاية
معناها لا تدركه الابصار المخلوقة في الدنيا لكن يخلق لمن يريد كرامته
بصرا وادراكا يراه تعالى به كمحمد صلى الله عليه وسلم ويويده هذا لما
روي عن مالك رضي الله تعالى عنه قال انما لم ير سبحانه في الدنيا لانه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية
راوا الباقي بالباقي وانما خصصناه بالدنيا لما يعارضه من ادلة الروية
في الاخرة كقوله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله صلى
الله عليه وسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا خوفا من الهمل
اي من اهمال بعض النصوص من غير توفيق بينه وبين ما يعارضه
اذ الجمع بين الادلة ما امكن مقدم على اهمال بعضها فالمومنون يرون
ربهم عز وجل في الاخرة من غير كيف اي تكيف له من مقابلة وجهة
ومسافة مخصوصة واحاطة بل يجب تجرده عنه فالمراد بالمخالفة في
الكيف وجوب خلو روية الله تعالى عن الشرايط والكيفيات المعتبرة
في روية الاجسام والاعراض ولا مثل يماثله بل يرى سبحانه كما اي على
الوجه الذي يليق به سبحانه رغما اي اذلالا وتحقيرا للمعتزلي ضع ونزغها

الكلام على احالة المعتزلي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار



متمسكا بشبه اقواها شبهة المقابلة التي اشار الى الجواب عنها بقوله
من غير كيف وتقريرها ان الرؤية مشروطة بكون المرئي في مكان
وجهة ومقابلة من الرائي وثبوت مسافة مخصوصة بينهما بحيث
لا تكون في غاية القرب ولا في غاية البعد وكل ذلك مستحيل في حقه
تعالى فتستحيل رؤيته والراجح عدم تكفير المعتزلة بانكار الرؤية لانهم
من اهل التاويل كما جزم به القاضي نقلا عن القاضي ابي بكر نعم
يفسق منكر ذلك ويبدع ويؤدب جعلنا الله تعالى من اهلها بمنه
وكرمه

فصل في ثبوت النسخ

عندنا اهل السنة وهو لغة الازالة والنقل وشرعا رفع الحكم الشرعي بخطاب
والمراد من رفعه انقطاع تعلقه بالمكلفين لانه خطاب الله تعالى يستحيل
رفعه وازالته بخلاف التعلق فانه حادث **قد اجمع** اي اتفق **الانبيا** جمع
نبي وهو انسان حر ذكر عاقل بالغ من بني ادم اوحي اليه بشرع امر بتبليغه
ام لا كان له كتاب ام لا كان له شرع مجدد ام لا كان له نسخ لشرع
من قبله او بعضه ام لا **والرسل** جمع رسول وهو انسان حر ذكر بالغ
عاقل من بني ادم اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه كان له كتاب او لا و
لذا كثرت الرسل وقلت الكتب فان الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر والكتب
مائة واربعة **قاطبة** اي جميعا **على الديانة** اي الطاعة والتكليف **بالتوحيد**
الشرعي لانهم جاوا به وبعثوا به لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون **في الملل** جمع ملة
وهي الشريعة لانها تملى وتكتب فكل ملة كلف اهلها بتوحيده تعالى و
افراده بالعبودية وتصديق رسله فيما جاوا به عنه سبحانه والانقياد
له قولا وفعلا واعتقادا فما اباح الاديان بالكفر ولذا شرع قتال الكفار
الحربيين والمفتونين من الزنادقة والمرتدين وعقوبة الدعاة من اهل
البدع والاهوا **واجمعوا على حفظ نفس** عاقلة لانها المتبادرة عند
الاطلاق فما اباح القتل ولا قطع الاعضا بغير حق ولذا شرع القصاص

في

الرابع عدم تكفير المعتزلة بانكار الرؤية

فصل في ثبوت النسخ

تعريف النبي عليه السلام والرسل

حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب والعرض

ص

في النفس والطرف **واجمعوا على حفظ مال** فلا يباح بالسرقة ولا بالغصب ولذا شرع
حد السرقة وقاطع الطريق ولهما معا شرع حد الحرابة **معهما** اي مع
النفس والمال في الاتفاق على الحفظ **نسب** فلا يباح بالزنا ولذا شرع حد
الزنا اذ لولا حفظ النسب ما قام الرجال بالاطفال لاختلاط انسابهم وجود
الجهالة فيها فكان يبقى امر الاطفال موكولا الى النسا الوالدات وهن عاجزات
عن انفسهن فضلا عن اولادهن وذلك يودي الى ضياع الاطفال دينا
ودنيا والى انقطاع النوع الانساني **واجمعوا على حفظ عقل** فلا يباح
بالمسكر ولذا شرع حد السكر والقصاص ممن اذهبه عمدا بجناية
والدية في الخطا **واجمعوا على حفظ عرض** وهو موضع المدح والذم
من الانسان فلا يباح بالقذف ولا بالغيبة ولحفظه شرع حد القذف
للعفيف والتعزير لغيره كاذية الاعراض بغير القذف ولو لم يكن من
شوم الوقيعة في الاعراض الا ما ورد ان من تكلم في عرض اخيه بما لا يعلم
حبس على الصراط ويقال له اثبت هنا ما قلت في حق اخيك فان لم
يثبته زل قدمه في النار لكان كافيا واكد هذه الكليات في وجوب الحفظ
الدين لان حفظ غيره وسيلة لحفظه لان المصلحة في حفظه اخروية
ثم النفوس ثم العقول ثم الانساب ودونه حفظ الاموال وفي مرتبتها
الاعراض ان لم تود الاذاية فيها الى قطع نسب والا كانت في مرتبة الانساب
والمصلحة في حفظ العقول دنيوية واخروية فان من ذهب عقله لا
يبالي بمصالح الدنيا والاخرة والمصلحة فيما سوى الدين والعرض دنيوية
فقط كل واحد من هذه الكليات الست **غير متبدل** من الابتذال وهو
عدم الصون بل هو واجب في جميع الشرايع كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله في خطبته فان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام الحديث وفيه
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا راجع لحفظ الاديان
كما ان حفظ الانساب داخل تحت حفظ الاعراض ومن لازم التكليف بذلك
التكليف بحفظ العقل والله تعالى اعلم **والنسخ** جايز عقلا وواقع سمعا

باجماع المسلمين لا ينكره اي وقوعه في الاحكام الشرعية الا صنف اليهود
وفرقهم ثلاثة فالعيسوية منهم جوزوه وقالوا بوقوعه والشمعونية
منهم منعوه عقلا وسمعا والعنانية منهم منعوه سمعا فقط بنيا على
ذلك على ما زعما ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تنسخ شريعة
موسى عليه السلام وانه انما بعث الى بني اسماعيل خاصة دون بني
لزم ان ينسخ دين موسى عليه السلام مع نص موسى عليه السلام ان
شريعته لا تنسخ وانه قال تمسكوا بالسبت ابدا ومن الكفر ضد الايمان
نحلته اي دعواه وميله من كل ذي نحل اي صاحب نسبة الى مذهب
باطل كالنصارى والمجوس حسدا وبغيا وعنادا كابي مسلم المعتزلي الاصفهاني
الملقب بالحافظ وما انكره هولاء الا توسلا للقول بنفي نبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم يدل لنا قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله تعالى
اعلم نعم شريعة اي دين خير اي افضل الخلق بالاجماع انسا وجنا
وملكا من غير خلاف ناسخة غير الموافق من الاحكام للمشروع لنا
من عمل فقد كان من شريعة ادم عليه السلام تزويج الاخ من اخته
التي ليست توامته وقد اتفق المسلمون على تحريمه بعد ادم عليه السلام
وكان من شرع التوراة ان السارق اذا سرق في المرة الرابعة تنقب اذنه
ويباع وليس كذلك شرعنا فهذا دليل على جواز النسخ ووقوعه ومما
نسخته شريعتنا من احكام التوراة تحريم الشحوم وصيد السبت ومخالطة
الحايض ولحوم الابل وتحريم اليسير من الخمر ونحو ذلك وشريعتنا باقية
الى الابد عليها تقوم الساعة فلا ينسخ شيء منها لعدم تصور الاتي بعده
لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولقوله صلى الله عليه وسلم لن
تزال هذه الامة قايمة على امر الله اي دين الاسلام لا يضرهم من
خالفهم حتى ياتي امر الله اي الساعة واما كسر عيسى عليه السلام الصليب
وقتله الخنزير ووضعه الجزية وعدم قبولها فهو مما علم من شريعتنا
صوابيته لقول نبينا صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام ينزل

حكما

عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويزيد في الحلال
فنزوله عليه السلام غاية لاقرار الكفار ببذل الجزية على تلك الاحوال
ثم لا يقبل الا الاسلام لا ناسخ له والله تعالى اعلم واما نسخ بعض شرع
نبينا صلى الله عليه وسلم ببعض شرعه الاخر فهو واقع ثابت لا ينكره
عاقل والمختار عند اهل السنة ان كل حكم شرعي يقبل النسخ فيجوز
عندنا عقلا نسخ كل الاحكام ولو وجوب معرفته تعالى وتحريم الكفر
خلافا للغزالي والمعتزلة حيث منعا نسخ جميع التكاليف نعم الاجماع
على امتناع وقوعه وخالف المعتزلة فمنعوا نسخ وجوب المعرفة قالوا
لانها حسنة لذاتها لا تتغير بتغير الزمان وكل ما هو كذلك لا يقبل حكمه
النسخ كما منعوا نسخ تحريم الكفر ايضا بناء على قاعدة التحسين والتقبيح
الباطلة وقد ذكرنا انواع النسخ مستوفاة في اتحاف المزيد وارشاده ولما
فرغ من الالهيات وما يتعلق بها من الاحكام الثلاثة شرع في النبوات

فصل في النبوة

وما يتعلق بها كذلك فقال وهي شرعا ايحا الله
تعالى لانسان عاقل حر ذكر بحكم شرعي تكليفي سوا امره بتبليغه ام
لا فهي اعم من الرسالة المشترط فيها التبليغ وانها على مذهب اهل الحق
غير مكتسبة خلافا للفلاسفة حيث زعموا ان الانسان يكتسبها بالرياضات
والتخلق بمكارم الاخلاق وتحري استعمال الحلال وملازمة الخلوة في
العبادة ودوام المراقبة قال ابو حيان ومن ذهب الى ان النبوة
مكتسبة لا تنقطع فهو زنديق يجب قتله ان النبوة عندنا اهل الحق
بمعنى الاصطفا والاختيار فضل من الله ونعمة والفضل العطا الذي
بغير عوض لا عاجل ولا اجل فلا يكون الا لله سبحانه غير مكتسب لما
يلزم على القول به من الخلل في الدين وتجويز نبي مع نبينا صلى الله
عليه وسلم او بعده وهو خلاف قوله وخاتم النبيين وقوله صلى
الله عليه وسلم لا نبي بعدي وهو مناف على ظاهره باجماع اهل الحق وهذه
احدى مسايل كفر بها الفلاسفة وليست النبوة صفة ذاتية للرسول

شروط شرعية وعادية للنبوة

كما ذهب اليه الكرامية لاستوايه مع الخلق في نوع البشرية بل خصها الله
اي النبوة بالمخصوص ممن سبق علمه وارادته باصطفايه لها في الازل قال
تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته اي بمن هو موضع لها ومامون عليها
من البشر الذكور الكاملي العقل والذكا والفطنة وقوة الراي السالمين حين
النبوة عن كل ما ينفر كدناءة الاباء وعهر الامهات والغلظة والفظاظة و
العيوب المنفرة كالبرص والجذام والامور المخلة بالمروة كالاكل على
الطريق والحرف الدنية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البعثة من اداء الشرايع
وقبول الامة واما بعد تقرر النبوة فلا تشترط السلامة من مثل الامراض
المنفرة وهذه شروط شرعية وعادية للنبوة واما شروطها العقلية
فاشار اليها بقوله والكل قد بلغوا الى اخره والنبوة ممكنة جايزة عقلا
في حقه سبحانه واجبة سمعا وشرعا خلافا للسمنية حيث احالت ارسال
الرسل عليه تعالى لتوقفه على علم المرسل بمن ارسله ولا طريق الى ذلك
الا الخبر واعلى انواعه المتواتر وهو لا يفيد العلم عندهم فلعل القايل له
ارسلتك الى قوم كذا شيطان مثلا وخلافا للبراهمة حيث زعموا ان الارسال
عبث لا يليق بالحكيم لاغناء العقل عن الرسل لان ما جا به الرسول ان كان
موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يات به وان كان مخالفا
قبيحا عنده فهو يتركه ولا يفعله وان لم يكن عنده حسنا ولا قبيحا فان احتاج صح
اليه فعله والا تركه فاما شبهة السمنية فجوابها المنع لجواز ان ينصب الباري
سبحانه للرسول على رسالته دليلا او يخلق له علما ضروريا بالارسال واما
شبهة البراهمة فهي مبنية على قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة و
المعجزات اي بعض خوارق العادات الذي تجري على ايديهم المطابق لدعواهم
من فضل المولى الذي ارسلهم لا واجب عليه خلافا لمن اوجب عليه تعالى
المعجزة كما اوجب عليه الارسال كالمعتزلة والا بطلت فايدته من قبول قول
الرسول والتكليف بما جا به لعدم مصدق له على دعواه وهو مبني على
قاعدة التحسين والتقبيح العقلي الباطلة تؤيدهم اي تثبت نبوتهم

النبوة ممكنة عقلا وواجبة شرعا

المنكرون للنبوة شرعا

المعجزات تؤيدهم

وتقويها

وتقويها والا لما وجب قبول اقوالهم ولا الاقتدا بافعالهم ولما بان
الصادق في دعوى النبوة والرسالة عن الكاذب وعند ظهور المعجزة
يحصل الجزم بصدق من ظهرت على يديه وقد اعتبر المحققون
في المعجزة قيودا سبعة اولها ان تكون فعلا لله تعالى او ما يقوم مقامه
١ كالترك ليتصور كونه تصديقا منه تعالى للاتي بها ثانيها ان تكون خارقا
٢ ٣ للعادة لان الاعجاز انما يكون به ثالثها ان يكون ظهوره على يد مدعي
٤ النبوة ليعلم انه تصديق له رابعها ان يكون مقارنا للدعوى حقيقة او حكما
٥ لانه بمنزلة الشهادة وهي لا تكون قبل الدعوى خامسها ان يكون موافقا
للدعوى لان المخالف لا يعد تصديقا كفلق الجبل عند دعوى مدعي الرسالة
٦ ان معجزته فلق البحر حيث عين الخارق سادسها ان لا يكون مكذبا للداعي
كان مما يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب
٧ فانه يدل على كذبه لان المعجزة انما هي نطقه او ايجاده وبعد ذلك هو
مكلف مختار ربما اختار الكفر على الايمان سابعها ان تتعذر معارضته الا
من نبي مثله فان هذا هو حقيقة الاعجاز بطريق جري العادة بها
الى الوحي هو علم في خفا اي اذا اوحى الله بالتبليغ المرسل اي بان يبلغوا
عنه احكامه للخلق ايدهم بالمعجزات ثم شرع في ذكر شروط النبوة
العقلية فقال والكل اي جميع الرسل قد بلغوا اممهم كل اي جميع الذي
امروا اي امرهم الله بتبليغه من الاحكام التي ارسلوا بها اليهم للاجماع على
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ كلا او بعضا ولو في
قوة الخوف وزمان التقية ما لم ينسخ قبل التبليغ ولو جاز عليهم كتمان
شي لكتم نبيهم الاعظم صلوات الله وسلامه عليه قوله تعالى وتخفي
في نفسك ما الله مبديه مما اعلمه الله تعالى بان زيد بن حارثة
سيطلق زينب بنت جحش وانها تكون من ازواجه صلى الله عليه وسلم
كيف وقد قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على

قيود سبعة في المعجزة

الشروط العقلية للنبوة

الانبيا معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ

الله حجة بعد الرسل وكتمان شيء مما امروا بتبليغه مفوت لاقامة الحجة
عصمة الانبياء في القول
بالمكتوم والكل اي جميع الانبيا والرسل قد عصموا اي منعوا في القول الصادر
عنهم فلا يكون ما يبلغونه عنه سبحانه الا صادقا مطابقا للواقع لانهم
لو كذبوا لزم الخلف في خبره تعالى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة
قوله عز وجل صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم
بكذبه محض الكذب وهو عليه تعالى محال فيلزم وضده كذلك والعصمة لغة
في تعريف العصمة
المنع والحماية واصطلاحا ان لا يخلق الله في المكلف الذنب مع بقا قدرته
واختياره وهذا معنى قولهم هي لطف من الله بالعبد يحمله على فعل الخير
ويزجره عن الشر مع بقا الاختيار تحقيقا للابتلا وعصموا في العمل الصادر
عصمة الانبياء في العمل
عنهم ايضا فلا تكون افعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الاولى لان كمال
شرفهم وعلو قدرهم يابى ان يقع منهم ما نهوا عنه ولو نهيا غير جازم قال
السبكي رحمه الله تعالى فالانبيا عليهم السلام معصومون من تعمد الكذب
الذنب بعد النبوة بالاجماع وانما اختلفوا في وقوع الصغيرة سهوا فمنعه الاستاذ
ابو اسحاق الاسفرايني والقاضي عياض وهذا هو الذي ندين الله به انتهى
نعم قد يقع منهم في بعض الاحايين ما يكون في حقنا مكروها او خلاف
الاولى لبيان الجواز وهو في حقهم افضل لتضمنه القيام بواجب بيان الشريعة
ما يستحيل في حق الانبياء ويجوز عليهم
واجب عليهم وحيث اتصفوا بالتبليغ والعصمة والامانة يستحيل عليهم اضدادها
وهي كتمان شيء مما امروا بتبليغه والكذب والخيانة بفعل منهي عنه نهي تحريم
او كراهة ويجوز في حقهم الاعراض البشرية التي لا تقدح في مراتبهم العلية
كالجوع والمرض ونحوها التعظيم اجورهم بالقيام بحقوق تلك الاعراض ووحي
رؤياهم المناميه حق كيقظتهم لقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام
اقسام الوحي
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك لانه تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم اذ كلهم
وصمة اي عيب الاحلام من التخليط وضعف الادراك لم تنل اي لم تصبهم
وقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم بان كلمه بانواع الوحي الثلاثة الرؤيا
الصادقة والكلام من غير واسطة وبواسطة جبرايل واسرافيل عليهم

السلام

السلام بخلاف الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان الوحي الى جميعهم كان مناما
الا اولي العزم الخمسة فانه اوحي اليهم يقظة ومناما وقد جمعنا بالاصل
مما له تعلق بالمبحث ما لا يستغني عنه طالب وكما وجبت عصمة والرسل عليهم
الانبياء
عصمة الملائكة
الصلاة والسلام كذلك وجبت عصمة ما لله من ملك وقد مر بك من كلام
السعد رحمه تعالى القول في الملايكة وتمامه انهم لا يوصفون بذكورة ولا
بانوثة كانه لم يدل عليه عقل ولم يرد به نقل وزعم عبدة الاوثان انهم
بنات الله باطل حديث اي قصة هاروت مع ماروت الذي رواه الكلبي
وغيره انهما مع كونهما من الملايكة فتنا بامراة وراوداها عن نفسها
باهل قصة هاروت وماروت
فابت الا ان يدخلا في دينها ويشربا الخمر ويقتلا النفس التي حرم الله فاجابا
وفعلا جميع ذلك غير جلي اي غير ظاهر الصحة لانه خلاف ما وجب للملايكة
عليهم السلام من العصمة قال القاضي عياض رحمه الله تعالى اجمع المسلمون
على ان الملايكة مؤمنون فضلا واتفق ائمة المسلمين على ان حكم المرسلين
منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم عنه وانهم في حقوق الانبيا
والتبليغ اليهم كالانبيا مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة
الى عصمة جميعهم عن المعاصي وذهبت طايفة الى ان هذا منصوص للمرسلين
منهم والمقربين وعصمة الملايكة لا قاطع فيها لكن تستدل مثبتوها بمثل
قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم بل عباد مكرمون
الاية وهذا وان لم يفد القطع لكنه يكتفى به لتعذر غيره كما قاله السعد
والله تعالى اعلم وقد ذكرنا ما يتعلق بالقصة فيما كتبناه على شرح الصدور نفع
لا عصمة لغير الانبياء والملائكة
الله على اكماله ونفع به بمنه وكرمه وعصمة الله الواجبة للانبيا والملايكة
عليهم الصلاة والسلام من جميع المخالفات لا تعرى اي لا تثبت لغيرهم من الصلحا
والاوليا على سبيل التحقق والوجوب لعدم الدليل على ذلك بخلاف الانبيا
والملايكة عليهم الصلاة والسلام نعم قد يخص الله سبحانه بها من يشا منهم
لو نال ذلك الغير غاية اي نهاية كل الخير من زيادة القرب وكشف الحجب
لم يصل الى درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانهم معصومون عن المعاصي

الاولياء محفوظون لا معصومون

مأمونون عن سوء الخاتمة بحكم النصوص القاطعة بخلاف الاولياء فانهم
محفوظون بمعنى انهم كلما اذنبوا وفقهم الله للتوبة لا معصومون فلا يمتنع
وقوع الذنب منهم ولذلك لا يأمنون مكر الله سبحانه فهم يرجون رحمته ويخافون
عذابه وقصده من هذا الرد على الكرامية حيث ذهبوا الى ان الولي قد يبلغ
درجة النبي صلى الله عليه وسلم بل اعلى منها وعلى من زعم من اهل الاتحاد
ان الولي قد يسقط عنه الامر والنهي ولا تضره الذنب ولا يدخل النار بارتكاب
الكبيرة اذا بلغ الغاية في المحبة وصفا القلب وكمال الاخلاص وهو خلاف لا
قواعد المسلمين نعم حكي عن بعض الاولياء انه استعفى الله تعالى عن لا
التكاليف وساله الاعتاق عن ظواهر العبادات فاجابه الى ذلك بان سلبه
العقل الذي هو مناط التكليف رسولنا الذي شرفنا الله تعالى بالاضافة اليه
واتباعه المخصوص بعموم الرسالة احمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن
هاشم الذي يكثر حمد الله ويكثر حمد الناس له فسمي محمدا ايضا لانه احمد
من حمد الله وافضل من حمده الناس واكثر الناس حمدا فهو احمد الحامدين
والمحمودين المختار الذي اصطفاه الله تعالى على ساير خلقه افضلهم اي افضل
الخلق مطلقا انسا وجنا وملكا حيث كان افضل الرسل والملايكة الذين هم
افضل المخلوقات وهو مستثنى من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر كما قاله
الزركشي رحمه الله تعالى نعم اعتقاد افضليته صلى الله عليه وسلم على جميع
المخلوقات واجب على مكلف كما هو ظاهر كلامهم بمعنى انه صلى الله عليه
وسلم اكملهم ذاتا واعظمهم اخلاقا واكثرهم ثوابا وارفعهم مقاما واكثرهم
ايات واشهرهم معجزات واكثرهم امة واما من لم يعتقده صلى الله عليه وسلم
كذلك فلا يبعد تفسيقه وتبديعه ان اصر عليه بعد العلم مع الادب الشديد
واما ما في الصحيح ان رجلا قال لنبينا صلى الله عليه وسلم يا خير البرية فقال
ذاك ابراهيم فاجيب عنه بانه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا واحتراما
لخليله وابوته او قاله قبل ان يعلمه الله عز وجل بانه سيد ولد ادم كما قال
انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وخاتمهم اي خاتم جميع الانبياء

الرد على الكرامية واهل الاتحاد

رسولنا افضل الانبياء

والمرسلين من حيث البعث والارسال فلا تبتدا بعده نبوة ولا رسالة قال
تعالى وخاتم النبيين وقال صلى الله عليه وسلم وختم بي النبيون والنص فيه
اي فيما ذكر من كونه صلى الله عليه وسلم عام البعثة المشار اليه بقوله
رسولنا وكونه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق على الاطلاق وكونه عليه
السلام خاتم النبيين جلي اي ظاهر ذو المعجزات الكثيرة مع قصر مدته كثرةً
ما وصل اليها احد من الانبياء عليهم السلام مع طول مدتهم وذلك دليل
مزيد العناية بنبينا صلى الله عليه وسلم والتشريف والتكريم وبالقران وهو
اللفظ المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم كما في عرف الاصوليين كان له اي
لنبينا صلى الله عليه وسلم منها اي من ساير معجزاته تحديه اي انه صلى
الله عليه وسلم تحدى بالقران دون ساير معجزاته والراجح ان التحدي دعوى
الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى نصا اي صريحا غير محتمل
فانه معجز من جهة اللفظ والمعنى جميعا ولم يقدر احد من البلغا على
معارضة اية منه بل عجزوا عن معارضته مع تظاهرهم وتعاونهم ولو
كان في قدرتهم الاتيان بما يشابهه او يقاربه ما اختاروا الحروب ورضوا
بالقتل والهرب وسبي النسا والاطفال ونهب الاموال قال تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا بل اذعن فصحا العرب لفصاحته وبلاغته حين
سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعارضه صلى الله عليه وسلم
في القران معترض منهم بل اعترفوا بانه خارج عن طاقتهم وكانوا يتعجبون
من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته وجزالته ويرقصون رؤسهم
عند سماعه حتى ان اعرابيا سجد عند سماع قوله تعالى فاصدع بما
تؤمر واعرض عن المشركين وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وقالت
جارية من فصحا العرب للاصمعي لما رآه تعجب من فصاحة حديثها
او يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
الاية فقد جمع فيها بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال

معنى التحدي

لم يعارض النبي في القران معترض الا مسيلمة الكذاب

حسن نظم القران وبلاغته

بعض قواد بطارقة الروم بعد اسلامه لعمر رضي الله عنه ان اية من القران كل ما انزل على عيسى عليه السلام من احوال الدنيا والاخرة ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه الا مسيلمة الكذاب واسمه هارون ابن حبيب الحنفي من حنيفة بن عجل وكان يكنى بابي ثمامة ويلقب مسيلمة وكان قبيح الخلقة ذميم الصورة ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم الكذاب في كتابه الذي بعثه اليه وكان ادعى انه اشرك في الامر مع نبينا صلى الله عليه وسلم ثم قتله الله عز وجل زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه اشترك في قتله ابو دجانة سماك بن خرشة ووحشي مولى جبير ابن مطعم قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت بحربتي هذه خير الناس واشر الناس ذا الحيل اي التحيل فانه ادخل البيضة في القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح بان ذلك بسبب وضعها في النوشادر والخل حتى لانت وامتدت حتى ادخلت في القارورة وصب عليها الما البارد فجمدت فان مسيلمة لعنه الله لما اشتهر القران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم افك الكذوب المبالغ في الكذب وهو عدم مطابقة حكم الخبر للواقع بزور القول اي بالقول المزور وهو الكذب المبالغ في تحسينه وكان قد وضع لهم السجعات مفترياتٍ على قومه اي كاذبا فيما زعم لهم ان هذا مضاهات للقران من ذلك لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى ومن ذلك انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر في خرافات اخر هيهات اسم فعل بمعنى بعد جل اي عظم كلام الله وهو اللفظ المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم عن مثل اي مماثله كلام مخلوق له في التباين والجمع قد رام اي طلب بالجهل اي عدم العلم والادراك بل بالحماقة والسفاهة نور الله وفي نسخة نور الحق مفعول لقوله يطفيه اي يخمده وقد اختلف في المراد بالنور في قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم فقيل هو القران يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول وقيل هو الاسلام يريدون دفعه بالكلام وقيل هو

قف على توبيخ مسيلمة ومقالته

ادخال المسيلمة البيضة في القارورة

قف على تفسير قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله الاية

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف وقيل المراد به حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل هو مثل مضروب لمن اراد ابطال الحق كمسيلمة لعنه الله اراد ان يطفي نور الله والله اظهره اي جعله ظاهرا وغالبا في الافاق كالشمس معمول قوله في الازل ظاهرا بفضيحته وتكذيبه فقد مسح راس مولود فقرع وسرى ذلك في نسله وبصق في بير لبني حنيفة رجا البركة فعادت اجاجا وتوضأ في حايط فصب وضوءه فيه فلم ينبت فيه شي وقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في عين علي رضي الله عنه وكان ارمد فبرا فالتمس له اعمى فلم يوجد فجاءه باعور فمسح عينه العورا التصير سليمة فعميت الاخرى وجاءه رجل فقال يا ابا ثمامة اني ذو مال وليس لي مولود يبلغ حتى يموت غير مولود لي هو ابن عشر سنين ولي مولود ولد لي بالامس فاحب ان تبارك فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سا طلب لك الذي طلبت فيجعل عمر المولود اربعين سنة فرجع الرجل الى منزله مسرورا فوجد الاكبر قد تردى في بير ووجد الصغير ينازع في الموت فلم يمس ذلك اليوم حتى ماتا جميعا تقول امهما فلا والله ما لابي ثمامة عند الله مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم والمعجزات التي كانت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم سوى القران كثيرة ليس لها حد ونهاية تقف عنده فيحصرها اي يحيط بها نظم هو في اللغة الجمع ثم اطلق على الكلمات التي نظمت شعرا المحتفل اي جامع من احتفل بالشي اذا احسن القيام به واهتم بتحصيله فيعسر استقصاؤها وحصرها الا انه لم يكن لاحد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام معجزة الا وكانت لنبينا صلى الله عليه وسلم كجمال الصورة وكمال الخلقة وتناسب اعضايه في حسنها ونظافة جسده وقوة حرمته وشرف نسبه واما خارجة عن ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر وحبس الشمس ونبع الما من الاصابع الشريفة واما في صفته الشريفة صلى الله عليه وسلم كقلة غذايه ونومه وقوته على النكاح وجمعه الصفات الحميدة كالجود

قف فضائح مسيلمة الكذاب

معجزاته صلى الله عليه وسلم

مما هو اعظم منها من المعجزات الحسية اما في ذاته الشريفة صح

انشقاق القمر

والسخا والشجاعة والحلم والاحتمال والعفو مع القدرة وقد ذكر منها
جملة لعدم استيعابها فقال فالبدر اي القمر قيل له بدر لتمامه ليلة اربع
عشر ولمبادرته الشمس بالطلوع شق له صلى الله عليه وسلم حين كذبته
قريش وقالت له ان كنت صادقا في دعواك الوحدانية وان هذه الآلهة باطلة
فاشقق لنا القمر فرقتين فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلت تومنون قالوا نعم
وكانت ليلة بدر فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه
ذلك فانشق فرقتين نصف على ابي قبيس ونصف على قعيقعان فجعل صلى الله
عليه وسلم ينادي المشركين يا فلان اشهدوا وبعد قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق

رد على المتفلسفة

القمر لا يلتفت لهذيان المتفلسفة ولا غيرهم حيث انكروا ذلك زعما منهم ان الاجرام
العلوية لا يتهيا فيها الانخراق والالتيام قال الخطابي رحمه الله تعالى انشقاق
القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شي من ايات الانبيا عليهم الصلاة والسلام و
ذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم
المركب من الطبايع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان

حنين الجذع

به اظهر والجذع الذي كان يقوم صلى الله عليه وسلم اذا خطب في المسجد حن له
حين فارقه الى المنبر الذي عمل له فسمع لذلك الجذع صوت كصوت العشار اي
النوق الحوامل والحنين صوت المتالم المشتاق عند الفراق حتى نزل اليه صلى الله
عليه وسلم وضمه الى صدره الشريف وقال ان شئت اردك الى الحايط الذي كنت فيه
تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويتجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك
في الجنة فياكل اوليا الله من ثمرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول
فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اوليا الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه
من يليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا
على دار الفنا فعامله صلى الله عليه وسلم معاملة العاقل لما اودع فيه من
الحياة والادراك فامر به فدفن تحت المنبر الشريف وان يرد النبي صلى الله عليه
وسلم فيضا اي كثرة ما عند الاحتياج اليه بحيث يكون كالبحر يكفي العامة
لكثرته ينهمل اي يفيض لذلك الما مطيعا له صلى الله عليه وسلم كان ذلك

فيضان الما او من الارض او من اصابعه الشريفة

الما من السما او من الارض او من اصابعه الشريفة فاما الاول فقد شكى
اليه الجدب اعرابي وكان يخطب يوم الجمعة على المنبر وساله ان يدعو الله
له ولقومه فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فما وضعهما حتى ثار السحاب
امثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رئي المطر يتحادر على لحيته
الشريفة ودام المطر الى الجمعة الاخرى حتى قام ذلك الاعرابي او غيره
فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا فقال اللهم حوالينا
ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت
السحابة وخرجوا يمشون في الشمس واما الثاني فكان صلى الله عليه وسلم مع عمه
ابي طالب يسوق به الحمار وقد ادركه العطش فقال يا ابن اخي قد عطشت
فثنى وركه ثم نزل فقال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض
فاذا بالما فقال اشرب يا عم فشربت واما الثالث ففي الصحيحين من حديث
انس رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة
العصر والتمس الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بوضو فوضع يده في ذلك الانا فامر الناس ان يتوضوا منه فرايت

نطق عجما

الما ينبع من بين اصابعه الشريفة فتوضا الناس من عند اخرهم قيل
لانس كم كنتم قال كنا ثلاث مائة ولو كنا مائة الف لكفانا ونطق
عجما اي بهيمة لانها لا تتكلم كالبعير الذي شكى اليه صلى الله عليه وسلم
كثرة العمل وقلة العلف وكالغنم التي سجدت له صلى الله عليه وسلم و
كالذيب الذي انتزع الراعي منه الشاة وكان عدا عليها فاقعى على ذنبه
وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال الراعي يا عجبا ذيب
يقعي على ذنبه يكلمنا بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من
ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بانبا ما قد سبق وقصة
الضب والغزالة والحمار الذي اسماه صلى الله عليه وسلم يعفورا وكان اصابه

نطق الجماد

من خيبر مشهورة بل نطق الجماد وكلامه له صلى الله عليه وسلم ابلغ
مما ذكر كما في حديث عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وكسعي الشجرة له صلى الله عليه وسلم ونزول العذق من
النخلة حين دعاه صلى الله عليه وسلم والشجرة التي استتر بها النبي صلى الله
عليه وسلم حتى قضى حاجته وتامين اسكفة الباب وحوايط البيت على دعايه
صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب وبنيه رضي الله عنهم وقد كان
صلى الله عليه وسلم من اي لاجل هجير اي شدة وطيس الشمس اي حرها
الشديد الذي يشبه الوطيس وهو التنور اذا حمي وذلك نصف النهار اذ الهجير
والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر في ظلل جمع ظلة وهو ما اظل من
سحاب وغيره ففي قصة بحيرا الراهب حين اشرف الركب عليه في وقت قيظ
وحر رفع بصره فاذا غمامة تظلله صلى الله عليه وسلم من بين من
معه من قريش وفي حديث ميسرة اذا كانت الهاجرة واشتد الحر رايت
ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره وقد روي ان حليمة
السعدية رأت الغمامة تظلله صلى الله عليه وسلم حين كان عندها رضيعا
وليس يخفى الذي ابراه صلى الله عليه وسلم واذهب علته باذنه سبحانه من
سقم اي مرض وحقيقة المرض ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال
الخاص به ويوجب الخلل في افعاله اعيى ابراء ذلك المرض الاطبا جمع
طبيب وهو الحاذق بالامور العارف بها سمي به من يعالج المرضى والطب
مثلث الطاء فمفتوحها هو العالم بالامور وكذلك الطبيب يقال له طب ايضا
والمكسور منها فعل الطبيب ومضمومها اسم موضع وعلم الطب علم يبحث فيه
عن بدن الانسان من جهة ما يصح ويعرض لالتماس حفظ الصحة و
ازالة المرض وموضوعه بدن الانسان وما يشتمل عليه من الصحة و
المرض واسبابها ومنفعته بالنسبة الى البدن كماله بالصحة التي افضل حالاته
وبالنسبة الى النفس التمكن من استكمالها في قوتها النظرية والعملية اذ
الاسقام والالام مانعة من ذلك قال العلامة السيوطي رحمه الله تعالى
ومدار الطب على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك انما يكون

باعتدال



كونه عليه السلام في ظلل

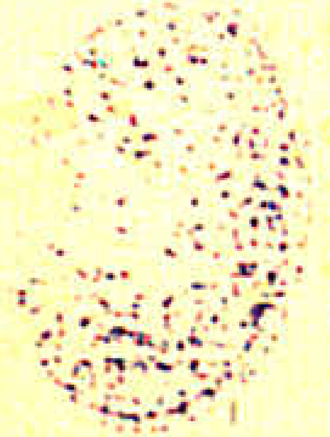
ابراوه عدم المرضا

تعريف على المرض والاطبا

علم الطب وموضوعه

مدار الطب

باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك في اية واحدة
وهي قوله تعالى وكان بين ذلك قواما قال بعضهم وقد جمع الله تعالى
الحكمة في شطر اية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي العجايب للكرماني قال
طبيب نصراني لعلي ابن الحسين رضي الله عنه ليس في كتابكم من علم الطب شيء
والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له علي رضي الله عنه جمع
الله الطب في نصف اية من كتابه وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال الطبيب ما
ترك كتابكم لجالينوس طبا وفي الحديث ان من السرف ان تاكل كل ما اشتهيت
انتهى وكله تتمة بالاصل كان ذلك السقم الذي ابراه صلى الله عليه وسلم ذا
عضل هو في الاصل المنع والشدة يقال اعضلني الامر اذا ضاقت عليك فيه
الحيل والداء العضال الشديد يعيي الاطبا من العلل جمع علة وهي المرض
كانه لشدته منع الطبيب ان يفيد في امره شيا كعين قتادة رضي الله عنه حين
اصيبت يوم بدر واحد فوقعت على وجنته وكان يتقي السهام بوجهه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة احبها
واخشى ان رأتني ان تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
الشريفة وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه
واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وتفل صلى الله عليه وسلم
في عيني حبيب بن فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيا وكان وقع على
بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه
لمبيضتان ولما طرح عكرمة بن ابي جهل يد معاذ بن عمرو بن الجموح
يوم بدر فتعلقت بجلدة فقاتل يومه وهو يسحبها خلفه حتى اذته
وضعها تحت قدمه فطرحها وجا اليه صلى الله عليه وسلم يحملها فبصق
عليها والصقها فلصقت وكذا خبيب بن عدي لما ضرب يوم بدر فمال شقه
تفل فيه صلى الله عليه وسلم ولامه فانطبق ومسح بعصى على امراة معاذ
ابن عفرا وكانت برصا فاذهب الله البرص منها وقصة احيا الشاة و
الابوين الشريفين ونقل حمى المدينة الى الجحفة مشهورة اما اليتي القليل



كون الطب في اية واحدة

طعاما او غيره وتكثيرله اي لذلك القليل ببركته صلى الله عليه وسلم مدداً اي لا زيادة من الله تعالى حقيقة بان يخلق فيه بدل الماخوذ منه على الفور كما في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بقصعة فيها طعام فتعاقبوها الى الظهر منذ غدوة يقوم قوم ويقعد اخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال هل كانت تمد الا من هاهنا واشار الى السما ولعل المؤلف رحمه الله تعالى اشار الى هذا الحديث بقوله مددا وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال اصبت ثلاث مصايب في الاسلام لم اصب بمثلهن موت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود قالوا وما المزود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال يا ابا هريرة امعك شي قلت تمر في مزود لي فقال جي به فاخرجت منه تمرا فاتيت به فمسه ودعا فيه ثم قال ادع عشرة فدعوت عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى اكل الجيش كله وبقي من تمر المزود فقال يا ابا هريرة اذا اردت ان تاخذ منه شيا فادخل يدك فيه ولا تكفاه فاكلت منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلما قتل عثمان انتهب ما في بيتي فانتهب المزود الا اخبركم اكلت منه اكثر من مايتي وسق وفي قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث ادى في اربعين اوقية ذهبا من مثل بيضة الحمامة وبقي عنده مثل ما اعطى كمايته حدث بما شيت ولا حرج عليك اي لا ضيق ولا اثم مع تيدك بالواو عن خير اي افضل الرسل بل جميع الخلق على الاطلاق انسا وجنا وملكا ومسراه اي الاسرا بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم يقظة على البراق من مكة الى بيت المقدس ثم عروجه صلى الله عليه وسلم من صخرة بيت المقدس الى سدرة المنتهى وحيث شا الله العلي الاعلى فرضت عليه الصلاة وراى ربه عز وجل بعيني راسه وسمع كلامه العلي اعظم به احدى صيغتي التعجب اي ما اعظمه في القدر اي الشرف منزلة اي مرتبة عظيمة وصل اليها صلى الله عليه وسلم كان بيننا وبين المكان

في حديث سمرة في القصعة وفي حديث ابي هريرة في ثلاث مصايب وفي قصة سلمان

ما يشكل بقصة المعراج

الذى

الذى شرفه الله تعالى من المسافة قاب اي مقدار قوسين او ادنى انه صلى الله عليه وسلم حين اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وصعد الى السموات سما سما حتى بلغ منزلة شريفة نسبتها فيما يمكن وصول البشر اليه من المحال الذى لا يصلون اليه بمقتضى ارادته سبحانه وما سبق في علمه كمقدار قاب قوسين او ادنى اي اقرب من قاب قوسين فيما تقدرون انتم والله تعالى اعلم بالاشيا على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا اذا قدرنا الشي نقول هذا قدر رمحين او انقص لم تدرك تلك المنزلة اي لم تلحق ولم تنل اي لم تعط لاحد من الانبيا ولا الملايكة بل حض بها نبينا صلى الله عليه وسلم في الازل ويوجد من قولهم له منزلة تاويله الدنو في قوله تعالى ثم دنى فتدلى بنا على ان ضميره يعود عليه تعالى او عليه صلى الله عليه وسلم بقرب المنزلة كما قال الرازي رحمه الله تعالى على حد قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا ومن مشى الي اتيته هرولة فالمراد من دنوه صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته والمراد من دنوه تعالى منه صلى الله عليه وسلم المبرة والتانيس والبسط والاكرام كما قاله جعفر الصادق رضي الله عنه ولا شك انه امر ممكن اخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم وكل ما هو كذلك فهو حق وحكمه مطابق ودليل الامكان اما تماثل الاجسام فيجوز على السموات الخرق والالتام كما يجوز ان على الطير والزنج واما عدم دليل الامتناع وهو انه لا يلزم من فرضه وقوعه محال والله تعالى اعلم من كان مشتاقا للمعجزات ومطالعة ما حصر به نبينا صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات الغر اي الواضحة المعروفة في ظما هو شدة العطش اي من كان مشتوقا لها واراد الوقوف عليها ليستدل بها على نبوته صلى الله عليه وسلم ففي كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للامام

وعليهم صح

نبذة من ترجمة صاحب الشفا

للامام ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ولد بسبتة
للنصف من شعبان سنة ست وسبعين واربعماية وتوفي بمراكش في شهر
جمادى الاخرة وقيل في رمضان سنة اربع واربعين وخمسماية سمته
يهودية فيما قيل وقد رويت كتابه المذكور قراءة وسماعا واجازة مرات
متعددة عن والدي واستاذي ابي الامداد ابراهيم اللقاني عامله الله ببلوغ
الاماني في دار التهاني وهو آخر من كان يعاني الاسناد ويقف عنده
لا قطعه الله منا كما اوصله الينا بجاه حبيبه المصطفى وذخيرته المجتبى
عليه افضل الصلاة والسلام ري بكسر الراء اي ارتوا من الغلل جمع غلة
بالضم حرارة العطش بمطالعة كتاب الشفا يحصل له مقصوده من زيادة
التصديق ورسوخ المحبة في القلب حتى يكون ذلك باعثا على الاقتداء به
صلى الله عليه وسلم وتتبع اثاره الشريفة وكيفية الاستدلال بالمعجزة على

لكيفية الاستدلال بالمعجزة على نبوته

نبوته صلى الله عليه وسلم ان يقال نبينا صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة
واظهر المعجزة وكل من كان كذلك فهو نبي اما ثبوت دعواه النبوة فبالتواتر
والاتفاق واما اظهار المعجزة فلانه اتى بالقران واخبر عن المغيبات
واظهر افعالا على خلاف المعتاد بلغت جملتها حد التواتر وان كانت
تفاصيلها احادا واعلم ان ما كان من المعجزات مجمعا عليها منقولا بالتواتر

حكم من انكر معجزة

معلوما من الدين بالضرورة كالقران فلا شك في كفر منكره وارتداده ومثله
انكار انه عليه السلام جرى على يديه ايات وخوارق عادات وما لم يكن
كذلك فان اشتهر بدع منكره وفسق جاحده كنبع الماء من بين اصابعه
الشريفة صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام وان لم يشتهر ولكنه جاء بطريق
صحيح او حسن عزر منكره ان كان مثله يخفى عليه ذلك قبل التوقيف
وعزر بعده وادب والله تعالى اعلم والله سبحانه لانه القادر دون
غيره جعلنا في الدنيا والاخرة من خير اي اكرم امته صلى الله عليه
~~وسلم الموصوفين بانهم افضل الخلق ايمانا كما في حديث عمر رضي الله تعالى~~
~~عنه كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق~~

افضل

ما يتعلق بافضل الخلق ايمانا

افضل الخلق ايمانا كما في حديث عمر رضي الله تعالى عنه كنت جالسا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة
قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبيا قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا ~~قلنا الملائكة~~ قوم في اصلاب
الرجال يومنون بي ولم يروني يجدون ورقا فيعملون بما فيها فهم افضل
الخلق ايمانا اخرجه ابو داود وفي لفظ حبيب بن سباع رضي الله عنه
قلنا يا رسول الله هل احد خير منا قال نعم قوم يجيئون من بعدكم فيجدون
كتابا بين لوحين فيومنون بما فيه ويومنون بي ولم يروني مُؤَمَّنِينَ من
الامن ضد الخوف بلا روع بفتح الراء اي فزع ولا وجل اي خوف يعرض لنا
عند الوفاة وفي القبر وعند القيام من القبور لرب العالمين عز وجل
وفي عرصات القيامة ببركة اضافتنا اليه صلى الله عليه وسلم فصل في

فصل في جواز خرق العادة

بيان ما ذهب اليه جمهور اهل السنة من جواز وقوع خرق العادة
بساير وجوه خوارق العادة على اختلاف انواعها ولو كقلب العصى حية
وكوجود ولد من غير اب الا مثل القران مما خرج من المعجزات الى باب
الاختصاص كما قاله السعد والنووي خلافا لمن ادعى انها تختص بمثل اجابة
دعا ونحوه كرامة اي اكراما من الله تعالى وتاييدا للاوليا جمع الولي

الولي عرفا

وهو عرفا كما قاله القشيري العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب
على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك على اللذات والشهوات
المباحة فعيل بمعنى مفعول لان الله تعالى تولى امره فلم يكله الى نفسه
ولا غيره لحظة بل تولى رعايته وحفظه ورضي عنه فلا يخاف يوم القيمة
ولا يخزى قال تعالى وهو يتولى الصالحين او بمعنى فاعل لانه يتولى عبادة
الله وطاعته على الدوام والتوالي من غير ان يتخللها عصيان وكلا
المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولي عندنا وليا في نفس الامر بحيث يتحقق
قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصا والاستيفا لجميع ما امر به ويتحقق
دوام حفظ الله تعالى اياه في السرا والضرا السادة جمع السيد وهو الشريف

الكرامة

والفاضل والكريم والحليم ومحتمل اذى قومه ان الكرامة وهو امر خارق
للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد
ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد
والعمل الصالح علم بها او لم يعلم فقولنا امر خارق للعادة جنس وقولنا غير
مقرون بالمعجزة احترازا عن المعجزة وقولنا ولا هو مقدمة لها احترازا عن

المعونة والاهانة

الارهاص وقولنا ظاهر الصلاح احترازا عما يسمى معونة كما يظهر على يد
بعض عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وقولنا ملتزم لمتابعة
نبي احترازا عن الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين وتسمى اهانة كما وقع لمسيلمة
لعنه الله وقولنا مصحوب بصحيح الاعتقاد احترازا عن الاستدراج والسحر
خارج عن هذا التعريف من جهات عدة والله تعالى اعلم للقوم الاولى
اي الذين وصلوا بتوفيق الله تعالى وهدايته اعلى اي ارفع مقام تقى كان

تنبيه على تعريف التقوى

خوفهم اشد ومراقبتهم اكثر من غيرهم والتقوى في الاصل قلة الكلام والتقي
فوق المؤمن والطائع وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب
الله تعالى وقد سال عمر بن الخطاب ابي بن كعب رضي الله عنهما عن التقوى
فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال شمرت
وحذرت قال فذاك التقوى وهي جماع الخير كله ووصية الله في الاولين
والاخرين وهي خير ما يستفيده الانسان بما نال اي يصل اليه بفضل الله
تعالى وكرمه ولي وهو الذي توالت عليه النعم من ربه عز وجل والحفظ
له في قلبه وجوارحه من الزلات وقولنا بفضل الله لان الراجح ان الولاية

تنبيه على ان الولاية كالنبوة غير مكتسبة

كالنبوة غير مكتسبة صدق بها اي بوقوعها وظهورها على ايديهم حال
كون وقوعها خارقا للعادة فان هذا مما يجب اعتقاده على المكلف احتج

احتجاج اصحابنا على جواز الكرامة ووقوعها

اصحابنا على الجواز بان ظهور الخارق المذكور امر ممكن في نفسه وكل ما هو
كذلك فهو صالح لشمول القدرة لايجاده ودليل جواز ذلك الامر وامكانه
انه لا يلزم من فرض وقوعه محال واحتجوا على الوقوع بما جاء في القران
كما يصرح به المؤلف رحمه الله تعالى بقوله في ال عمران ثم الكهف وبما

تواتر

الذاهبون الى عدم جواز وقوع الخوارق من الاوليا وتمسكهم

تواتر معناه وان كانت تفاصيله احادا من كرامات الصحابة والتابعين
ومن بعدهم الى وقتنا هذا وذهب الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابو عبد الله
الحليمي تبعا للجمهور من المعتزلة الى عدم جواز وقوع الخوارق من الاوليا
قال الاستاذ كل ما جاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي
وانما مبالغ الكرامات اجابة دعوة او موافاة ماء في بادية من غير مواضع
المياه او نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادة وتمسكوا ايضا بانه لو ظهرت
الخوارق من الاوليا لالتبس النبي بغيره اذ الفارق انما هو المعجزة وبانها
لو ظهرت لا لغرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز ان يكون

السحر ثابت حقيقته

ما يظهر من النبي لغرض اخر غير التصديق والسحر على مذهبنا اهل السنة
انه ثابت الحقيقة فهو كما قال التفتازاني اظهار امر خارق للعادة من
نفس شريرة خبيثة بمباشرة اعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتعليم و
قال ابن العربي هو كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب اليه
المقادير والكائنات يشبهها اي الكرامة في كونه جائزا خارقا للعادة فهو
مثلها حقيقة عندنا معشر اهل السنة خلافا لعامة المعتزلة ولابي اسحاق
الاسترابادي من اصحاب الشافعي رضي الله عنه حيث ذهبوا الى انه لا حقيقة
له وانما هو تمويه وتخييل وفي قصة سحرة فرعون وسبب نزول المعوذتين
من سحر لبيد بن الاعصم لنبينا صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه
وسلم لما حل السحر ان الله شفاني قاطع بحقيقته اذ الشفا انما يكون برفع

ودليل كون السحر جائزا عندنا

العلة وزوال المرض قد نيل بالحيل جمع الحيلة وهي الحذق في تدبير
الامور وهو تقليب الفكر حتى يهتدي الى المقصود ودليل كونه جائزا عندنا
امكان ذلك الامر في نفسه وعموم قدرة الله فانه جل وعز هو الخالق
لا مخترع له سواه وانما اضافته الى الساحر لانه سبب له بحسب العادة كالطعام
للشبع ونحوه من العاديات واما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فلا حجة فيه لمنكر حقيقته لانا لا ننكر
ان يكون التخييل من سحرهم خلقه الله تعالى عند ذلك الفعل الذي

حكم تعلم السحر وتعليمه وفعله

وقع على ايديهم واما تعلم السحر وتعليمه فقال النووي والرافعي
وغيرهما حرام على الاصح ودرجاته متفاوتة وهذا ان لم يحتج في تعليمه
الى اعتقاد هو كفر واما فعله فيحرم اجماعا ومن اعتقد اباحته فقد
كفر ولا يظهر السحر الا على يد فاسق وكذلك علم الطبايع والتكهن و
اتيان الكهان وتعلم الكهانة او التنجيم او الضرب بالرمل والحصى والشعبذة
وتعليم ذلك واخذ العوض عليه حرام والله تعالى اعلم لكنها اي الكرامة
عندنا اهل الحق تمتاز عنه اي عن السحر عا اي بالوصف الذي يبدير
اي يظهره واصفها اي الكرامة في الشبه والمثل فان صاحب الكرامة وصفه
الظاهر هو الصلاح والتزام متابعته لمن كلف بشرع بعده من الانبياء مع
صحة الاعتقاد وانما امتازت الكرامة عن السحر اذ حالة اي لان حالة
السحر لا تخفى على احد فصاحبها مبتدا اي لان صاحب حالة السحر
على سبيل اي طريق قويم اي مستقيم غير مشتمل خبر المبتدا لانه انما يكون
من الشرير الخبيث كما قاله التفتازاني وذو الولاية الذي اتخذه الله تعالى
وليا لا يخفى حاله فصاحبها اي الولاية داير مع الشريعة اي دين الاسلام
وما جا به النبي صلى الله عليه وسلم من الاحكام قرآنية كانت او سنية
واصل الشرع الاظهار والتبيين ولهذا سمي صلى الله عليه وسلم الشارع لانه
المظهر للدين والمبين له لا ينفك عن وجل اي خوف ومراقبة بل
هو ملازم له لا يجد لطمانينة النفس سبيلا فانه لا يحيط علما بانه *ذو الولاية لا ينفك*
من فريق السعادة او من فريق الشقاوة ثم ينظر الى اسباب الشقاوة
وامارتها فيجدها منحصرة في المخالفات فهو يخاف الوقوع فيها ويجتنبها
وهذا هو المعبر عنه بالورع وما حصل له من الموافقة فهو يخاف
زوالها باضدادها حتى يخاف ان يبدل علمه وفهمه الى الشك والجهل
وكذا يخاف ان يطالبه الله عز وجل بالقيام بشكره فيما انعم به عليه
فلا يطيق ذلك وكذا يخاف ان تخدعه نفسه فيحصل في علمه ما يفسده
ويحبطه من الريا والسمعة وكذا يخاف من توجه الحقوق عليه

للادميين فتنتقل اعماله الى صحايفهم وهذه احوالهم مع الله عز وجل وهذا
احد شروط اربعة في الولي ذكرها استاذنا رحمه الله تعالى تبعا لابن دهاق
وغيره كذاك الكرامة عن معجزات الرسل عليهم السلام ميزها اي الكرامة فرق
بينهما وهو التحدي ودعوى النبوة في المعجزة دون الكرامة وان صدق على
الجميع اسم الخارق وهذا جواب قول من نفى الكرامة من المعتزلة ومن
وافقهم لو ظهرت الخوارق من الاوليا لالتبس النبي بغيره اذ الفارق انما
هو المعجزة وذا اي ما ذكر من الفرق بين المعجزة والكرامة عند الجميع اي جميع
اهل السنة القايلين بكرامات الاوليا واثباتها جلي اي ظاهر وحاصل الفرق *الفرق بين المعجزة والكرامة*
ان الاجابة اذا توقفت على المعجزة وجب على النبي ان يتحدى بها ويظهرها
بخلاف الكرامة لا يجب اظهارها على الولي لانه انما يدعو بحكم التبع لشرع
نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف *الفرق بين السحر والمعجزة*
النبي والفرق بين السحر والمعجزة ان السحر يوجد من الساحر وغيره وقد
يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الاتيان به في وقت واحد والمعجز لا يمكن
الله احدا ان ياتي بمثله ومعارضته ثم الساحر لم يدع النبوة فالذي يصدر
منه متميز عن المعجزة فان المعجزة شرطها دعوى النبوة والتحدي بها كما ذكره
القرطبي رحمه الله تعالى مع انها اي الكرامة عندهم اي عند مثبتيها وهم
اهل السنة جات اي وقعت على يد الولي موكدة للمعجزات فالكرامة تبين *التبيين اذ اظهر على يد عارف كان له جهتان*
اي تظهر من جرت على يده الصدق المرسل فالخارق اذا ظهر على يد
عارف كان له جهتان جهة كرامة من حيث ظهوره على يد ذلك العارف
وجهة معجزة للرسول من حيث ان الذي ظهرت على يده هذه الكرامة
واحد من امة ذلك الرسول لا يظهر بتلك الكرامة ان الاتي بها ولي الا
وهو محق في ديانته وديانته هي التصديق والاقرار برسالة ذلك الرسول
مع الطاعة لاوامره ونواهيه في سورة آل عمران قيل هو والد مريم ابن *آل عمران قبيلة [illegible]*
ام عيسى عليهما السلام وقيل هو ابو موسى وهارون عليهما السلام وهو
عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوي والذي فيها قصة مريم وولادتها

أحوال مريم ع م

عيسى عليهما السلام دون زوج مع كفالة زكريا عليه السلام لها حتى كان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الصيف
في الشتا وفاكهة الشتا في الصيف فيقول يا مريم انى لك هذا فتقول هو من عند
الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب وفي القصة قوله تعالى وهزي اليك
بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك في غير اوانه ولم تكن مريم
نبيا ولا رسولا ثم في سورة الكهف وهو النقب المتسع في الجبل قصة الذين فروا

اصحاب الكهف

بدينهم ولبثوا في الكهف سنين عددا بلا طعام ولا شراب ومدينة اصحاب الكهف يقال
انها طلة فراسخ من القسطنطينية يقال لها اقسوس والكهف في جبل بانجلوس
والملك الذي فروا منه اسمه دقيانوس وكان عامة اهل القرية مجوسا
او يعبدون الاصنام والرقيم كما قيل لوح من رصاص كتب فيه اسماؤهم وانسابهم



ودينهم وممن نفروا وكان دخولهم الكهف قبل عيسى عليه السلام وقص الله
سبحانه خبرهم على عيسى عليه السلام ثم بعثوا في الفترة بين عيسى ونبينا
صلى الله عليه وسلم عليهما وقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى
عليه السلام ذكرهم في التوراة ولهذا سال اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قصتهم وقيل دخلوا الكهف بعد عيسى عليه السلام فالله اعلم اي ذلك
كان وقد ذكرت طرفا من قصتهم بالاصل قد ثبتت ووقعت قصص لا يسع
العاقل انكارها و في سورة النمل ايضا قصة اصف بن برخيا واتيانه

قصة آصف بن برخيا

بعرش بلقيس من اليمن الى سليمان عليه السلام بالشام قبل ان يرتد طرف سليمان
عليه السلام اليه وفي التفسير انه انخرق بعرش بلقيس مكانه الذي كان فيه
ثم نبع بين يدي سليمان عليه السلام ببدي تلك القصص التي وقعت في
السور المذكورة صحيح النقل اي النقل الصحيح من قبل اي من جهة اهل
السنة المثبتين كرامة الاوليا ومن ذلك ايضا قصة ابي بكر الصديق رضي

قصة أبي بكر وعمر رض وبنبر عما

الله عنه مع ضيف له من قصعة وانه كان كلما اكل لقمة من تلك
القصعة ربوا من اسفلها اكثر منها حتى شبعوا وهي اكثر ما كانت بثلاث مرات
ومن ذلك اجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه ورؤيته وهو على

المنبر

المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال في اثنا خطبته يا سارية الجبل
وسمع ذلك سارية مع بعد المسافة ومن ذلك كلام الطفل لجريج العابد
وقصة العلا بن الحضرمي الى غير ذلك مما لا يحصى ولما فرغ من اثبات الرسالة
وما يتعلق بها شرع في ذكر بعض الاحكام التي بلغها الرسول صلى الله عليه وسلم

في وجوب التوبة

عن الله عز وجل وعلمت من الشريعة فقال

فصل

في وجوب التوبة

احد شعب الايمان وهي لغة الرجوع
من تاب بالمثناة ويقال ثاب بالمثلثة كما يقال ناب بالنون واناب بالهمز

التوبة تسند الى الله والى العبد

وآب اذا رجع وتسند الى الله تعالى والى العبد قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى فانه يترتب الى الله منا بانه ثم تاب عليهم ليتوبوا فاذا اسند الي
العبد اريد رجوعه عن الزلة الى الندم واذا اسند الى الله تعالى اريد رجوع

التوبة شرعا

نعمه والطافه الى عباده والتوبة شرعا الندم على المعصية من حيث هي معصية
مع عزم ان لا يعود اليها اذا قدر عليها قال القاضي عضد الدين فقولنا من حيث
هي معصية لان من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصداع والاخلال بالمال
او العرض لم يكن تايبا وقولنا مع عزم ان لا يعود اليها زيادة تقرير لان
النادم على الامر لا يكون الا كذلك ولذلك ورد في الحديث الندم توبة وقولنا
اذا قدر لان من سلب القدرة على الزنا وانقطع طمعه عن عود القدرة

وجوب التوبة وآلية وجوبها

اليه اذا عزم على تركه لم يكن ذلك توبة منه وتب وجوبا ايها المكلف
اي ارجع عن الزلة على الفور من مواقعتها لير تفع عنك اثمها بالتوبة
وقد وعد الله تعالى بقبولها فضلا منه وحكمة المبادرة الى التوبة قطع طمعة
الشيطان في استدراجه الانفس من معصية الى اخرى حتى يوقعها في الهلكة
وظاهر كلام النووي وغيره ان وجوبها على الفور عينا متفق عليه بل مجمع
عليه فلا يجوز تاخيرها كانت المعصية صغيرة او كبيرة هذا الا نزاع فيه انما
انما النزاع في دليل وجوبها فعندنا هو السمع كقوله تعالى وتوبوا الى الله
جميعا ايها المومنون وكقوله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني
اتوب في اليوم والليلة ماية مرة ان قارفت اي اكتسبت سيئة هي ما يذم فاعله

شرعا من سأيسوأ اذا حزن سميت بذلك لان فاعلها يسا بها يوم القيمة عند
المقابلة عليها لا تمهلن اي لا تؤخر التوبة ساعة المراد بها جزء قليل من
النهار او الليل وان كانت تطلق ايضا على جزء من اربعة وعشرين جزءا من
مجموع اليوم والليلة فالذنب وهو ما يعصى الله به او ما يذم مرتكبه شرعا
ويرادفه المعصية والخطيئة والسيئة والجريمة والمنهي عنه والمذموم شرعا يحصل
في اي بسبب المهل اي الامهال وهو البطوء وعدم الاسراع بالتوبة بمعنى ان التمادي
على الذنب بتاخير التوبة منه معصية واحدة ما لم يعتقد معاودته وخالف
المعتزلة فصرحوا بان التوبة واجبة على الفور حتى يلزم بتاخيرها ساعة
اثم آخر تجب التوبة عنه وساعتين اثمان وهلم جرا واك ابت نفسك الانقياد
لما امرت به من تعجيل التوبة على الفور تخوفها الغضب بها وقل لها ليست
الحياة بيدي لعل رسول الموت اي الملك الموكل بامرته على كل ذي نفس ولو
بعوضة واسمه عزرايل ومعناه عبد الجبار وهو ملك عظيم هائل المنظر
مفزع جبل راسه في السما العليا ورجلاه في تخوم الارض السفلى وكل خطوة منه
من المشرق الى المغرب ووجهه مقابل اللوح المحفوظ والخلق بين عينيه وله
اعوان بعدد من يموت سخر الله له الدنيا فهي كالطست توضع قدام احدكم
يتناول منها اي اطرافها شاء وما من اهل بيت شعر ولا مدر بر ولا فاجرة
سهل ولا جبل الا وهو يتصفحهم في كل يوم وليلة خمس مرات عند مواقيت الصلا
وذلك كثر حتى لهو اعرف بصغيرهم وكبيرهم من انفسهم ولو اراد قبض روح
بعوضة ما قدر على ذلك حتى يكون الله عز وجل هو ياذن بقبضها او لمن
يعلم موت العبد الحفظة الذين يعرجون بعمله وينزلون برزقه فاذا لم تخرج
له رزق علم انه ميت يعجلني اي لا يمهلني ان الحينئذ كان امر بقبض روحي
في ساعتي هذه الحاضرة وفجأة الموت مفوتة للتوبة وغيرها من
الطاعات وذكر الموت باعث شديد على الاقلاع عما يستلذ به او يثبط عن
الخروج منه ففي الحديث اكثروا ذكر هاذم اللذات بالذال المعجمة اي قاطعها
وهو الموت فانه ما ذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه عليه ولا في سعة

الاضيقة

تأخير التوبة معصية واحدة خلافا للمعتزلة

قف على ملك الموت فاعتبر هذا المحل تدبره ترشد

فجأة الموت مفوتة للتوبة

الاضيقه عليه خرجه البزار من حديث انس وفي لفظ فانه يمحص الذنوب
ويزهد في الدنيا فان ذكرتموه عند الغنا هدمه وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم
بعيشكم خرجه ابن ابي الدنيا قد دنا اي قرب اجلي وهو الوقت الذي علم الله في
الازل انتها الحياة فيه لانه سبحانه حكم باجال العباد بلا تردد وانه اذا
جا اجلهم لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ولن يؤخر الله نفسا
اذا جا اجلها وعن السدي في قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من
الشيطان تذكروا قال اذا زلوا تابوا وعن الضحاك اذا هموا بفاحشة تذكروا فلم
يعملوها لا بد تعقبها اي التوبة عما مضى من الذنب حال كونك ندما اي نادما
ومعناه الحزن والتوجع على ان فعل وتمني كونه لم يفعل وهو ركنها
الاعظم لقوله عليه الصلاة والسلام الندم توبة وفي حديث عبد الله بن سلام
رضي الله عنه لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل
كل ذنب في الدنيا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين
والتوبة الشرعية كما قال النووي رحمه الله تعالى عبارة عما استجمع ثلاثة
شروط الاقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على ان لا يعود الى مثلها
ابدا عزما جازما لكن التحقيق ان ذكر العزم ليس للاحتراز لان النادم على المعصية
لقبحها لا يخلو عن ذلك العزم البتة على تقدير الخطور والاقتدار فاذا حصلت
الشروط الثلاثة صحت التوبة وان فقد احدها لم تصح هذا اذا كانت المعصية
بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي اما اذا تعلقت بادمي فلها شرط
رابع اشار اليه بقوله كذا اي كالندم المظالم جمع مظلمة وهي ما تطلب به الغير
واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه فاردها اي الى اصحابها فورا ولا
تمهل في ردها او الخروج عنها برد المال او الابرا منه او الاعتذار الى المغتاب
واسترضائه ان بلغته الغيبة ونحو ذلك وهذا واجب في نفسه لا مدخل له
في الندم على ذنب اخر كما قاله امام الحرمين وهو مذهب الجمهور وقال الامدي
اذا اتى المظلمة كالقتل والضرب مثلا فقد وجب عليه امران التوبة والخروج
عن المظلمة بتسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن اتى باحد الواجبين

للتوبة الشرعية ثلاثة شروط وشرط رابع في حق آدمي

طريق الخروج من مظالم الآدمي

لم تكن صحة ما اتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الاخر كمن وجبت
عليه طلاقان فاتى باحدهما دون الاخرى نعم اذا اراد ان يتوب من تلك
الظلامة نفسها فلا بد من ردها او التحلل ممن هي له ان وجد فيه شروط التحلل
وامن عند طلب ذلك مما هو اعظم من المعصية التي ارتكبها والله تعالى اعلم
فان بليت بذنب اخر وهو ما يذم مرتكبه شرعا وما عصى الله به **بعد صحتها**
اي التوبة بان كانت مستجمعة للشروط المتقدمة ولا يشترط تعيين الذنب بل
تصح اجمالا ولو لم يشق عليه تعيينه واما ما علم تفصيلا فلا بد من التوبة
منه كذلك ومذهب اهل السنة صحة التوبة من بعض المعاصي دون البعض
خلافا لابي هاشم يدل لنا الاجماع على ان الكافر اذا اسلم وتاب عن كفره مع
استدامته بعض المعاصي صحت توبته واسلامه ولم يعاقب الا عقوبة تلك
المعصية **لم تنتقض لك** توبتك الاولى ولا تعود ذنوبك التي كانت التوبة منها
ولو كان العود الى الذنب بمجلس التوبة كما هو ظاهر كلامهم بل ظاهره
ولو تكرر ما لم يصل الى التلاعب والاستهانة كما يوخذ من كلام القاضي عياض والا
وجب تجديدها اتفاقا وكذا عند الابتهاج بتذكر الذنب والفرح والتلذذ بذكره
او سماعه والله اعلم **لكن تب** اي جدد التوبة وجوبا **للمقتل** اي من الذنب
الذي بليت به وهلم جرا نعم معاودة الذنب بعد التوبة اقبح منه قبلها فقد
قيل زلة بعد التوبة اقبح من سبعين زلة قبلها **وهذا** وهو عدم انتقاض
التوبة بالعود الى الذنب هو **الصحيح** عند اهل الحق **فلا تسمع لنكره** من
المعتزلة حيث زعموا ان من شروط صحة التوبة ان لا يعاود الذنب بعد
التوبة فان عاوده انتقضت توبته وعادت ذنوبه لان من شرطها الندم ولا
يتحقق الا باستدامته في جميع الازمنة وليس ذلك واجبا عندنا بل الشرط ان لا يطرا
عليه ما ينافيه ويرفعه لانه حينئذ باق حكما كالايمان حال النوم لان في ذلك
حرجا ومشقة تعلم انتفاؤهما من الدين فالتوبة الاولى مضت على صحتها **مثل**
العبادات جمع عبادة وهي كما قال الانصاري رحمه الله تعالى ما تعبد به بشرط
النية ومعرفة المعبود **لم تنتقض** تلك العبادات اذ صحت **بمنفعل** كالصلاة اذا

> التوبة صحيحة من بعض المعاصي خلافا لابي هاشم

> التوبة لم تنتقض بالمعاودة عند اهل الحق خلافا للمعتزلة

فعلها

فعلها في وقت ثم تركها في وقت اخر عمدا لم تفسد الاولى بل ههنا الترك ومتى
صحت التوبة ثم تذكر الذنب لا يجب تجديد التوبة كما قاله الامدي خلافا لبعض
لان الصحابة رضي الله عنهم ومن اسلم بعد كفره كانوا يتذاكرون ما كانوا عليه
في الجاهلية من الكفر ولا يجددون الاسلام ولا يامرون به احدا كما جاءت به
الاحاديث فكذا الحال في كل ذنب وقعت التوبة عنه ومذهب اهل الحق انه لا يجب
على الله عقلا قبول توبة التايب اذا وجدت شروطها بل لا يجب عليه شيء كما
قدمناه وهل يجب قبولها سمعا ووعدا فقال امام الحرمين والقاضي نعم بدليل
ظني اذ لم يثبت في ذلك نص قاطع لا يحتمل التاويل وقال امامنا الاشعري رضي
الله عنه بل بدليل قطعي ومحل النزاع بين الاشعري وتلميذيه ما عدا توبة
الكافر اما هو فقد **قالوا** اي العلماء **لذي الكفر** اي صاحبه بساير انواعه **ان تحصل**
له التوبة **قبلت** بالاجماع **قطعا** بالسمع لوجود النص المتواتر بذلك قال تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال القرطبي رحمه الله تعالى
والذنوب التي يتوب منها العبد اما كفر او غيره فتوبة الكافر ايمانه مع ندمه
على سالف كفره وليس مجرد الايمان نفس التوبة واما العمل الصالح فليس شرطا
في صحة التوبة ولا في قبولها باتفاق الايمة خلافا لابن حزم حيث شرط العمل
لقوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا ومن تاب وعمل صالحا واجاب
عنه الايمة بان التوبة والايمان كل منهما عمل صالح فيكون العطف تفسيريا فلا
يلزم كون العمل ركنا كما ذهب اليه المعتزلة **ولا قطع في** قبول توبة **غيره** اي غيره
الكافر بل **ترجى** التوبة اي قبولها **لممتثل** الامر بها في قوله تعالى وتوبوا الى
الله واما قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فليس نصا في غفران ذنوب غير الكافر بالتوبة
اذا تاب وحديث التوبة تجب ما قبلها ليس بمتواتر ولانه اذا قطع بقبول توبة
الكافر كان ذلك فتحا لباب الايمان وسوقا اليه واذا لم يقطع بتوبة المومن
كان ذلك سدا لباب العصيان ومنعا منه والحاصل ان توبة الكافر مقطوع
بقبولها وفي توبة المومن العاصي قولان احدهما مشهور يقول بقبولها قطعا

> لا يجب على الله قبولها عقلا وفي وجوبها سمعا كلام

> توبة الكافر وهي ايمانه مع ندمه مقبولة قطعا

> في توبة المومن العاصي قولان

باب التوبة

والاخراص بقوله يقبولها ظنا وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من اعطى التوبة لم يحرم القبول ان الله تعالى يقول
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وعن صفوان ابن عسان مرفوعا ان الله
جعل بالمغرب بابا عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من
قبله فذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك الاية والله الموفق واعلم
بان مجال مكان جولان القول في قبول التوبة قطعا وظنا وتاويل دليل كل
من القولين متسع بها اي في هذه المسيلة وفي الطول الخارج عن الاختصار في
التوسط والتطويل اذا المقصود بلفظ زايد على المتعارف لاوساط الناس فصاحة
في تاديته لا الفايدة ما يختشي اي يخاف من الملل اي السامة فكذلك تركت الاطالة

فصل في بيان حكم الامامة وهي لغة التقدم وتنقسم الى امامة

في بيان حكم الامامة

وحي كالنبوة وامامة وراثة كالعلم وامامة عبادة كالصلاة وامامة مصلحة
وهي الخلافة العظمى لمصلحة جميع الامة وكلها تحققت له صلى الله عليه وسلم

الامامة اربعة اقسام

وحيث اطلقت في لسان اهل الكلام انصرفت للمعنى الاخير عرفا وهي بهذا المعنى
رياسة عامة في امور الدين والدنيا نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وجوب
مبتدا نصب اي اقامة وتولية الامام وهو لغة المتقدم واصطلاحا من تجب

الامامة والامام

طاعته على وجه مخصوص ليقوم بمصالح المسلمين كسد الثغور وتجهيز الجيوش
وقهر المتغلبة والمتلصصة ولا يكون الا واحدا اجماعا لقوله عليه السلام من
بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جا

الامام لا يكون الا واحدا

آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر وفي لفظ فاضربوه بالسيف كاينا من كان
ثم المراد انه من الواجبات الكفائية فيخاطب به الجميع من ابتدا موته عليه
السلام الى قيام الساعة فاذا قام به اهل الحل والعقد سقط عن غيرهم لا

نصب الامام من الواجبات الكفائية

فرق في ذلك بين زمن الفتنة وغيره كما ذهب اليه اهل الحق واكثر المعتزلة
ورد بقوله وجوب الرد على النجدات من الخوارج في قولهم انه ليس بواجب
اصلا وعلى ابي بكر الاصم من المعتزلة في قوله انه لا يجب عند ظهور العدل
والانصاف لعدم الاحتياج اليه ويجب عند ظهور الظلم وعلم من قوله

نصب

نصب الامام ان مستجمع شروط الامامة الصالح لها لا يكون اماما بمجرد ذلك
بل لابد من امر آخر تنعقد به امامته كالنص من الله تعالى كيا داود

اقسام النصب

انا جعلناك خليفة والنص من الرسول صلى الله عليه وسلم والنص من
الامام السابق ووصيته باقامة معين وحينئذ لا يجب علينا النصب نعم
يجب الامتثال عند وجود الشرط المشار اليه بقوله العدل من العدالة وهي
خصلة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروة ليس معها بدعة والمراد

شروط الامامة خمسة

عدالة الشهادة وهي وصف مركب معنى من خمسة شروط الاسلام والبلوغ
والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة او اعتقاد والمراد ان يكون كذلك ولو
ظاهرا عند النصب لانه الذي كلفنا به وهذا شرط في الابتدا وحالة الاختيار
فغير المكلف كالصبي والمعتوه قاصر عن القيام بالامور على ما ينبغي والعبد
مشغول بخدمة السيد لا يتفرغ للامور مستحقر في اعين الناس لا يهاب
ولا يمتثل امره ولا يكون الا ذكرا كما يوخذ من تذكير الوصف لا انثى مشكلا
لانه شبيه بالنسا وهن ناقصات العقل والدين والفاسق لا يصلح لامر الدين
ولا يوثق باوامره ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا فلا يصلح للامامة

وجوب نصب الامام بالشرع لا بالعقل خلافا للامامية والشيعة

كالكافر وقوله نثبته اي وجوب نصب الامام العدل خبر المبتدا اي نثبته
اهل الحق وجمهور المعتزلة بالشرع لاجماع الصحابة رضي الله عنهم بعد
موته صلى الله عليه وسلم حتى جعلوه اهم من تجهيزه صلى الله عليه وسلم
ومضى ذلك في كل زمان عقب موت السلطان واختلاف الصحابة رضي الله
عنهم في تعيين من يصلح للخلافة لا يقدح في اتفاقهم على وجوب نصبه
في الجملة لا العقل خلافا للجاحظ وابي الحسين الخياط وابي القاسم الكعبي
وابي الحسين البصري في قولهم انه واجب بالعقل وخلافا للامامية وغلاة
الشيعة والاسماعيلية من الملاحدة في قولهم انه واجب عقلا على الله
تعالى لا على الامة فانبذ اي اترك قول معتزلي يرى ان طريق وجوب نصب
الامام العقل لا الشرع ومثله قول الملاحدة ومن ذكر معهم كقول اكثر
الخوارج ان نصبه غير واجب اصلا وقول بعضهم انه انما يجب عند ظهور الفتن

والله اعلم ثم الامامة ليست ركن اي جزء حكم معتقد اي واجب اعتقاده
بحيث يكون جهله خللا في الايمان كالاحكام المجمع عليها المنقولة بالتواتر كالشهادتين
والصلاة والزكاة وكل ما ليس ركنا واجب الاعتقاد حكمه حكم ساير الشرعيات
يجب اعتقاد ما صح منها ولا يكفر منكره الا اذا كان معلوما من الدين بالضرورة
او مجمعا عليه وان به اي بركن المعتقد كالمباحث الكلامية وصلت في الذكر
معه فهي في حكم منفصل عنه ولا يلزم من ذكرها معه ان تكون منه لانها ما ذكرت
في كتب العقايد الا لبيان ما تعلق بها من التعصبات والاعتقاد الفاسد سيما من
فرق الروافض والخوارج حتى عرف بعضهم الكلام بانه العلم الباحث عن احوال
الصانع عز وجل والنبوة والامامة وما يتصل بذلك على قانون الاسلام في
اشارة الى ان دليل وجوب نصب الامام ما تضمنه نصبه من المصالح الضرورية
ورفع ضرر لا يندفع الا به بقوله لا شك في انها يعني الامامة اي نصب
الامام وتوليته ركن لمصلحة اي لمصالح كثيرة عظيمة ضرورية وهي ما امر
به الشارع من اقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وكثير من
الامور المتعلقة بحفظ النظام وحماية بيضة الاسلام مما هو واجب وكل ما لا يتم
الواجب المطلق ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا
عدم لذاته لمعتدل اي طالب العدل وهو خلاف الابد وكان مقدورا للمكلف
فهو واجب اذا اقيمت اي طلب اقامة تلك المصالح على شرط الشارع الذي
لاحظه في امور الدين والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده
وجود ولا عدم لذاته لمعتدل اي طالب العدل وهو خلاف الجور والظلم
فمقصود الشارع فيما شرعه من الاحكام انما هو المصالح العايدة الى الخلق معاشا
ومعادا وذلك المقصود لا يتم الا بامام من قبل الشارع يرجعون اليه فيما يعرض
لهم لانهم قد لا ينقاد بعضهم لبعض عند تشتت الاراء واختلاف الاهواء بل ربما
ادى ذلك الى هلاك الكثير من المسلمين وضياع حقوق المستضعفين كما هو
مشاهد عند موت الولاة ففي نصب الامام رفع المضرة العظيمة والفتن
التي لا مزيد عليها فيكون من اتم المصالح واعظم المقاصد الدينية في محله

الامامة ليست ركن معتقد بل ركن مصلحة

الامامة ذكرت في كتب العقائد لبيان التعصبات الفاسدة

نصب الامام من اتم المصالح واعظم المقاصد الدينية

الايجاب

الايجاب السمعي شروطها اي الامامة جمة اي كثيرة في الكتب اي كتب الفروع
والحديث والتفسير والكتاب اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على ابواب
وفصول قد بسطت اي نشرت بالذكر منها العدالة كما تقدم انها وصف مركب
من خمسة شروط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة
او اعتقاد وان يكون من صميم قريش وان يكون ممن يصلح ان يكون قاضيا
من قضاة المسلمين مجتهدا لا يحتاج الى غيره في الاستفتا في الحوادث اتفاقا وان
يكون ذا خبرة ورأي حصين اي تام لا اخلال فيه بامر الحروب وتدبير الجيوش
وحماية الامة والاخذ للمظلوم والانتقام من الظالم وان يكون ممن لا تلحقه
رقة في اقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ونحوه وان يكون سليم
الاعضاء فيكون سميعا بصيرا ناطقا ليس اقطع ولا اشل واما حديث اسمع
واطع وان كان عبدا مجدع الاطراف فمحمول على من قهر الناس وعلى نايب
فوض له الامام امرا في الامور وان يكون بالغا عاقلا حرا ذكرا مسلما وان
يكون من افضلهم في العلم لقوله عليه السلام ائمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن
تستشفعون وقال تعالى في وصف طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم وليس
من شرطه ان يكون معصوما ولا عالما بالغيب ولا ان يكون افرس الامة ولا
اشجعهم ولا ان يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم وقد تكلم استاذنا رحمه
الله تعالى على ما يتعلق بهذه الشروط في كفاية عمدة المريد فيجب البحث عن
هذه الشروط لان من نالها اي وجدت فيه كلها اي جميعها حقا اي على
التحقيق لان كثيرا مما لا يستحقها قد يتكلف اظهار بعض المحاسن قبل الظفر بها
ليحبه الناس ويعينوه على الظفر بالرياسة فاذا نال غرضه منها وتولى سعى
في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لها اي للامامة
ينل اي يعطاها فيكون مقدما على غيره وتعقد له البيعة ولا يكون الامام
الذي عقدت له البيعة لوجود العدالة بطاري الفسق اي بالفسق الطاري
عليه بعد البيعة كالزنا وشرب الخمر واصل الفسق الخروج عن الاستقامة
والجور وبه سمي العاص فاسقا منعزلا اي متنحيا ومنصرفا عن الامامة عند الله

شروط الامامة

قف على تعريف العدالة

مهم

لا ينعزل الامام بالفسق الطاري الا بكفر

تعالى وان استحق العزل الا بكفر طرا عليه بان يامر به او يتلبس به والكفر
ضد الايمان فهو انكار ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به من الدين بالضرورة
او ما يستلزمه كالقا المصحف في القاذورات فذا اي الذي تغيرت عدالته بطرو
الكفر لا بد من الخروج عليه واقامة بدل عنه لان الامام لا يكون كافرا
ثم فرع على قوله ولا يكون بطاري الفسق منعزلا قوله فلا خروج اي فلا
يجوز لاحد الخروج على امامه بوصفا اي بسبب الفسق الطاري والمعصية
ما وجدت منه الصلاة اي مدة اقامتها لنا لما في الخروج عليه من الفتن
والفسق بحاله لم يزل ثابتا متلبسا به اما اذا كان ترك اقامتها او الدعا اليها
او الى شي من الشريعة فانه يخلع لقوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبادة
رضي الله عنه وان تنازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله
فيه برهان وقوله بواحا اي ظاهرا لا تاويل فيه وفي حديث ام سلمة رضي
الله عنها قال صلى الله عليه وسلم انه يستعمل عليكم امرا تعرفون وتنكرون
فمن كره فقد برى ومن انكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا
يا رسول الله الا نقاتلهم قال لا ما صلوا وفي لفظ ما اقاموا فيكم الصلاة اي من
كره وانكر بقلبه علل هذا الذي ذكرناه من النهي عن الخروج على الامام بسبب
الفسق اتانا اي وصل الينا بالطريق الصحيح غير ما خبر اي احاديث كثيرة
كحديثي ام سلمة وعبادة رضي الله عنهما المذكورين وانما نهينا عن الخروج على
الايمة ان في الخروج عليهم بسبب غير الكفر مزيد الفسق والخروج عن
الطاعة المامور بها في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
وفي قوله صلى الله عليه وسلم من اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري
فقد عصاني والزلل جمع زلة وهي المعصية والخطيئة ولا يحتج على جواز الخروج
على الايمة الفساق بخروج كثير من التابعين كسعيد بن جبير واضرابه على الحجاج
والسعي في محاربته وعزله لانهم انما خرجوا عليه لانهم راوه كافرا لشواهد ذلك
على كفره كما هو راي المحققين من المتقدمين والمتاخرين والكافر لا يحل اقراره
على التقدم على المسلمين واذا كان الامام لا ينعزل بالفسق فلا يجوز خلعه بلا سبب

لا خروج على الامام بوصف الفسق ما وجدت

لا يحتج على جواز الخروج على الايمة الفساق بخروج كثير من التابعين

من

من باب الاولى والله تعالى اعلم فصل في بيان ما ثبت اي وردت في بيان ما ورد به السمعيات
به السمعيات اي الدلايل المسموعة التي طريقها الوحي من الامور اي المسايل المغيبة
التي لا تتلقى احكامها الا من السمع ولا تؤخذ الا من الوحي واصل الغيب ما غاب
عن العيون سوا كان معلوما ما في القلوب او لا واعلم ايها المكلف بانه رسول الله
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ثبتت رسالته بما ايده الله به من المعجزة
القايمة مقام قوله سبحانه صدق عبدي في كل ما يبلغ عني فوجب تصديقه
صلى الله عليه وسلم وقد اخبرنا بما وصل الينا بالسنة عمن حضر مجلسه
الشريف الذي حدث فيه عن الغيوب مما غاب عن العباد ولم تهتد اليه العقول
من اشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة
والنار وما يتبع ذلك بحق واقع غير مفتعل اي غير مكذوب بل ذلك مما
اطلعه عليه خالقه سبحانه قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على ما شاء من ذلك ليكون دالا
على نبوته كالقبر وما يقع فيه وهو المكان المهيا للدفن لان الميت يقرا اي
يدفن فيه فالمرء من هذه الامة مومنا كان او كافرا ولو جنيا لما ياتي
فيه اي في القبر وكذا لو تقطعت اجزاوه وتفرقت او اكلته السباع في اجوافها
لا يبعد ان يخلق الله الحياة في اجزائه او بعيده كما كان علم من هذا ان
الملايكة لا يسالون لان السوال لما شانه ان يفتتن ثم هذا العموم مخصوص بمن
ورد الاثر بعدم سواله كالانبيا عليهم السلام ولا ينبغي ان يكون سيدهم الا
محل خلاف لاحد وكالصديق والمرابط والشهيد وملازم قراة سورة تبارك
الذي بيده الملك كل ليلة وسورة السجدة ومن قرا في مرضه الذي مات فيه
سورة الاخلاص ومريض البطن وميت ليلة الجمعة او يومها كالميت بالطاعون
او في زمنه ولو بغيره صابرا محتسبا والحق الوقف عن سوال الاطفال و
مقتضى الروضة انه لا يسال الا المكلفون فلا يسال المجنون ولا الابله وكذا
لا يسال اهل الفترة بنا على الراجح من اختصاص السوال بهذه الامة فلا
يكون الا لمن ينتسب اليها واما الجن فجزم الجلال رحمه الله تعالى بسوالهم

ما يتعلق بالسوال في القبر

تنبيه على الذين لا يسالون في قبورهم

كيفية السوال واشكال الملكين

لتكليفهم وعموم ادلة السوال **ذو مسيلة** فيعيد الله الروح الى الميت جميعه
وتكمل حواسه فيرد اليه ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتاتى معه رد الجواب
من الحواس والعقل والعلم ثم يسال عن العقايد فيقال له من ربك
وما دينك وما نبيك ويوفق المومن الجواب الصالح وان كان عاصيا من غير
تحير ويجيب كل احد بما مات عليه من ايمان او كفر او شك وهذا من
مجوزات العقول التي جاء الشرع بها وكل ما هو كذلك فهو حق يجب قبوله
واعتقاده شرعا وفي الحديث ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه
وانه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان اسودان ازرقان اعينهما كقدور النحاس
وفي لفظ كالبرق واصواتهما كالرعد اذا تكلما يخرج من افواههما كالنار يحثان
الارض بانيابهما وفي لفظ انها كصياصي البقر يعني قرونها وفي لفظ تنشان
في الارض كما يتمشى احدكم في الضباب بيد احدهما مرزبة لو اجتمع اهل منى عليها
لم يقلوها اي لم يحملوها واسمهما منكر ونكير فيقعدانه فيقولان له من
ربك وما دينك ومن نبيك وفي لفظ ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى
الله عليه وسلم فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له
انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا
ويقولان له كما في لفظ نم نومة العروس الذي لا يوقظه الا احب الناس
اليه ويفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون واما
المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هاه هاه لا
لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق
من حديد بضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين

حكمة السوال

وحكمة السوال اظهار ما كتمه العباد في الدنيا من كفر او ايمان او طاعة او عصيان
ليباهي الله بهم الملايكة او ليفضحوا عندهم والا فالله سبحانه يعلم الظاهر
والضماير ثم المسول **اما نجاة** من العذاب قدرت **له** ازلا ان كان ممن ختم له
بالاسلام بان كان من الطايعين فيوفقه للجواب الصالح فيقال له نم نومة
العروس الذي لا يوقظه الا احب الناس اليه قد علمنا ان كنت لموقنا ثم

يفسح

يفسح له في قبره سبعون ذراعا او اكثر ويملأ عليه بالريحان ويجعل روضة من
رياض الجنة ويوضع له قنديل عند راسه ثم لا يزال منعما الى يوم القيامة

معنى العذاب

او بالعذاب وهو لغة كل ما يعني الانسان ويشق عليه من العذاب بمعنى المنع
لانه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثل فعله

عذاب القبر ثلاثة اثلاث

بلى اي ابتلاه الله تعالى ولو اجاب بالحق حين سوال الملكين فقد يعذب بنوع
من التقصير في البول ونحوه قال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث

في بعض الاعمال كما في مسالة صح

من عذاب القبر ضغطته

ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة ومن عذاب القبر ضغطته
وهي التقاء حافتيه على الميت لا ينجو منها طالح ولا صالح ولو نجى منها غير الانبياء
لنجى سعد بن معاذ الذي اهتز العرش لموته وحضر جنازته سبعون الفا من

في اثبات عذاب القبر والادلة الكتاب والسنة

اعيان الملايكة وفي الحديث لولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب
القبر الذي اسمع وعذاب القبر مما تظاهرت على اثباته دلايل الكتاب والسنة
قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ولا يمتنع عند العقل ان يعيد الله
تعالى الحياة في الجسد او في جزء منه ويعذبه واذا لم يمنعه العقل وورد به
الشرع وجب قبوله واعتقاده فالعذاب على هذا عندنا للجسد بعينه او بعضه
بعد اعادة الروح اليه او الى جزء منه ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت
اجزاوه او اكلته السباع او حيتان البحر او نحو ذلك قال الجلال قال العلماء عذاب
القبر هو عذاب البرزخ اضيف الى القبر لانه الغالب والا فكل ميت اراد الله
تعذيبه ناله ما اراد به قبر او لم يقبر ولو صلب او غرق في بحر او اكلته الدواب
او احرق حتى صار رمادا او ذري في الريح ومحله الروح والبدن جميعا باتفاق اهل
السنة وكذا القول في النعيم يكون للكافر ذكرا وانثى والمنافق كذلك ومن اراد
الله تعذيبه من عصاة المومنين ولا يختص عذاب القبر بمن ذكر من هذه
الامة بل هو عام لمن ذكر ولم يعلم به عليه السلام الا بالمدينة بعد الهجرة
وكل من ذكرنا انه لا يسال في قبره فكذلك لا يعذب فيه قال ابن القيم عذاب

قسما عذاب القبر

القبر قسمان دايم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من
خفت جرايمهم من العصاة فانهم يعذبون بحسب جرايمهم ثم يرفع عنهم بدعاء

اوصدقة او غير ذلك قال اليافعي وبلغنا ان الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة — الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة
تشريفا لها قال ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار وجميع
ما ذكر من سوال القبر ونعيمه وعذابه جايز عقلا واجب سمعا ثابت — ما ذكر من سوال القبر ونعيمه وعذابه جائز عقلا واجب سمعا
في الجملة وهو لا يستلزم وجوبه لكل فرد من افرادها ودليل وجوبها
انها امور ممكنة عقلا اخبر بها الصادق على ما نطقت به النصوص وكل
ما هو كذلك فهو حق يجب شرعا قبوله كما عليه اهل الحق والجماعة وجمهور
المعتزلة خلافا لمن انكر ذلك من الملاحدة ومن تمذهب من الاسلاميين
بمذهب الفلاسفة وقالوا انه لا حقيقة له لان الميت جماد لا حياة فيه ولا
ادراك فتعذيبه محال في خرافات ظاهرة البطلان والواجب علينا الايمان
بالله تعالى وانه يفعل ما يشا ومن انكر عذاب القبر او نعيمه فهو كافر — من انكر عذاب القبر او نعيمه فهو كافر عند الاشعرية
عند الاشعرية بشرط تكليفه وبلوغه الدعوة وكذا في كل ما ثبت
بدليل السمع وما علم كونه من الدين بالضرورة والله تعالى اعلم **لقن**
من الملقنين كالتفهيم **عبيدك** من العبودية وهي الخضوع والذل **يا مولاي**
اي يا سيدي ومالكي وناصري **حجته** اي ما يحتج به احتجاجا صحيحا مقبولا
عند ورود **السوال** في الدنيا او في القبر او في القيامة اي خلصه من فتنته
بالتوفيق للجواب الصالح وتثبيته في **محل** اي مكان **الروع** اي الخوف **والوجل**
اي الفزع قال تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة او بتسخير من يتولى الجواب عنه كسورة تبارك الملك ونحوها
فانها تجادل عن قاريها او يمنع السوال عنه بالمرة كابي بكر وعمر رضي الله
عنهما ويزيد بن هارون رحمة الله عليه وخصوصا عند تكرر السوال سبعة
ايام للمومن واربعين صباحا للكافر في اول النهار ما عدا وقت الدفن وحكمة
التكرير توكيد الفتنة والتشديد وتمحيص المومن ان كان له ذنوب ورفع
درجاته واظهار شرفه صلى الله عليه وسلم وخصوصيته بالسوال عنه
بالقبر دون غيره من الانبيا عليهم السلام كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم
فاما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسالون وفي حديث عبد الله بن الشخير رضي

الله

الله عنهما من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في
قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى
يجيزوه الصراط الى الجنة خرجه الطبراني في الاوسط **والروح** وهي النفس — الروح باقية
التي اجرى الله العادة بخلق الحياة في البدن عند بقايها مشتبكة به سارية
فيه فاذا فارقته وقبضت بانتهاء اجله خلق فيه الموت **باقية** بعد
موت البدن منعمة ان كان من اهل الخير ومعذبة ان كان من اهل الشر
ليست بفانية اي ذاهبة ومضمحلة الصورة والعين وفنا الجسم لا يوجب فنا
الروح المغايرة له وكونها مدبرة له متصرفة فيه لا يقتضي فناها بفنايه
هذا ما لا خلاف فيه بين الاسلاميين وغيرهم وعليه فارواح اهل السعادة
بافنية القبور وقيل بالبرزخ عند ادم عليه السلام وارواح الكفار ببير برهوت
بحضرموت وهي متفاوتة في منازلها اعظم تفاوت انما اختلفوا في فنايها وبقايها — اختلفوا في فنائها وبقائها عند النفخة الاولى
عند النفخة الاولى فذهب الحليمي الى الحكم بوجوب فنايها عند النفخة الاولى وطايفة
لقوله تعالى كل من عليها فان ومنعه طايفة وهذا كما قال السبكي هو الظاهر
لانهم اتفقوا على بقايها بعد الموت ضرورة سوالها في القبر وجوابها ونعيمها
فيه او تعذيبها والاصل في كل باق استمراره حتى يظهر ما يصرفه عنه وهذا
قول اهل السنة فيكون من المستثنى بقوله تعالى الا من شا الله **والجسم** ف
هو الجوهر القابل للانقسام من غير تقييد بالاقطار الثلاثة اعني الطول والعرض
والعمق فلو فرضنا مولفا من جوهرين فردين كان الجسم مجموعهما لا كل واحد
منهما وعلى المشهور عن المعتزلة هو الطويل العريض العميق **من جنس ذاك**
الترب قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وفي — ١٢ الملكص
الحديث اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان
الذي يدفن فيه فيذر على النطفة فيخلق النسمة من النطفة ومن التراب ذلك
قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقد كتبناه
في نثر الزهور على شرح الصدور **حين** اي وقت **بلى** اي فني وذهب معظمه اي جميعه
الا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة في العصعص اخر سلسلة الظهر عند الصلب

اختلف في عجب الذنب

هو للانسان بمنزلة مغرز الذنب للدابة فانه اختلف فيه على قولين مشهورهما
انه لا يفنى لقوله صلى الله عليه وسلم ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما
واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيمة والجمهور على ان بقا
هذا العظم عند القايل به تعبدي وان علل بجواز كونه جعل علامة للملايكة
على احيا كل انسان بجوهره التي كانت في الدنيا باعيانها وهو كما قال النووي
رحمه الله تعالى اول ما يخلق من الادمي وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب
الخلق عليه فتفنى الاجسام جميعها غير الاولى اي الذين خصهم اي شرفهم
بالامتياز عن غيرهم بالحفظ اي بحفظ اجسامهم عن البلا بالتراب وغيره
خالقهم اي مخرجهم من العدم الى الوجود كالانبيا عليهم الصلاة والسلام فان
الارض لا تاكل اجسامهم لحديث ان الله حرم على الارض اجساد الانبيا حسنه
ابن العربي وصححه غيره بل هم احيا في قبورهم يصلون ويسبحون ويحجون
ويتقربون الى ربهم عز وجل بساير العبادات التي كانوا عليها في الدنيا تلذذا
بها لا انها التكليف لانقطاعه بالموت ومن جملة اهل الخصوص الذين خصهم
خالقهم بحفظ اجسامهم ولي وهو من يوالي الطاعات ويتولى الله حفظه فلم
يكله الى نفسه فلا تاكل الارض اجساد الاوليا ولا الشهدا ولا المؤذنين احتسابا — *الذين لا تاكل الارض اجسامهم*
وكذا حامل القران العامل به ومن لم يعمل خطيئة قط والعلما العاملون به
ومن خالطت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى حشاشته حتى سرت
في جسمه سريان الما في العود وكذلك من ياكل الحلال الصرف الذي لا تخالطه
شبهة وللعلما في هذه المستثنيات قولان احدهما فناؤها بالفعل والظاهر
تاييده والاخر انها باقية بابقايه تعالى ليستثنيها بحله الفنا فقوله تعالى كل شي
هالك الا وجهه كل من عليها فان اي قابل للهلاك والفنا من جهة كونه
محدثا والله تعالى اعلم

فصل في وجوب اعتقاد وقوع **البعث** — *في البعث والحشر*

هو والنشر عبارة عن الاخراج من القبور بعد جمع الاجزا الاصلية
واعادة الارواح اليها **و**وقوع **الحشر** عقبه وهو جمع الناس وسوقهم الى محل — *البعث والنشر والحشر*
الحساب بعد احيايهم وهو المراد هنا وان كان يقال لصرفهم من الموقف

الى

الجنة او النار وكلاهما في الاخرة كما انه يقال في الدنيا لاجلائه عليه السلام اليهود
الى الشام ولسوق النار الناس قرب قيام الساعة الى المحشر فانواعه اربعة
والبعث حق عند اهل السنة والمحققين من الفلاسفة وان اختلفوا في — *مذهب اهل السنة ان البعث جسماني فقط*
كيفيته فذهب جمهور المسلمين الى انه جسماني فقط لان الروح عندهم باقية
والباقي لا تتصور فيه الاعادة فيبعث الله الخلق ويعيدهم **باحيا الجسوم** بعد
اعدامها على الصحيح وقيل لا يعدم الجسم وانما تتفرق اجزاؤه ثم تركب تاليفها ثم — *اعدام الجسوم وقيل لا يعدم الجسم وهذا الخلاف مخصوص بمن لا يفنى جسمه*
تعاد الارواح اليها وهذا الخلاف بخصوص من لا يفنى جسمه كالانبيا ومن
ذكر معهم فتعاد الاجساد بجميع اجزائها الاصلية وهي التي من شانها البقا من
اول العمر الى اخره كما نشاهد قريبا وتخرج كل من محله هذا من بطن
الارض وهذا من بطن الحوت وهذا من حواصل الطيور وهذا من
بطون السباع ولو حرقوا وذروا في الرياح سوا كانوا يجازون كالمكلفين او لا
كالبهايم والوحوش كما عليه المحققون ثم يساقون الى محشرهم لفصل القضا بينهم
هذا ما عليه اهل الحق لورود الكتاب والسنة به مع كونه من الممكنات
التي اخبر بها الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق — *دليل امكان البعث واخبار الشارع*
امكانه اما فلان الكلام فيما عدم بعد الوجود او تفرق بعد الاجتماع ومات بعد
الحياة وهذه امارات الامكان واما اخبار الشارع عنه ففي حديث عبد
الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرسل
الله مطرا كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم يقال يا ايها الناس — *اختلفوا في طريق ثبوت البعث*
هلموا الى ربكم الحديث انما اختلفوا في طريق ثبوته فقال اهل السنة طريقه
السمع وقالت المعتزلة طريقه العقل والى مذهب اهل السنة اشار بقوله
يحيي الله الجسوم ويعيدها **كما قد كان** سبحانه **انشاها** اي خلقها **بدا**
اي ابتدا في اول مرة **بلا امتثال** تقدم ينسج على منواله قال تعالى وهو
تقدم الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وجميع الممكنات
بالنسبة الى قدرته تعالى على حد سوا وقال تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم جوابا لابي بن خلف لعنه الله او غيره

حين انكر البعث وجا بعظم حايل وقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم وفي لفظ ارايت ان سحقتها وذريتها في الرياح ايعيدها الله تعالى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم يبعثك الله عز وجل ويدخلك النار ان الفلاسفة جمع الفلسفي وقال السيد عيسى الصفوي رحمه الله جمع فيلاسوفا اسم لمحب الحكمة ومنه اشتقت الحكمة انتهى وعرفوها بانها علم يبحث فيه عن احوال اعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الامر بقدر الطاقة البشرية الضلال جمع الضلالة لاضلالهم طريق الحق وميلهم عنه منهجهم اي ما اختصوا به من الاحكام الاعتقادية انكار اي جحد احيائها اي الاجسام والحياة صفة تقتضي الحس والحركة الارادية قالوا لان البدن ينعدم بصورته واعراضه فلا يعاد لاستحالة اعادة المعدوم بعينه وانما تعاد الارواح بمعنى انها بعد موت البدن تعاد الى ما كانت عليه قبل الابدان من التجرد متلذذة بالكمال العلمي والعملي او متالمة بالنقصان كالجهل احتجوا على ما ذهبوا اليه بالعقل اي بشبهة عقلية تحصيلها لو اكل انسان انسانا بحيث صار جزء منه واجزاء من بدنه فتلك الاجزاء الماكولة اما ان تعاد في بدن الاكل او في بدن الماكول وايا ما كان لا يكون احدهما بعينه معادا بتمامه على انه لا اولية لجعلها جزء من بدن احدهما دون الاخر ولا سبيل الى جعلها جزءا من كل منهما وايضا اذا كان الاكل كافرا والماكول مسلما مؤمنا يلزم تنعيم الاجزاء العاصية او تعذيب الاجزاء المطيعة وجوابها انا نعني بالحشر اعادة الاجزاء الاصلية الحاصلة في اول الفطرة اعني حال نفخ الروح فيه من غير لزوم فساد والجدل اي واحتجوا على ما ذهبوا اليه ايضا من انكار البعث بشبهة جدلية ايضا تحصيلها ان البدن لو اعيد لم يخل اما ان يكون لغرض مقصود او لا وكلاهما باطل اما الثاني فلانه يودي الى العبث والسفه واما الاول فلان ذلك الغرض المقصود اما الايلام او تحصيل اللذة او دفع الالم والاول لا يصلح ان يكون مقصودا للحكيم والثاني باطل لانه ليس في هذا العالم

الجسماني

تعريف علم الحكمة

احتجاج الفلاسفة على مذهبهم بشبهة عقلية وجدلية

الجسمانية لذة في الحقيقة بل كل ذلك خلاص عن الالم والثالث باطل ايضا لانه يحصل بالبقا على العدم وجوابها ان افعاله تعالى يستحيل تعليلها بالاغراض على مذهبنا فليس يحشر الا الروح عندهم اي عند معظمهم فان الطبايعيين منهم انكروا بعث الارواح ايضا كالاجساد وما اثبته الا الالهيون منهم لانها جوهر مجرد باق لا يتطرق اليه الفنا فيعود من عالم المركبات الى عالم المجردات بقطع التعلقات ويحيى نحوهم في هذا طايفة من النصارى كان قد رد به سبحانه للجسم اي لاعادته لم تصل لانه عدم بصورته واعراضه فتستحيل اعادته وقد تقدم ان القدرة الازلية تتعلق بكل ممكن لا يخرج عنها فرد منه قال تعالى والله على كل شي قدير عند ذا القول واعتقاد نفي المعاد الجسماني وقصر البعث والثواب والعقاب على مجرد الارواح كفروا اي حكم بكفرهم قال ابن عرفة المالكي وتكفير الغزالي الفلاسفة بانكارهم حشر الاجساد والتنعيم الحسي وعدم علم الله تعالى بالجزئيات وعدم حدوث العالم صواب كفرا اي مثل كفر الفريق الذين نفوا اي منعوا اعادة مطلقا اي للاجساد والارواح كالطبايعيين والدهرية والملحدة والمعاد في الكتاب اي القران العزيز تلي اي تليت اياته الدالة عليه وثبت فانكاره انكار لما علم من الدين ضرورة وتكذيب للعقل وللشرع منها قوله تعالى قل من يحيى العظام وهي رميم الاية فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير كذاك من شك في المعاد الجسماني او في مطلق الاعادة حكمه حكم من جزم بنفيه والشك لغة قد يستعمل بمعنى الظن واصطلاحا تجويز امرين لا مزية لاحدهما على الاخر عند المجوز وان كان له مزية في الواقع وبين وجه الشبه بقوله فالاجماع هو لغة العزم والاتفاق واصطلاحا اتفاق علما العصر على حكم الحادثة الشرعية اي الخصلة التي من شانها ان تحدث وتوجد من قول او فعل وغيرهما منعقد منهم اي من العلما المعتبرين على كفره اي من شك في المعاد والنص فيه اي في تكفير الشاك في المعاد جلي اي ظاهر لان المعاد مما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم

الروح يحشر عند الفلاسفة

تكفير الغزالي الفلاسفة بثلاثة

الاجماع على تكفير من شك في المعاد الجسماني

وصار معلوما من الدين بالضرورة فالشك فيه كانكاره والاجماع حجة لقوله
صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة اي باطل اي لا ايقع عمدا ولا
خطا ولكنه ضعيف وغنا في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لن تزال
هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم الحديث حكى الشهاب
اي شهاب الدين ابو العباس احمد بن ادريس القرافي رحمه الله تعالى احد ايمة
المالكية وعلق بقوله حكى لنا اي ذكر ذا اي الاجماع على تكفير الشاك في المعاد
في قواعده اي كتابه الذي سماه القواعد ثم علل ما ذكره القرافي في قواعده
بقوله حكمنا بكفر الشاك في المعاد موافقة للاجماع ولانه تكذيب للرسول صلى
الله عليه وسلم فيما اخبر به وللقرآن اذ جا النص الصريح بالاعادة في الذكر اي
القرآن ايضا على وجه قطعي غير محتمل للتاويل بوجه من الوجوه قال
القرافي رحمه الله تعالى وقد كثر التنبيه على احوال الاخرة في شرعنا اكثر
من التوراة والانجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن اكثر من ذكر
البعث وبالغ فيه حتى اخبر وحلف فقال سبحانه زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير والذي
دل عليه قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا
امم امثالكم الاية عموم الحشر للاجساد والدواب والبهايم والطير كما ذكرناه
في العيون الناظرة والله تعالى اعلم من اجل ذلك اي من اجل امكان الاعادة
لم يكتف سبحانه في بيانها في القرآن بمجرد النص القطعي على وقوعها حتى كرره
تكريرا لا يمكن ان يدعى فيه الجهل وعدم وصول العلم فالمكذب به والشاك
فيه مكذب بالقرآن غير مومن به ومن لم يومن بالقرآن فهو كافر قطعا ثم
لم يكتف بهذا بل اوضح اي اظهر سبحانه الامر اي الشان في تثبيت معناه
اي المعاد الجسماني بالمثل التي ضربها بحيث لا يسع العاقل انكارها من ذلك قوله
تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اينا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
الى ميقات يوم معلوم ثم بين امكان ذلك وعدم احالته عقلا بقوله افرايتم

ما تمنون

ما تمنون اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الاية فالواجب اعتقاده ما عليه
السلف والخلف ان الله تعالى يعدم الذوات بالكلية ثم يعيدها باعيانها واعراضها
وازمنتها وامكنتها كما صححه الزركشي رحمه الله تعالى وهو قول اهل السنة
والمعتزلة القايلين بصحة الفنا على الاجسام بل بوقوعه وفي الحديث يحشر
الناس حفاة عراة غرلا بهما وما اورد عليه من لزوم اجتماع المتنافيات
كالطول والقصر والكبر والصغر والحياة والموت وزمان الحال مع الماضي او
المستقبل يجاب عنه بان الاعادة ليست دفعة بل على التدريج حسب ما كانت
في الدنيا وفي الحديث دعاوه صلى الله عليه وسلم برد الشمس بعد غروبها
على علي رضي الله عنه حتى صلى العصر وكان قد شغل عنها بحاجته صلى
الله عليه وسلم فلو لم تكن الصلاة حينئذ اداء لم يكن للعود فايدة والله
تعالى اعلم فصل في بيان حقيقة وقوع اخذ اي تناول جميع
الامم يوم القيمة من الانس والجن ما علمت وورد النص باستثنايهم كما
ستسمعه الان صحف الاعمال التي كتبها عليهم الحفظة في الدنيا فيها اقوالهم و
اعمالهم هذا مما يجب الايمان به سمعا لورود الكتاب والسنة به وانعقاد
الاجماع على تلقيه بالقبول مع امكانه وكل ما هو كذلك فهو واقع والايمان
به واجب وكذا الحفظة الموكلون باعمال العباد في الدنيا لقوله تعالى وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين وهما الرقيب والعتيد من ملايكة الليل والنهار
احدهما على اليمين يكتب الحسنات والاخر على اليسار يكتب السيات لا يتغيران ليلا
ونهارا فاذا عمل العبد حسنة بادر صاحب اليمين الى كتابتها واذا عمل سيئة
واراد صاحب اليسار كتابتها قال صاحب اليمين له تريث به لعله يستغفر الله
عز وجل فينتظره ست ساعات فان استغفر وتاب كتبها صاحب اليمين والا كتبها
صاحب اليسار سيئة ويورخان ما يكتبان بالايام والجمع والاعوام والاماكن فاذا
مشى العبد كان احد الملكين بين يديه والاخر وراءه واذا جلس كان احدهما
عن يمينه والاخر عن شماله لقوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد
وتوصل صحف الايام بالليالي وقيل ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة

فاذا مات العبد جعلت صحيفته في خزانة تحت العرش فاذا كان يوم القيمة
والناس في الموقف بعث الله ريحا فتطيرها بالايمان والشمايل فيا خذها
الناس ويقال لبعضهم اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتبين
شهودا والبداشار بقوله **وياخذ الكتب** التي ذكرناها لا كتب تكتبها العباد
في تنورها ولو لم يكونوا عالمين بالكتابة لان حديثه لا اصل له او فيه لين
والمراد ان من اراد الله ان ياخذ كتابا يوم القيامة اخذه اما من عنقه بعد
ان تطيرها الرياح وتلزمها الاعناق ثم ياخذها الملايكة فيعطونها للناس
في ايديهم على حسب مقاماتهم وعلق بقوله باخذ الكتب **بالايمان** جمع يمين
بمعنى الجارحة المخصوصة **ايمتنا** اي اسعدنا وادركنا **نحن** اي من الفريق الذي
له سابق التخصيص اي المزية والتشريف بالسعادة **في الازل** وهو المومن مطلقا
والازل عبارة عن عدم الاولية ثم التخصيص الازلي كما هو بالاخذ باليمين كذلك
يكون بتقدم الاخذ بالمرة كابي بكر الصديق رضي الله عنه والانبيا والملايكة ومن
يدخل الجنة بغير حساب فاول من ياخذ كتابه بيمينه عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس وبعده ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
المخزومي فاذا اخذ المومن كتابه بيمينه وجد حروف كتابه نيرة او مظلمة
بحسب اعماله الحسنة والقبيحة واول خط فيها اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا فاذا قرا المومن كتابه ابيض وجهه كما يسود وجه الكافر اذا قرا كتابه
وذلك قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيخلق الله القراة فيه
وان لم يكن يقرا قبل ذلك والقراة حقيقة لورود النص بها كذلك **طوبى**
اي الجنة او شجرة فيها او فرح وقرة عين **له** اي للامين اذا اخذ كتابه بيمينه
قد اتت اي وردت **في الاي** جمع اية وهي لغة العلامة لانها علامة لانقطاع
ما قبلها وانفصال عما بعدها او لانها جماعة حروف من القران وطائفة منه
مدحته اي الثنا بالحسن عليه قال تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا فاما من اوتي كتابه
بيمينه فيقول هاوم اقرا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة

راضية



قف
على اول من ياخذ
كتابه بيمينه عمر بن الخطاب

راضية وفي الحديث تقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة
الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك ومن الاخذ من يقرا
كتابه فيتبع بقراة نفسه كالاتباع في الخير ومنهم من يدعوا اهل حاضره
لقراته اعجابا بما فيه كالروسا المقتدى بهم في الخير ويبدا المومن بقراة
السيات فاذا بلغ اخر كتابه وجد فيه هذه سياتك وقد غفرت لك ثم يقلبه
فيقرا حسناته حتى اذا بلغ اخره وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت
لك فاذا فرغ من قراته اخذه ملك بضبعيه يعني وسط عضديه وينادي
على روس الاشهاد هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا
وذو الشمال اي صاحب الاخذ بالشمال وهو الكافر واول من ياخذ بشماله
الاسود بن عبد الاسد اخو ابي سلمة الذي قدمنا انه اول من ياخذ بيمينه
بعد عمر رضي الله عنهما **لذاك المدح** الوارد في القران والسنة ايضا **لم ينل**
فان من الكفار من لم يقرا كتابه لاشتماله على القبايح فياخذه بسبب ذلك
الدهش والرعب حتى يذهل عما بين يديه ويسود وجهه ويجد خطوط كتابه
سودا ويبدا بقراة حسناته فاذا بلغ اخره وجد فيه هذه حسناتك قد ردت
عليك ثم يقلبه فيقرا سياته فاذا بلغ اخره وجد فيه هذه سياتك وقد
ضوعفت عليك يعني عذابها واذا فرغ من قراته اخذه الملك بضبعيه وينادي
على روس الاشهاد هذا فلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا
واما المومن الفاسق اذا مات دون توبة فالمشهور كما اختاره شيخنا تبعا
لما جزم به الماوردي انه ياخذ كتابه بيمينه لا بشماله قبل دخوله النار
ويكون ذلك علامة على عدم الخلود فيها وظواهر الاثار ان الحسنات تكتب
متميزة من السيات كما قررناه والجن كالانس على ما صرح به القرطبي
وغيره وانما سمح الاخذ كتابه بيمينه **حضا** اي لاجل الحث والتحريض
على فعل الخير وهو ما يعبر عنه بالحسن وهو ما يكون متعلق المدح
في العاجل والثواب في الاجل **كي** اي لاجل ان **تقوى بولعتنا** وتتحرك نفوسنا
لفعل الخير رجا الفوز بتلك المدحة التي وردبها القران **والشر** وهو ما

مايعبر عنه بالقبيح وهو مايكون متعلق الذم في العاجل والعقاب في الاجل
نحذره اي نحترز من فعله خوفا اي لاجل الخوف من الزلل اي الخطايا
التي اذا تريئت اسودت الوجوه منها فنصرا اي ظهر ذلك الحض على الخوف
والتحذير من التحريف في القران فاعل نص خالقنا فقد بين الطاعة ورغب
فيها والمعصية وحذر منها والمراد من نص القران او السنة ما دل ظاهر لفظها
عليه من الاحكام وخص من شا اي اراد بالتوفيق للطاعة فخلق فيه القدرة
عليها دون المعصية فلا يقع منه الا الطاعة فضلا منه سبحانه والفضل
العطا عن اختيارها كما خص من شا غيرهما بالمعصية وخلق القدرة عليها فلا
يقع منه الا المعصية عدلا لا اسل عن فعله تعالى اشارة الى قوله عز وجل
لا يسال عما يفعل الاية اي لا يساله الخلق عن قضايه وخلقه وهم يسالون
عن عملهم لانهم عبيد وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له يا امير
المومنين ايحب ربنا ان يعصى فقال ايعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني
الهدى ومنحني الردا احسن الي ام اسا فقال ان منعك حقك فقد اسا وان
منعك فضله فهو فضله يوتيه من يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما بعث الله موسى عليه السلام وكلمه وانزل
عليه التوراة قال اللهم انك رب عظيم لو شيت ان تطاع لاطعت ولو شيت ان
لا تعصى ما عصيت وانت تحب ان تطاع وانت في ذلك تعصى فكيف هذا يا رب
فاوحى الله تعالى اليه اني لا اسل عما افعل وهم يسالون فامنن من المن
وهو الاحسان والافضال اي انعم بالتوفيق والسعادة اللذين لا يحصلان الا
بفضل منك علينا فانك انت ذو كرم اي جود والكريم هو الجواد اذ المعطي
الذي لا ينفد عطاوه هو الكريم المطلق الذي لا يستحق الوصف به الا المسمى
به الذي يغضب اذا لم يسال والمراد اجعلنا ممن ياخذ كتابه باليمين و
نجنا اي خلصنا بسرعة في يوم ذاك الهول اي الخوف والامر الشديد من
وجل اي فزع يقع في ذلك اليوم المعهود وهو يوم القيامة وما يقع فيه
والمراد لا تجعلنا ممن ياخذ كتابه بالشمال وفي الحديث خوفني جبريل يوم

القيامة

القيامة حتى ابكاني فقلت يا جبريل الم يغفر لي ربي ما تقدم من ذنبي وما
تاخر فقال لي يا محمد لتشاهدن من اهوال ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة
والحق كما قال السعد اختلاف ذلك اليوم باختلاف احوال الناس جعلنا الله
والاحباب من الامنين بجاه حبيبه المصطفى الامين عليه افضل الصلاة و
التسليم الى يوم الدين

فصل في بيان حقيقة الميزان وحتم الايمان
به سمعا وهو جسم مخصوص ذو لسان وكفتين كاطباق السموات والارض
توضع فيه اعمال العباد بعد تجسمها اجساما نورانية او ظلمانية او صحف
الاعمال التي كتبت فيها ليظهر الرابح والخاسر ومكانه بين الجنة والنار يستقبل
به العرش كفته اليمنى للحسنات الى الجنة عن يمين العرش واليسرى للسيات الى
النار عن يسار العرش ياخذ جبريل عليه السلام بعموده ناظرا الى لسانه
وميكاييل امين عليه بحضرة الجنة والناس ووقته بعد الحساب واما ماهيته
جرمه من اي الجواهر وانه موجود الان او سيوجد فلم يقف عليه استاذنا
رحمه الله تعالى واية الوزن اي وزن الاعمال والوزن مساواة شيء
بغيره بغير كيل ولا عدد ولا مساحة في القران بينة اي ظاهرة لا تحتمل
التاويل قال تعالى والوزن يوميذ الحق فمن ثقلت موازينه فاوليكهم
المفلحون ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم الاية وقد بلغت
احاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع اهل الحق من المسلمين على انه ميزان
حسي ولا يكون في حق كل احد كما قاله القرطبي رحمه الله تعالى لحديث
فيقال يا محمد ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
واحرى الانبيا عليهم السلام وكذا لا يكون للملايكة ايضا لانهم لا يكتب لهم
عمل ولا يحاسبون والوزن فرع عن الحساب وعن كتابة الاعمال خصوصا
على القول بان الصحف التي توضع في الميزان والوزن لجميع الامم على
الاشهر والاصح في صحف الاعمال اي الكتب التي اشتملت على الاعمال بناء
على ان الحسنات متميزة بكتاب والسيات باخر لتقع المقابلة كما ذهب اليه
جمهور المفسرين ويشهد له ما عند مسلم وغيره من حديث عمرو بن العاص

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالرجل يوم القيمة
الى الميزان فتخرج له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيها
خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج قرطاس مثل الانملة
فيها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في كفته
الاخرى فترجح بخطاياه وهذا احد قولين ثانيهما ان الموزون نفس الاعمال
فتصور الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى
المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله ورحمته وتصور السيئة بصورة قبيحة
ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيات فتخف بعدل
الله ولا يمتنع قلب الحقايق خرقا للعادة على انه مقيد ببقاء اثار
الحقيقة الاولى وذهب بعضهم الى انه تعالى يخلق اجساما على عدد تلك الاعمال
من غير قلب لها كما جاء به الاثر وانما كان الوزن في صحف الاعمال لا في
الاعمال نفسها للثقل ضد الخفة اي لاجل ان الثقل الذي وصفت به الموازين
لا يتاتى في الاعمال لانها اعراض بخلاف الصحف فانها اجرام على الحقيقة ضد
المجاز اي الوزن كل منهما محمول على الحقيقة كالثقل والخفة حملا للنصوص والميزان
على ظواهرها كما عليه اهل الحق واشار الى رد ما خالفه بقوله لا العدل يراد
به اي بالوزن كما ذهب اليه بعض المعتزلة ومن وافقهم من اهل السنة
كالضحاك ومجاهد والاعمش قالوا الاعمال اعراض ان امكن بقاؤها لا يمكن
وزنها حال وجودها فكيف اذا زالت وتلاشت فيجب تاويل النصوص الواردة بالوزن
على ان المراد منها العدل الثابت في كل شيء فالميزان والوزن ضرب مثل
للعدل وقد علمت بطلان هذه الشبهة بان الموزون انما هو الصحف التي
هي اجرام او الاعمال بعد تجسمها او خلق اجسام بدلها فذاك اي حمل النصوص
الواردة بالوزن على العدل الثابت في كل شيء قول ركيك اي ضعيف مطروح
غير معتمد اي غير مستقيم على قوانين الشرع والعقل لان القاعدة ان كل
ما امكن عقلا واخبر به الشرع يجب الاعتراف به والتسليم له ثم بين فايدة
الوزن بقوله في المقادير اي مقادير الاعمال ومالها من الثواب والعقاب

التي

التي لا يتوصل الى ادراكها الا فيه اي بسببه الله يعلمها اي تلك المقادير لحكمة
امتحان العباد بالايمان بالغيب في الدنيا وجعل ذلك علامة لاهل السعادة و
الشقاوة وتعريف العباد ما لهم من الجزاء على الخير والشر واقامة الحجة
عليهم صدق ايها المكلف بما جا من الوزن والميزان واحمله على الحقيقة و
اعتقد مطابقته للواقع تسلك اي تدخل اعدل اي اقوم السبل اي الطرق وهو
طريق اهل الحق والسنة تثقل يا رب موازين الجمع فيه باعتبار معنى من لان
المراد منها كل مكلف من الجن والانس يرجوك اي يؤملك اذ الرجا هو الامل
مع الاخذ في اسباب المرجو حتى يمتاز عن الطمع تثقلها اي الموازين اي اجعله
من المفلحين الفايزين بالنجاة بالفضل اي الاحسان منك ولا تجحد للعمل لانه
قد لا يكون مقبولا وقد يقع الوزن بالعبد نفسه لقوله صلى الله عليه وسلم لرجل
عبد الله بن مسعود في الميزان اثقل من احد وكان الصحابة رضي الله عنهم قد
ضحكوا من دقة رجليه ومن مات له ولد يجعل كذلك في الميزان وفي الحديث يؤتى
بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم الراجح
انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال فالجمع في قوله تعالى
فمن ثقلت موازينه ونحوه للتعظيم لكثرة ما يوزن فيه او باعتبار اجزائه
وقيل لكل امة ميزان وقيل لكل مكلف ميزان وقيل للمومن موازين بعدد
خيراته وانواع حسناته وكيفيته ثقلا وخفة مثلها في الدنيا فما ثقل نزل
الى اسفل ثم يدفع الى عليين وما خف طاش الى اعلى ثم نزل الى سجين
ولا مانع من وزن سيات الكفار غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة
على عقاب كفرهم ان لم يتجاوز لهم عنها فقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا اي ينفعهم كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا
منثورا اي كالهبا في عدم نفعه وحصول فايدته وقيل لا يوزن لهم عمل
لانه لا يجتمع مع الكفر ايمان فيما دل به والله تعالى اعلم فصل في
بيان حقيقة الصراط وهو لغة الطريق الواضح وشرعا جسر ممدود على
متن جهنم ارق من الشعر واحد من السيف يرده الاولون والاخرون عن

اراد الله دخوله الجنة ويجوزه اهل الجنة ونزل قدام اهل النار و دليل
وجوب الايمان به انه من الامور الممكنة التي ورد بها الكتاب والسنة و
اتفقت الكلمة عليه في الجملة وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب مع تفويض
علم حقيقته اليه سبحانه **وليعتبر** من العبور وهو الدخول ويحتمل ان يكون من
الاعتبار وهو الانعاظ **بعد ما يلقاه** اي يراه ويشاهده **من خطر** بيان لما
يلقاه وهو الاشراف على الهلاك وعلق بقوله يلقاه **على الصراط** وفاعل يعتبر **جميع
الخلق** من جميع الامم مومنين كانوا او لا خلاف للحليمي في قوله ان الكفار لا يمرون
ويمكن حمله على انه المرور لا على ابتدائه وعلق بقوله يلقاه ايضا **من وجل**
اي فزع فالمعنى على الاول اي من اراد الله دخوله الجنة لا بد من عبوره الصراط
ثم يخلصه الله بعد الفزع ان قدر حصوله له والمعنى على الثاني ان الاشراف
على الهلاك يحصل بمجرد الاطلاع على الصراط بل بمجرد السماع به فكيف بالاكراه
على دخوله واول من يمر عليه هذه الامة المحمدية وهم السبعون الفا ثم عيسى
عليه السلام وامته ثم موسى عليه السلام وامته وهكذا يدعون نبيا نبيا وامة
امة حتى يكون اخرهم نوح عليه السلام وامته وكل امة خلصت تلقتها الملايكة
تدلها على طريق الجنة يمينك شمالك ولكنهم ليسوا سوا في المرور عليه كما اشار له
بقوله **كالريح** العاصف **ثم كلمح** اي لمع **البرق سابقهم** اي مرور السابقين من الخلق
او سرعة نقيض بطء **الخيل** اسم للحيوان المعروف لاختيالها في مشيها **سبقا**
تمييز لنسبة السرعة **ثم ذي مهل** اي عدم عجلة فالناجون اهل رجحان
الاعمال السالمون من السيئات هم الذين يجوزون كطرف العين ثم كالبرق ثم
كالريح ثم كالطير ثم كالجواد السابق ثم الجواز سعيا ومشيا ومنهم من يجوزه
حبوا فهم متفاوتون كالهالكين ايضا فمنهم من يكب باول قدم وهو الذي يكون
اخر الخارجين من النار ومنهم من يكب عند اخر قدم فيكون اول الخارجين
وتفاوت المرور بحسب التفاوت في الاعراض عن محرمات الله عز وجل اذا
خطرت على القلوب وفي الحديث ويعطى كل انسان منافقا ومومن نورا ثم
يطفى نور المنافقين وتنجوا المومنين فتنجوا اول زمرة وجوههم كالقمر ليلة

البدر

ليلة البدر سبعون الفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كاضوء نجم في السما كذلك
الحديث وفي لفظ وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا
فيمر اولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم اعمالهم
ونبيكم صلى الله عليه وسلم قايم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز
اعمال العباد حتى يجي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط
كلاليب معلقة مامورة تاخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار
وفي لفظ فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم ثم رد على من
انكر الصراط بقوله **ولا احالة** اي لا امنع **في هذا** اي ما جا به في صفة الصراط
من ورود الاولين والاخرين مع كونه ادق من الشعر واحد من السيف
فننكره انتفاها السني وان انكره المعتزلة والقرافي تبعا للشيخ العز بن عبد
السلام محتجين بانه لا يمكن العبور عليه ولو امكن ففيه تعذيب ولا عذاب
على المومنين والصلحا يوم القيامة قال وانما المراد بالصراط الجنة المشار اليه
بقوله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم وهذا باطل لوجوب حمل النصوص على ظواهرها الا ما خالف
القواطع والعبور عليه ليس بابعد من الوقوف في الهوى او الطيران فيه **فالطير**
تبصره اي تشاهده ببصرك وهو يطير على انواع وهيئات مختلفة **في الجو**
وهو ما بين السما والارض **لم يمل** ولم يسقط لانه سبحانه يمسكها بقدرته
قال تعالى اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن الا الله اي في
حال القبض والبسط والاصطفاف وقد اعتذر صلى الله عليه وسلم عن حشر
الكافر على وجهه بان القدرة صالحة لذلك فالذي يمسك الطير في الهوى
هو الذي يمسك الخلايق عليه والايمان بكل ذلك واجب ولا يعدل عن الحقيقة
الى المجاز الا عند الاستحالة ولا استحالة هنا مع ثبوت الاثار الواردة فيه
بنقل الايمة **فكيف** تكون **احوالنا** عند مشاهدته ورويته بل كيف تكون
احوالنا **حين** اي وقت **الجواز** اي مرورنا **على جسر ارق** روي بالراي والدال
المهملتين **من شعر** وهو ما يكون للانسان وغيره جمع شعرة **او احد من صارم**

اي سيف البطل اي الشجاع لانه يبطل حركة قرنه ولا يكون معه الا احد
السيوف وامضاها اذ لا يثبت الا كل ذو قدم واحد الاقدام ويراد به السابقة
في الامر اي من كان ثابتا على الصراط وابدل منه صراط الحق اي الاعتقاد
او المذهب الحق المطابق للواقع وهو اعتقاد اهل السنة لم يزل عنه ولم
يفارقه ففيه تعريض بمن انكره وانه لا يثبت فالله منصوب على التعظيم قدم
على عامله وهو نسال للاختصاص اي لا نسال الا الله تعالى في نيل اي اعطا
النجاة اي الخلاص بسرعة به اي في الصراط فالخوف من زلل اي سقوط عنه
انما هو من اي لاجل سابق الزلل اي المعصية السابقة والحكمة في الصراط كما
قال الزركشي رحمه الله تعالى ان يظهر للمومنين من عظيم فضل الله تعالى النجي في
من النار ولتصير الجنة اسر لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر بفوز المومنين بعد
اشتراكهم في العبور ولم يثبت ان الصراط يبقى الى خروج الموحدين من النار ليجوزوا
عليه الى الجنة او يزال ثم يعاد لهم ولا يعاد او تصعد بهم الملايكة الى السور الذي
في الاعراف وهو مخلوق الان كما صرح به ابن الفاكهاني والله تعالى اعلم بالصواب

فصل في بيان حقيقة حوض وهو جسم مخصوص بعد الصراط كما
اختاره المولف رحمه الله تعالى يشعب فيه ميزابان من الجنة والاضافة في
نبينا لتشريف المضاف اليه لا للاختصاص لما تقدم من عمومه صالة صلى
الله عليه وسلم ويحتمل ان يراد بالمضاف اليه جميع المكلفين وابدل منه للتقييد
محمد ومعناه كثير الخصال المحمودة وهو اشهر اسمايه صلى الله عليه وسلم
سماه به جده عبد المطلب لما ذكرته في تزويج العقايد وقد قيل له يا ابا الحرث
ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابايه فقال اردت ان يحمده الله
في السما ويحمده الناس في الارض فداوف اي اعطى الله سبحانه المصطفى اي
المختار لما في حديث واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم رواه مسلم وغيره حوضا واحد الاحواض
سمي به لاجتماع الماء به له عظم اي كبر واتساع في الطول والعرض لما في الصحيحين

بلغ

حوضي

حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا تفضل الله تعالى باتساعه لنبيا فيه فاجمر
صلى الله عليه وسلم بالمسافة اليسيرة او لا ثم بالطويلة فيكون الاعتماد على ما يدل
على طولها مسافة او خاطب صلى الله عليه وسلم كل قوم بالجهة التي يعرفونها
وقد اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام انه ابعد من مكة الى مطلع الشمس
فيه آنية مثل عدد نجوم السما وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمار الجنة ولا
دليل على وجوده الان واما حديث عايشة رضي الله عنها رفعته من
اراد ان يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعيه في اذنيه كما عند الدارقطني فقال
الحافظ المزي رحمه الله تعالى معناه من اراد ان يسمع مثل خريره من
خير اي افضل ما قد اتاه الله من الاحواض للرسل عليهم الصلاة والسلام ففي
حديث سمرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا
وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة الا صالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته
رواه الترمذي وعند الطبراني بلفظ ان كل نبي منهم يوميذ قايم على حوض ملان
معه عصى يدعو امن عرف من امته ولكل امة سيما يعرفهم بها نبيهم وفي
حديث عبادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخبرني جبريل عليه السلام
ان الله تعالى جعل حوضي اعظم الحياض فالمختص بنبينا انما هو العظم والاتساع
لكن احاديثها احاد لا تكاد تبلغ الصحة لا شك فيه اي في حوض نبينا صلى الله
عليه وسلم كما صح في الحديث البالغ مبلغ التواتر به من سعته وصفته مائيه
وكثرة آنيته فوجب الايمان به فيثاب المومن به ويبدع ويفسق جاحده اذ لم
ينعقد عليه اجماع فقد نفاه المعتزلة ولم يثبت بالقران الا احتمالا اذ اعطاه
المصطفى صلى الله عليه وسلم الحوض حاصل عن صدق وعد اي وعد
صادق من الله تعالى بقوله جل ذكره انا اعطيناك الكوثر والوعد لا يجوز
تخلفه او من رسوله صلى الله عليه وسلم لهذه الامة لحديث انا فرطكم على الحوض
ووعده سبحانه لا يتخلف كوعده صلى الله عليه وسلم او الخلفا الاربعة او
الملايكة وينفعه كل ذي اي صاحب عمل صالح من هذه الامة مات ولم
يغير ولم يبدل فيما اخذ عليه العهد من اجله من الايمان بالله عز وجل

فلا بد من قوعه فيسقى
من ذلك الحوض من يد
النبي صلى الله عليه وسلم
صح

وباليوم الاخر واتباع دينه ونشرا بعد وتصديق كتبه ورسله ثم وصف ماء
الحوض كما ورد الحديث به بقوله اصفى من الصفا ممدود احلاف الكدر
وهو تغيير روايتا اشد بياضا وفي رواية ابيض من اللبن وفي لفظ شرابه
ابيض من اللبن وهو اسم جنس جمع على الالبان واكده بقوله اجمعها
بفتح الميم وضمها الرفع احتمال ارادة الخصوص بلفظ العموم والغالب انه لا
يوكد بها الا تابعة لكل كجا القوم كلهم اجمعون وقد تفرد عنها كما هنا ومنه
قوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين ووصفه ايضا بقوله من اعذب
اي اطيب الما والما العذب هو الطيب الذي لا ملوحة فيه بل احلى اي اشد
حلاوة من العسل وابرد من الثلج واطيب رائحة من المسك من شرب منه
لم يظما ولم يسود وجهه بعدها ابدا كما جا به الحديث يزاد بالذال المعجمة
او لىو بالمهملة احزها اي يطرد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام
واني لاصد الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول
الله اتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على
غرا محجلين من اثر الوضوء وكذا الملايكة ايضا لما في حديث عثمان بن مظعون
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يا عمر لا ترغب عن سنتي فمن
رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب ضربت الملايكة وجهه عن حوضي
يوم القيامة فلا يطرد عنه الا اناس منه اي قوم من الانس والجن لا خلاق
اي لا حظ لهم ولا نصيب في الشرب منه ولا في الجنة لان من شرب منه لا بد
من دخوله الجنة ولو عذب فيكون شربه منه اولا اما ناس امن ان تحرق النار
جوفه او يدركه الجوع او العطش ما دام في النار لما صح ان عصاة الموحدين
لا تحرق النار اجوافهم ولا مواضع الوضوء والصلاة من ابدانهم ثم وصف المطرودين
بقوله قد بدلوا الدين اي دين الاسلام بالتغيير اي بتغيير العهد الذي
اخذ عليهم والبدل اي وتبديله بالارتداد عنه وارتكاب ما نهو عنه من
المعاصي قال ابن عبد البر كل من احدث في الدين فهو من المطرودين
عن الحوض كالخوارج والروافض وساير اصحاب الاهوا قال وكذلك الظلمة

على
تعريف ماء العذب

المسرفون

المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكباير قال وكل هولا يخاف عليهم
ان يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر لكن المبدل بالارتداد مخلد في النار والمبدل
بالمعاصي في مشية الله تعالى حتى يمضي فيه مراده فيذاد في وقت دون
اخر فلتوردنا دعا بلفظ الجزم لاستجاب كون الدعا كذلك فلا يقول اللهم ان
اعطى كذا ان شيت من رويت بالما بالكسر اروى بالفتح ريا بالكسر وريا بالفتح كلا
رويتا الحديث بالفتح اذا نقلته روايته والريان ضد العطشان والغاطس الارتوا
منه اي من حوضه صلى الله عليه وسلم لما في حديث ابي بن كعب رضي الله عنه
لا يشرب منه انسان فيظما ابدا ولا يصرف عنه انسان فيروى ابدا وفي لفظ
من شرب منه لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه لم يروا ابدا يا مولاي اي يا سيدي
وخالقي وعلق بقوله فلتوردنا من ظما هو شدة العطش الذي قد انضج القلب
من نضج اللحم والثمر اذا ادرك والقلب اخص من الفواد في الاستعمال وقيل هما
قريبان من السوا وقيل الفواد غشا القلب والقلب حبته وسويداؤه والاكباد
جمع كبد احد الاعضا الباطنة الرييسة وهو معدن الحرارة والدم لا يخلص
اليه الا الشديد من الالم وذلك الظما انما انضج القلوب والاكباد من اي
لاجل غلل جمع غلة اي حرارتها العظيمة والحوض اختلف في محله لتعارض
الاثار الواردة به والذي اعتمده المولف تبعا للقاضي عياض والحافظ ابن
حجر رحمهم الله انه من بعد اي من بعد الصراط بجانب الجنة ينصب فيه
الما من نهر الكوثر وهو داخل الجنة فهو ظاهر الاحاديث وما اورد
عليه من انه لم يحتج للشرب منه اذا كان كذلك اجيب عنه بانهم يحبسون
هناك لاجل المظالم التي بينهم حتى يتخالوا منها وهو المسمى بموقف القصاص
لا قبل الصراط اي جا مرويا عنه صلى الله عليه وسلم وقيل انما هو قبل
اي قبل الصراط والميزان قال القرطبي والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم
عطاشا فيتقدم لهم الحوض قبل الصراط والميزان قال الحافظ ابن حجر رحمه
الله تعالى ولو كان كذلك لحالت النار بينه وبين الما الذي ينصب فيه
من الكوثر وقيل له صلى الله عليه وسلم اثنان احدهما قبل الصراط و

الناس صح

والاخر بعده وصححه القرطبي رحمه الله تعالى ويسمى كل منهما كوثرا كما
قاله شيخ الاسلام الانصاري رحمه الله تعالى والصحيح انه بعد الصراط و
يطلق عليه الكوثر لكونه يمد من الكوثر وهو النهر داخل الجنة فلتسل اي
فاسال العلماء عن الراجح من هذه الاقاويل لتجزم به عندك وجهل التقدم
والتاخر في الصراط والميزان والحوض غير قادح في العقيدة بعد اعتقاد الثبوت
وما صح من ذلك وجب اعتقاده والله تعالى اعلم فصل في
حقيقة شفاعته هي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سوال الخير للغير و
الاضافة في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لتشريف المضاف اليه لا
للاختصاص ولا شك ان شفاعته صلى الله عليه وسلم من السمعيات البالغة
اثارها مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع صالح السلف قبل ظهور
المبتدعة والمعتزلة وان اتفقوا اجماع من قبلهم عليها في الجملة لكنهم قصروها
على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات وعندنا يجوز ان
تكون ايضا لاهل الكباير في حط السيئات اما قبل دخول النار واما بعده
لحديث ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي وفي الحديث من لم يومن
بشفاعتي فلا انالها الله شفاعتي واما حديث لا تنال شفاعتي اهل الكباير
من امتي فان لم يكن موضوعا فهو مرسل لا يحتج مثله ثم الشفاعة
العظمى للمختار الذي اختاره سبحانه واصطفاه على خلقه وفي التوراة
محمد رسول الله المختار سيدنا وسيد الخلق مطلقا والسيد الرئيس الذي
يتبع وينتهي الى قوله وقيل الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم لقوله صلى
الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع
الله الاولين والاخرين في صعيد واحد الحديث وفيه يجي الناس اليه
بعد ترددهم الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم يقول نفسي نفسي
فيقول نبينا صلى الله عليه وسلم انا لها ويشفع كي يعجل اي لاجل ان يخلص
الخلق اي المخلوق المجتمع في الموقف من هول وهو الخوف الشديد ومن
وجل وهو الفزع وناهيك بما ورد ان ارض الموقف تكون على النار وعليها

يكون

يكون اجتماع الخلايق باسرهم وان النار لتفور حتى تعلو من جوانبها ويخرج
منها اعناق كالجداول لا تترى بين الناس فتحمل من شا الله الى نفسها ونبينا
صلى الله عليه وسلم وان كان له شفاعات متعددة لكن اعظمها واعمها التي
قد ردها الرسل عليهم السلام لما عاينوا من الشدايد والاهوال وطول القيام
في ذاك المقام له اي لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عليه وعليهم وكلهم يقول
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري بعد القلق الزايد والعرق المتصاعد مدة ثلاثة
الاف سنة يترددونها من ادم الى عيسى عليهما الصلاة والسلام في خمسة الاف
سنة ايضا الذين سوال كل نبي واخر الف سنة كما قاله الحافظ وغيره فاذا
انتهوا الى نبينا صلى الله عليه وسلم فتلك شفاعته وهذه مختصة به صلى
الله عليه وسلم وتسمى الشفاعة العظمى وهي اول المقام المحمود يجمع عليها لم
ينكرها احد ممن يقول بالحشر تكون لاراحة الناس من طول الوقوف
اذا تمنوا الانصراف من ذلك الموقف ولو الى النار فحاز اي جمع بسبب رد
الشفاعة اليه صلى الله عليه وسلم فضل اي كمال وشرف مقام التقرب فيه
اي في ذلك المقام من ربه عز وجل على اي شريف رفيع لم يحصل لاحد
دونه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم كل مقرب حتى الملايكة وحتى قال
عيسى عليه السلام ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه عبد غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر فاذا سجد صلى الله عليه وسلم وسال ربه عز وجل
ان يشفعه فامنه ناداه بلطيف الخطاب يا محمد سل تعطه وقل يسمع و
اشفع تشفع وللرسول اي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات اخر بعض
اولها في ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم
ايضا كما قاله النووي رحمه الله تعالى ثانيها في قوم استوجبوا النار فلا
يدخلوها وتردد النووي رحمه الله تعالى في اختصاصها به صلى الله عليه وسلم
ثالثها في زيادة الدرجات في الجنة وجوز النووي رحمه الله تعالى اختصاص
هذه به صلى الله عليه وسلم ايضا رابعها في جماعة من صلحا امته
ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات خامسها فيمن خلد في النار من الكفار

والمراد قرب التشريف والتعظيم رغب اليه صلى الله عليه وسلم
صح

ان يخفف عنهم العذاب في اوقات مخصوصة جمعا بينه وبين قوله تعالى
لا يفتر عنهم كما في حق ابي طالب وابي لهب سادسها في اطفال المشركين ان لا
يعذبوا **واخرها** وهي السابعة ويشاركه فيها الانبيا والملايكة عليهم الصلاة
والسلام والمومنون اي خواصهم فيشفع كل من ذكر **لكل عاص** من الموحدين
كان له عمل زايد على الايمان ام لا لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا وقال لا اله الا الله وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ما عهد الله مع خلقه قال ان يومنوا ولا يشركوا به شيا والمعصية ضد
الطاعة وهي فعل المنهي عنه واجتناب المامور به اذ الطاعة فعل المامور
به واجتناب المنهي عنه **ثوى** بالمثلثة اي اقام في النار ويجوز ان يكون بالمثناة
الفوقية بمعنى هلك بسبب انه **نار الجحيم** احد اسما جهنم واصله ما اشتد لهبه
من النار **صلي** اي اصلاه الله وادخله فانه لا بد من نفوذ الوعيد في طايفة
من العصاة فاذا دخلوا النار ماتوا حتى يخرجهم الله عز وجل بشفاعة من
اراد فيهم او بفضله ورحمته بخلاف الكفار المخلدين فانهم لا يموتون ففي حديث
ابي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار
الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار
بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة
فجيء بهم ضباير ضباير فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا
عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرعى بالبادية **فلا خلود** اي اقامة على
التابيد في النار **لعاصي المومنين** ممن نفذ فيه الوعيد من الموحدين وادخل
النار بل لا بد من خروجهم منها الى الجنة دار خلودهم وان طالت فيها
اقامتهم لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والايمان عمل
خير للعاصي فلا بد ان يرى جزاه ولا جايز ان يراه قبل دخول النار ثم
يدخلها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين فتعين انه بعد الخروج منها
ان قدر الله تعالى دخوله اياها او بعد الغفران ان لم يقدر ذلك وقال تعالى

ان

ان الله لا يظلم مثقال ذرة فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من
الايمان رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال من شك فليقرا ان الله لا يظلم مثقال ذرة هذا مذهب اهل الحق
كما ان الشفاعة اي شفاعته صلى الله عليه وسلم **للكفار** كان كفرهم بالنفاق
او الارتداد كان بالاشراك ام لا **لم تصل** قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له والكفار دار خلودهم النار فلا يخرجون
منها وقوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فيه دليل
على ان اللاعب والجاد سوا في اظهار كلمة الكفر وان الاستهزا بايات الله
كفر نقله حافظا سيوطا عن الكبار رحمهما الله تعالى **وبالخلود لهم** اي لعصاة
المومنين **قد قال ملحدة** من الالحاد وهو الميل والعدول عن الحق واراد
بها المعتزلة والخوارج فالمعتزلة تقطع بالعذاب الدايم والبقا المخلد في النار
للعاصي **ان لم يمت تايبا** من معصيته **بل مات ذا زلل** اي على معصية لكنه
يعذب فيها عذاب الفساق لا عذاب الكفار بنا على مذهبهم ان الكبيرة تخرج
العبد من الايمان ولا تدخله في الكفر ذهابا الى ان الاعمال جزء من حقيقة
الايمان وهذا هو المراد بالمنزلة بين المنزلتين اي الواسطة بين الكفر والايمان
فان مرتكب الكبيرة عندهم لا مومن ولا كافر والخوارج قطعوا له بالعذاب
الدايم كذلك لكنه عذاب الكفار بنا على مذهبهم ان الذنوب كلها كباير نظرا
لعظمة من عصى بها وكل كبيرة كفر وذهبت المرجية الى الحكم بالعفو عن
كل عاص مومن وانه لا يعذب ولا يدخل النار الا الكفار فقط ومذهب اهل
السنة والحق ان من ارتكب كبيرة غير مكفرة بلا استحلال ومات بلا توبة
لا يقطع له بالعفو ولا بالعقاب بل هو في مشية الله تعالى وعلى تقدير
وقوع العذاب عدلا منه تعالى يقطع له بعدم الخلود في النار بل يخرج
منها البتة لا بطريق الوجوب على الله تعالى بل بمقتضى ما سبق من
وعده وثبت بالدليل **بعدا** اي هلاكا **لمذهب قوم** اي ابعد الله مذهبهم
الباطل واهلكهم حيث **ابطلوا سفها** للحق اي جهلا واستخفافا بسه

شفاعة نبينا محمد المصطفى اي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى اله
وصحبه والملك اي وابطلوا شفاعة الملايكة والرسل اي وابطلوا شفاعة
الرسل ايضا وشفاعة المومنين وكل شافع اما المعتزلة والخوارج فلقولهم
انه لا يضر مع الايمان معصية فلا يحتاج صاحبه الى شفاعة وعن
الحسن ومقاتل في قوله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم هي شفاعة
النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي حاتم واخرج ابن مردوية
مثله عن علي وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما ففيه رد على من
انكر الشفاعة مع كونها من السمعيات البالغة احاديثها مبلغ التواتر
وهي من مجوزات العقول غير مستحيلة وقد سال الملايكة ان يدخلوا
بنيها وكل ما كان كذلك فهو واجب القبول ممتنع الرد شرعا وبيان كون
الشفاعة جايزة اشار اليه بقوله اذا الذنوب جمع ذنب وهو ما عصى
الله به مطلقا صغيرا كان او كبيرا سوى الاشراك مصدر اشرك بالله
اذا جعل له شريكا فالمشرك من يقول بالهين او باكثر يغفرها اي يجوز
العقل ان يغفرها رب اي مالك وخالق غفور اي ساتر لذنوب عباده
وعيوبهم متجاوز عنهما فلا يعاتبهم عليها بلا توب اي توبة ولا عمل
المراد به الشفاعة اي فاذا جاز غفران الذنوب ما عدا الشرك بلا توبة
ولا شفاعة فما الشفاعة اولى وهذا تصريح بما اتفقت عليه الامة ونطق
به الكتاب والسنة من انه سبحانه يجوز عليه ان يعفو عن الصغاير
مطلقا اجماعا لم يخالف فيه الا الخوارج كما قدمناه وعن الكباير بعد
التوبة قطعا وبدونها ان شا ولا يعفو عن الكفر قطعا بدليل السمع
وان جاز العفو عنه عقلا على الاصح قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده الاية ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وخالف في غفران الكباير بلا توبة
الوعيدية من المعتزلة فقالوا يجب عليه تعالى ان يعاقب العاصي كما
يجب عليه تعالى ان يثيب المطيع وتاولوا هذه النصوص على العفو عن

الصغاير

الصغاير او وعن الكباير بعد التوبة او على تاخير العقوبات المستحقة
ونحوها وانما جاز مغفرة المعاصي لانها لا تنفك عن خوف عقاب ورجا
عفو ورحمة بخلاف الكفر ولان الكفر مذهب يعتقد للابد فجرمته
لا تحتمل الارتفاع ~~لا تحتمل الارتفاع~~ اصلا فكذلك عقوبته بخلاف المعصية
فانها لوقت الشهوة فقط اشار لما ذهب اليه اهل الحق من عدم خلود
العصاة في النار بقوله وانما لم يخلد العصاة في النار كما يقول به المعتزلة
والخوارج لان الايمان عند الاشاعرة والماتريدية تصديق حقيقته
اي حقيقته العرفية التصديق اي تصديق القلب بما علم مجي الرسول صلى
الله عليه وسلم به من عند الله ضرورة والنطق بالشهادتين من
القادر انما هو شرط في اجراء الاحكام الدنيوية كما فهمه الجمهور وقد
وجدت حقيقة الايمان في قلوب العصاة فانهم اقروا اي نطقوا معترفين
بلفظ الشهادتين وذلك غير محتمل لعدم التصديق لانه لو صمم بقلبه
على الايمان ولم ينطق بالشهادتين لغير مانع كخرس او اخترام منية لم
يصح اسلامه يعني بالنظر للاحكام الظاهرة واما بالنظر لما عند الله
تعالى فلا مانع من كونه مومنا في الاخرة كما قاله الانصاري رحمه
الله تعالى ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مومن
عندنا الله حتى يطلع على باطنه فنحكم بكفره اما الابي فكافر في الدارين
واما المعذور فينفعه منهما والذي عليه اهل السنة من المحدثين
والفقها والمتكلمين ان المومن الذي نحكم بانه من اهل القبلة الان ولا
يخلد في النار ليس الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا جازما
خاليا من الشكوك المزاحمة له بالعقل ونطق مع قدرة النطق بالشهادتين
ملتزما الاحكام مهما فان القلب امره خفي لا اطلاع لاحد عليه فجعل اللسان
ترجمانا عنه واذا كانت حقيقة الايمان هي التصديق لزم ان لا يخرج العبد
~~ان لا يخرج العبد~~ عن الاتصاف به الا بما ينفيه من الكفر وهو عدم
التصديق بما علم ضرورة مجي الرسول صلى الله عليه وسلم به الا والامتناع

من شرطه وهو النطق بالشهادتين مع القدرة عليه لا بمجرد المعصية خصوصا
مع الخوف ورجا العفو والعزم على التوبة منها نعم يزيد الايمان بمعنى
الاقرار اللساني او بمعنى التصديق القلبي على الراجح فزيادة التصديق بكثرة
النظر ووضوح الادلة ونقصانه بعدمهما ولذا كان ايمان الصديقين
اقوى من ايمان غيرهم بحيث لا تعتريه الشبه ويؤيده ان كل احد يعلم
ان ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الاحيان اعظم يقينا واخلاصا
منه في بعضها فكذلك التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها
كما صرح به النووي رحمه الله وما اورد عليه من انه اذا قبل ذلك كان
شكا اجيب عنه بان مراتب اليقين متفاوتة الى علم اليقين وحق اليقين
وعين اليقين وعلق بقوله يزيد بما اي زيادته بسبب الذي يزداد من
عمل الجوارح الظاهرة والباطنة الطاعة كذاك ينقص بسبب ما ينقص
من العمل كالضدين المعصية والطاعة في البدل فزيادة الطاعة سبب
لزيادة الايمان كما ان زيادة المعصية سبب لنقصان الايمان والمتضادان ما لم
يكن يعقل كل منهما بالقياس الى تعقل الاخر اي متوقفا عليه بل يتصور
احدهما بدون الاخر كالسواد والبياض ومحل دخول نقص الايمان على
القول به غير ايمان الانبيا عليهم السلام والملايكة فانه لا يجوز عليه النقص
لعصمتهم من المعصية المنقصة له هذا الذي قلناه من كون زيادة الايمان
ونقصه بزيادة الاعمال ونقصها الصحيح عند جمهور الاشاعرة وبه قال
الفقهاء والمحدثون والمعتزلة ايضا ونقل عن الامامين مالك والشافعي رضي
الله عنهما قال البخاري لقيت اكثر من الف رجل من العلماء بالامصار فما رايت
احدا منهم يختلف في ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص محتجين عليه بالعقل
والنقل اما العقل فلانه لو لم تتفاوت حقيقة الايمان لكان ايمان احاد الامة
بل والمنهمكين في الفسق والمعاصي مساويا لايمان الانبيا والملايكة عليهم السلام
واللازم باطل فكذا الملزوم واما النقل فاشار اليه بقوله وفي القرآن والسنة
حجته اي ما يحتج به لهذا القول والصحيح ما قوي دليله ووجد فيه من

وجوه

وجوه الترجيح سالم يوجد في مقابله فراجع من المراجعة وهي معاودة
النفس الوارد في ذلك من القرآن والسنة للتحقيق اي للتحقق صدق ما قلناه
وتصير على يقين منه وامتثل ما امرناك به عن معاودة النفس فاما
القرآن فقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا واما السنة ففيها ان ابن عمر رضي الله عنهما
قال يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر وجابر رضي الله عنهما مرفوعا
لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح ولا شك ان كل ما يقبل
الزيادة يقبل النقص فيتم الدليل ومقابل الصحيح ما ذهب اليه الامام ابو حنيفة
رضي الله عنه واصحابه وكثير من المتكلمين ان الايمان لا يزيد ولا ينقص
واختاره امام الحرمين واحتجوا على ذلك بان الايمان يزيد وينقص اسم
للتصديق البالغ حد الجزم والاذعان وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا
نقصان فالمصدق اذا ضم الى تصديقه الطاعات او ارتكب المعاصي فتصديقه
بحاله لم يتغير اصلا وانما تتفاوت اذا كان اسما للطاعات المتفاوتة قلة
وكثرة على ما ذهب اليه الثلاثة والسلف واجابوا عما تمسك به الاولون
من الايات والاحاديث بوجوه منها ان المراد الزيادة بحسب زيادة ما
يؤمن به والصحابة رضوان الله عليهم كانوا امنوا في الجملة وكانت
الشريعة لم تتم وكانت الاحكام تنزل شيا فشيا فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد
منها وذهب جماعة منهم الامام فخر الدين الرازي وامام الحرمين الى ان
الخلاف بين الفريقين لفظي لا حقيقي فما يدل على ان الايمان لا يتفاوت
مصروف الى اصله وهو التصديق وما يدل على انه يتفاوت مصروف الى
الكامل منه فالخلاف في هذه المسئلة فرع تفسير الايمان فان قلنا هو
التصديق فلا تفاوت وان قلنا هو الاعمال مع التصديق فيتفاوت لكن
قد علمت ان الاصح ان الايمان بمعنى التصديق القلبي يزيد بكثرة النظر و
وضوح الادلة وينقص بعدم ذلك والله تعالى اعلم وعن عمر وابن

عبسة رضي الله عنه قال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم
قلبك وان يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فاي الاسلام افضل قال الايمان
قال وما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث
بعد الموت حتى الحديث رواه احمد برجال الصحيح

فصل في بيان لزوم اي البقاء والدوام على طريق السلف

اي المتقدمين من الانبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم من الاولياء والزهاد
والعباد خصوصا الايمة الاربعة ولذا وصف السلف بقوله الصالح والصلاح
القيام بحقوق الله تعالى وحقوق العباد وصلاح كل احد بقدر ما زال به
من الفساد فصلاح الانبياء اكمل من غيرهم فطريقتهم ما كانوا عليه من التوحيد
وطاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والحلم والصبر على تحمل
مشاق عبادة الله وعدم الميل الى الشهوات وحيث اطلق السلف الصالح اريد
به الصحابة لانهم اشد محافظة على طريقه صلى الله عليه وسلم والنجاة من
كل سوء والفوز بكل كمال انما هو في اتباعهم وفي لزوم الحض اي الحث على محبتهم
اي السلف الصالح لانها بمحبته صلى الله عليه وسلم حشرنا اي جمعنا الله يوم القيمة
وساقنا في زمرتهم اي في جماعة السلف الصالح ومعهم لقوله تعالى ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية
وانما طلب الحشر معهم لما ورد انهم يكونون على نجايب فاذا جاؤا الجنة وجدوها
مفتحة الابواب فتلقاهم خزنتها فيحيونهم بالسلام يقولون سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين واعلم ايها المكلف الطالب النجاة الدنيوية والاخروية بان
طريق الحق تعالى لان الحق احد اسمائه سبحانه والمراد به الحكم الشرعي المطابق
للواقع واحدة وهو دين الاسلام المامور باتباعه كل مكلف وهو الطريق
الى الجنة قال تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
اي طريقي الذي انا عليه وادعو اليه يودي الى الجنة ودخل فيه طريق اهل
السنة الاشاعرة والماتريدية لا خير في اتباع غيرها من ساير اي جميع
السبل اي الطرق كاليهودية والنصرانية وساير البدع والضلالات والتعمق في

الجدل

الجدل فان هذه عرضة المزلل ومظنة لسوء المعتقد قال تعالى وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي تميل طوبى
اي الجنة او الشجرة المشهورة فيها لمتبع الحق اي لعين الحق اي الجنة لمن كان
متمسكا بدين الحق اي بدين الله الذي شرعه وجعله خاتمة الاديان لا يقبل
غيره وهو دين الاسلام مقتديا به اي متبعا الحق وفي حديث ابن مسعود رضي
الله عنه وسال رجل ما الصراط المستقيم فقال خط لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطا وقال هذا الصراط المستقيم وعن يمينه جوادا اي طرقا وعن
يساره جوادا وثم رجال ممن مر بهم وفي لفظ على كل سبيل منها شيطان
يدعوا اليها فمن اخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط يدعون صح
انتهى به الى الجنة ثم قرا ابن مسعود رضي الله عنه وان هذا صراطي مستقيما
الاية قد نال المتبع الحق منه اي لاجل اتباعه لها وبسببه الذي يبغيه
اي يطلبه من امل هو رجا ما تحبه النفس مما يمكن حصوله كالثواب فانه
سبحانه وعد الطايع به فضلا فلا يجوز تخلفه بحال ولا يكون متبعا للحق
الا اذا كان متبعا اي يتبع الصحابة جمع الصحابي لانهم صحبوه صلى الله
عليه وسلم واتبعوه في هدي اي سيره وفي سنن اي طريقته فلولا انهم سمعوا
تلك الاقوال وتلقوا تلك الافعال التابع كل منهما لصحيح الاعتقاد عنه صلى
الله عليه وسلم الموصوف بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ما قدموا
عليه ولا دعوا غيرهم اليهم لانهم يعني الصحابة رضي الله عنهم قدوة
اي يقتدى بهم في القول الصادر عنهم والعمل ايضا لانهم كلهم عدول فهم
يعني الصحابة رضي الله عنهم نجوم اي كالنجوم بجامع الاهتدا والنجم في
الاصل الكوكب ويطلق على الثريا كما قال الرسول اي رسولنا وسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وحمله عنه من سمعه فرواه لمن اراد الله ان يبلغه
حتى روى لنا فحملناه عن مشايخنا احسن الله اليهم وجزاهم افضل
الجزا من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وهذا وان كان ظاهره العموم الا انه محمول على العلما واهل العقل منهم

فلتعتقد ايها المكلف وجوبا حبهم اي الصحابة رضي الله عنهم لقوله صلى
الله عليه وسلم من احب جميع اصحابي وتولاهم واستغفر لهم جعله الله عز وجل
يوم القيامة معهم في الجنة بالقلب لانه محل الاعتقاد وامتثالا لامره صلى الله
عليه وسلم باكرامهم وحض على محبتهم في احاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وقوله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه و
ابتهل اليه سبحانه ان يثبتك على محبتهم لتحشر في زمرتهم فان من احب قوما
حشر معهم والابتهال ان تمد يديك جميعا واصله التضرع والمبالغة في السوال
وعن عايشة رضي الله عنها في قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية قالت امروا ان يستغفروا
للصحابة فسبوهم ولما اختلف الناس في التعرض للتفضيل بين الصحابة رضي الله
عنهم فمنعه بعض لانهم كاصابع الكف وذهب الاكثر اشار اليه بقوله و
الافضل اي ويجب عليك ايها المكلف اعتقاد ان الافضل بمعنى الاكثر ثوابا او
غيره كالعلم والشجاعة وحسن الراي ومحبة الرسول الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم الخلفا الذين ولوا الخلافة اي النيابة عنه صلى الله عليه وسلم في عموم
مصالح المسلمين الراشدون من الرشد خلاف الغي والمراد بهم الايمة الاربعة
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة وقد عين
صلى الله عليه وسلم مدتها بقوله الخلافة بعدي ثلاثون اي سنة ثم تصير ملكا
عضوضا فالاربعة افضل الصحابة لان هذه المدة كانت دور ولايتهم فخلافة
ابي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة اشهر وعشرة ايام وخلافة عمر رضي
الله عنه عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام وخلافة عثمان رضي الله
عنه احدى عشر سنة واحدى عشر شهرا وتسعة ايام وخلافة علي رضي
الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر وسبعة ايام على ما حرره حافظ الربط

قف
على ان مدة الخلفا الراشدين
ثلاثون عاما وكم
مقدار كل واحد
اقام فيها

رحمه

رحمه الله تعالى فهي تسعة وعشرون عاما وستة اشهر واربعة ايام فلم
يكمل دورها الا بايام الحسن بن علي رضي الله عنهما و لكن ليست مرتبتهم وا
احدة بل قد تفاضلوا اي غلب بعضهم بعضا وتفاوتوا فيما بينهم في الفضل
فالسابق في الخلافة هو الافضل مطلقا فابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي
الله عنهم وعن جميع الصحابة هذا ما عليه الاشاعرة والماتريدية قال السعد
رحمه الله على هذا وجدنا السلف والخلف والظاهر انه لو لم يكن لهم دليل
على ذلك لما حكموا به وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كنا نقول
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر
ثم عمر ثم عثمان ثم علي فلم ينهنا خلافا للخطابية في تقديم عمر رضي
الله عنه والراوندية في تقديم العباس رضي الله عنه وخلافا للشيعة
وبعض اهل السنة وجمهور المعتزلة في تقديم علي رضي الله عنه وعن جميعهم
ثم التفضيل في هذه المسالة قطعي عند الاشعري وظني عند الباقلاني وامام
الحرمين كما انه في الظاهر والباطن على القطع وفي الظاهر فقط على الظن
واعلم ان من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فهو كافر يقتل لنص
القران على صحبته في قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن بخلاف غيره
والله تعالى اعلم فضل الجميع اي جميع الصحابة فيما بينهم وعلى غيرهم
ممن بعدهم من ساير القرون جلي اي ظاهر لكننا لا نتعرض له بتفضيل وتقديم
بعض على بعض بل نقف عن الجزم لانه لا يدرى من فضله الله على غيره
والتفضيل ليس مما يوخذ بالقياس والراي فيجب الامساك عن الخوض فيه
وهذا طريقة المولف رحمه الله تعالى وهو ضعيف والذي يجب اعتقاده
ان بقية العشرة المبشرون بالجنة مرتبتهم في الفضيلة بعد علي رضي الله عنه
وعن جميعهم وهم طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وعبد الرحمن ابن
عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابو عبيدة بن الجراح ويليهم
بقية اهل غزوة بدر ثم بقية اهل احد ثم بقية اهل بيعة الرضوان
وممن له مزية اهل العقبات من الانصار وكذلك السابقون الاولون والصحا

افضل من غيرهم من جميع اهل القرون لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين ويليهم التابعون وافضلهم اويس القرني كحفصة بنت سيرين رحمهما الله تعالى ثم تابع التابعين لقوله صلى الله عليه وسلم خير امتي القرن الذي يلوني ثم الذين يلونهم فى الانضلية بالنسبة الى الافراد كما عليه الجمهور وكل قرن افضل من الذي بعده الى يوم القيامة لقوله عليه السلام ما من يوم الا والذي بعده شر منه وانما يسرع بخياركم فالزم سبيلهم اي طريق الصحابة رضي الله عنهم وخصوصا الخلفا الراشدين في العقايد والاقوال والافعال والهيات ان كنت متبعا للحق طالبا للنجاة لان طريقهم مستقيم على ما يشير اليه قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية وكل من تابع الحق اي اتقنه واحكمه معنيا اي مهتما ومشتغلا به اي بالحق اعتقادا وقولا وعملا يصل الى ما يومله من النجاة والخلود في دار النعيم الابدي باذنه سبحانه وكرمه فانه الواهب المتفضل ولما امر باتباع الصحابة رضي الله عنهم واثبت لهم الفضل على غيرهم كان هنا مظنة انهم محفوظون وان لم يكونوا معصومين وقد كان بينهم امور اشار الى وجوب الامساك عنها بقوله ولتمسك القول عما كان بينهم يعني الصحابة رضي الله عنهم من المنازعات والمخاصمات التي قتل بسببها الكثير منهم بعد نبوته وصحبته لانه ليس من العقايد الدينية لانما ينتفع به في الدين بل ربما اضر باليقين لقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الاية لا فرق في وجوب الامساك عن القول بين العلما ولا غيرهم من العوام ما لم تدع الى ذلك حاجة تعليم او تدريس او افتا ونحو ذلك واما العوام فلا يجوز لهم الخوض في ذلك لفرط جهلهم وعدم معرفتهم بالتاويل فمخاصمة فاطمة لابي بكر رضي الله عنهما كانت حين منعها ميراثها من ابيها صلى الله عليه وسلم وقبل ان يبلغها الصديق رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبيا لا نورث ووقوف علي عن بيعة ابي بكر رضي الله عنهما انما

على حديث ما من يوم الا والذي بعده شر منه



كانت عتبا عليه فلما اعتبه بايعه على روس الاشهاد وكذلك وقوفه رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه انما كان لخوف الخلع وتزايد الفساد وقد نصره واعانه فمنعه عثمان رضي الله عنه وسلم لامر الله وما كان من عايشة والزبير وطلحة ومعاوية رضي الله عنهم انما كان عن اجتهاد وتقليد فجواز محاربة علي رضي الله عنه ولكن الذي عليه اهل الحق كما صرح به السعد والغزالي وغيرهما ان المصيب هو علي واصحابه دون غيرهم والله تعالى الموفق ولتشتغل بالذي يغنيك بفتح اوله اي يهمك من عمل صالح تنجو به لا يلحقك منه ذم العاجل ولا عتاب الاجل بل يترتب عليه الثواب وياتي بيان ما يعني وما لا يعني عند قوله رحمه الله تعالى انفا فحفظها غير ما يعنيك تتركه وابغض من البغض ضد الحب هديت اي هداك الله لكل خير وارشدك الى طرقه جميع اي كل فرد من افراد المبغضين لهم اي للصحابة رضي الله عنهم كما هو من لازم محبتهم وقد قال عليه الصلاة والسلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة ومن حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد ولو احبوا يعني المبغضين للصحابة امير المومنين اي صاحب امرهم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وعن جميعهم فان من احب شيا حبا صادقا احب كل من احبه وابغض كل من ابغضه واول من سمي امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم اجمعين فليس ينفعهم اي المبغضين للصحابة حب له اي لعلي رضي الله عنه وهم يعني المبغضين لغيره كبقية الصحابة من مساوي القول اي القول السيئ والعيب الذي نسبوه الى من ابغضوه في خطل اصله المنطق الفاسد المضطرب وبغض الصحابة او واحد منهم بغض للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام كما في الصحيح لا تسبوا اصحابي من احبهم احبني ومن ابغضهم ابغضني ومن اذاهم اذاني وعند الديلمي بلفظ من احب الله احب القران ومن احب القران احبني ومن احبني احب اصحابي وقرابتي وقال

الشافعي رضي الله عنه تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين سئلت
اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من
خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم
فقالوا اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى
يوم القيامة الحرب التي اطفاها الله بسفك دمائهم وادحاض حجتهم وعن
الحسن مرفوعا من خرج من الدنيا شاتما لاحد من اصحابي سلط الله
عليه دابة تقرض لحمه يجد المه الى يوم القيامة وعن ابي اسحاق قال دعيت
الى ميت لاغسله فلما كشفت الثوب عن وجهه اذا انا بحية قد تطوقت على
حلقه فذكروا انه كان يسب الصحابة خرجهما ابن ابي الدنيا والله منصوب
على التعظيم سبحانه منصوب بفعل مضمر اي اسبحه سبحانه وابرأه من
السوء الذي نسبه اليه الجاهلون حدون نرجوه اي نؤمل كرمه واحسانه
يحشرنا اي يجمعنا غدا يعني يوم القيامة واصل الغد اليوم الذي ياتي بعد
يومك بزمرتهم يعني في جماعة الصحابة رضي الله عنهم واغماطنا منه
سبحانه ان يحشرنا بزمرتهم في اي لاجل الامن ضد الخوف اي اذ نامن
من وجل اي خوف ذلك اليوم قال تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
اي تعبس فيه وجوه الكفار ومن اراد الله حتى يسيل من عيونهم عرق
كالقطران قمطريرا اي طويلا شديدا صعبا وقد مر بك خوف جبريل عليه
السلام يوم القيامة حتى ابكاني وخوف الانبيا والخواص كالملئكة خوف
اجلال وتعظيم واشفاق على الامم جعلنا الله واياكم من الامنين الفائزين
بجاه حبيبه الاعظم الامين عليه افضل الصلاة والسلام الى يوم الدين
فصل في التحذير اي التخويف من اتباع اهل البدع في اعتقاداتهم
الباطلة وان لم تكن كفرا والبدعة لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق
فكان المخالف في قواعد الاعتقاد الشرعية اخرج اعتقاده على غير ما طلبه
الشارع منه وبينه له والبدعة شرعا ما احدث على خلاف امر الشارع
ودليله الخاص والعام بان يكون الحامل عليه مجرد الشهوة والارادة

بلغ

وهو

وهو ما اراده صلى الله عليه وسلم بقوله في موعظته اياكم ومحدثات الامور
فان كل بدعة ضلالة اما ما احدث مما له اصل في الشرع اما بحمل النظير
على النظير او بغير ذلك فانه حسن اذ هو سنة الخلفا الراشدين والايمة المهتدين
ومن ثم قال عمر رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة هي وقد تكون
البدعة واجبة كتدوين القران والشرايع اذا خيف عليها الضياع فان التبليغ
لمن بعدنا واجب اجماعا ومحرمة كالمحدثات من المظالم والمكوث والاشتغال
عند اهل البدع المخالفة لما عليه اهل السنة والجماعة ومندوبة كصلاة
التراويح جماعة ومكروهة كتخصيص الايام الفاضلة او غيرها بنوع من
العبادة لم ينص عليه صلى الله عليه وسلم والزيادة على ما لاحظ الشارع فيه
عددا معينا ومباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ونحوها فالبدعة اذا عرضت
تعرض على قواعد الشرع وادلته فتلحق بمقتضاها اعاذنا اي اجرنا
الله وخلصنا بفضله وكرمه منهم اي من اهل البدع المذمومة لان البدعة
لا تطلق الا على المحرم والمكروه وكل مبتدا مضاف اليه من رد ما قلنا بان
اعتقد خلاف ما ذكرناه اولا هذه المنظومة الى هنا مما الحق الذي دل
عليه الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح من اهل السنة قبل ظهور البدع
بما حاصله ان العالم حادث والصانع قديم متصف بصفات قديمة ليست عينه
ولا غيره وانه واحد لا شبيه له ولا ضد ولا انداد لا نهاية ولا صورة ولا
حد ولا اخذ ولا يحل في شيء ولا يقوم به حادث ولا تقبح عليه الحركة والانتقال
ولا الجهل ولا الكذب ولا النقص وانه يرى في الاخرة وليس في حيز ولا جهة
ما شاء كان وما لم يشا لم يكن ولا يحتاج الى شيء ولا يجب عليه شيء كل المخلوقات
بقضائه وقدره وارادته ومشيته لكن القبايح منها ليست برضاه وامره ومحبته
وان المعاد الجسماني وسائر ما ورد به السمع من عذاب القبر ونعيمه و
الحساب والصراط والميزان وغير ذلك حق وان الكفار مخلدون في النار دون
الفساق وان العفو والشفاعة حق وان اشراط الساعة حق من خروج الدجال
وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها

ويصح

وخروج دابة الارض حق واول الانبيا ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم
عليه وعليهم اجمعين واول الخلفا ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله
عنهم اجمعين والافضلية بهذا الترتيب فمبتدع اي فهو مبتدع خبر المبتدا
اي احدث في الدين بعد كماله ما ليس منه فانبذه اي اطرح ما احدثه
المبتدع والتبه عنك ولا تاخذ به في اعتقادك لقوله صلى الله عليه وسلم
من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي من اخترع من قبل
نفسه في شاننا اي شرعنا الذي نحن عليه ما ليس منه مما يناينه
او لا يشهد له شيء من قواعده وادلته العامة فهو رد اي مردود على فاعله
لبطلانه وعدم الاعتداد به ولا تسمع لذي اي صاحب زلل اي قول فاسد
فكل مبتدا لمضاف اليه ذي اي صاحب بدعة مذمومة لمخالفتها اصول
الشريعة وعدم موافقة السنة الشرعية لو كان اي صاحب تلك البدعة
المذمومة مدعيا بزعمه في علمه اي الحاصل عن مجرد الهوى انه يعلو
اي يزيد في العلو على زحل احد النجوم الخنس الكنس التي اقسم الله سبحانه
بها وهي زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة لانها تخنس في المغيب
تخفى نهارا وتكنس اي تستتر وهو اعظم من الارض تسعا وتسعين مرة
ونصف مرة يماثل وهو في الفلك السابع اعمى البصيرة اي القلب خبر
المبتدا ان تردد ضلالته اي بدعته وباطله بما تظهره من الحق والضلال
نقيض الهدى تراه للحق اي الحكم المطابق للواقع ضد الباطل يبدو اي يظهر
في موضع الصفة لما قبله غير منتحل اي غير منتسب للحق الظاهر ولا مايل
اليه لعناده قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى سمعت الاستاذ
ابا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول من استهان بادب من اداب الاسلام عوقب
بحرمان السنة ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفرايض ومن استهان بالفرايض
قيض له مبتدع ايوقع عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة هذا اي الامر
البدعة وصاحبها كما عرفت مذهبا اهل الحق والسنة تختلف فيهم اي في
المبتدعة والقول بكفرهم كما نقل عن القاضي والامامين مالك والشافعي رضي

الله

رضي الله عنهما فهم مخلدون في النار او فسقهم كما نقل عن امامنا الاشعري
رضي الله عنه وجماعة فليسوا بمخلدين فيها كما هو الصحيح عند اهل الحق
ان حكم الفاسق من المومنين الخلود في الجنة اما ابتدا بموجب العفو او الشفاعة
واما بعد التعذيب بالنار بقدر الذنب والفسق الخروج عن الطاعة بارتكاب
الكبيرة وفي معناه الاصرار على الصغيرة وعلى الم يكن اطلاق القول بكفرهم او فسقهم
مرضيا لما اشار الى ذلك بقوله وان اردت الحق المعول عليه كما نقل عن
الاستاذ رحمه الله تعالى فقل ليس الخلاف في المبتدعة والحكم بكفرهم او فسقهم
باقيا على الاطلاق عن التقييد بل ينبغي التفصيل فيقال بعضهم اي المبتدعة
قد ربا اي رجع بالكفر اي استحق ان يحكم عليه به قطعا لتكفيره اهل السنة تكفيرا
غير محتمل للتاويل الصارف له عنه ومن قال بكفر اهل الحق فهو الكافر
لانهم يعني المبتدعة فرق اي طوايف نجا اي ورد الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم مصرحا بهم وبهلاكهم ولعله يشير به الى قوله صلى الله عليه وسلم
اصحاب البدع كلاب النار والمراد بهم اهل الاهوا الذين كفروا ببدعتهم لانهم
لم يتبعوا الحق بعد ظهوره في قول ولا عمل بل عدلوا عنه عنادا وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرايل تفرقت على ثنتين وسبعين
ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله فقال ما انا واصحابي
عليه وبعضهم الاخر لم يستحق ان يحكم عليه بالكفر بل هو فاسق وهو من
لم يكفر احدا من اهل السنة قال شيخنا رحمه الله تعالى وحكم المبتدع وهو
من خالف في العقيدة طريقة اهل السنة والجماعة ينبغي ان يكون حكم الفاسق
لان الخلال بالعقايد ليس بادون من الخلال بالاعمال هذا فيما يتعلق باحكام
الاخرة واما ما يتعلق بامر الدنيا فحكم المبتدع البغض والعداوة والاعراض عنه
والاهانة والطعن واللعن لجنسه ونوعه لا لفرده وعينه وكراهة الصلاة
خلفه ولما قال التاج السبكي رحمه الله تعالى ولا نكفر احدا من اهل القبلة
ببدعة قال المحقق المحلي رحمه الله تعالى كمنكري صفات الله تعالى وخلقه
افعال عباده وجواز رويته يوم القيامة ومنا من كفرهم اما من خرج ببدعته

عن اهل القبلة كمنكري حدوث العالم والبعث والحشر للاجسام والعلم بالجزويات
فلا نزاع في كفرهم لانكارهم بعض ما علم مجي الرسول صلى الله عليه وسلم به
ضرورة انتهى وقال ابن عرفة المالكي وتكفير الغزالي الفلاسفة بانكارهم حشر
الاجسام والتنعم الحسي وعدم علم الله تعالى بالجزييات وعدم حدوث العالم
صواب قال والاقرب تكفير المجسم واختار بعض الدين عدم تكفيره لعسر فهم العوام
برهان نفي الجسمية ونقل التفصيل ايضا بين من يدعو الناس الى بدعته
فهو كافر بخلاف غير الداعي فهو فاسق كما اشار اليه بقوله اما المبتدع
الذي صار يدعونا البدعة المذمومة ويحملنا على اعتقادها تم القتال
والانتصار لها فضرب البيض اي مقاتلتهم وضربهم بالسيوف والاسل اي الرماح
هو الواجب علينا لانهم كفار وظاهره عدم قتال غير الداعية واختلف في
تكفيره وعدمه والاول هو ظاهر قول مالك في المدونة ويستتاب اهل
الاهوا من القدرية وغيرهم فان تابوا والا قتلوا كفر له ايضا ولا يصلى على
احد من اهل الاهوا وكل فرقة ترد قول مخالفها وتدعي انه مبتدع
وقد تبالغ فتكفره فينبغي التحري من ذلك مع ان علما الاشاعرة والماتريدية فان
كلا من اهل الطايفتين مجمعون على عدم تضليل بعضهم بعضا وعلى ان
من تقرب الى الله تعالى بعقيدة من العقيدتين بري من عهدة التكليف عند
الله تعالى وان كان طريق الاشاعرة هو المقدم عندنا قال ابن عبد السلام
ان الاشعري رضي الله عنه رجع عند موته عن تكفير اهل القبلة لان الجهل
بالصفات ليس جهلا بالموصوف وقال اختلفنا في عبارات والمشار اليه واحد
ومن قال منا بان لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم منهم
ما هو كفر فقال في المجسمة مثلا انهم كفار لانهم عبدوا جسما وهو غير الله
تعالى ومن عبد غير الله تعالى كفر وقال في المعتزلة انهم وان اعترفوا
باحكام الصفات فقد انكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار احكامها
فهو كافر والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب فلا كفر بمجرد اللزوم والله
تعالى اعلم وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لو

لوان قدريا او مرجيا مات فنبش بعد ثلاث لوجد الى غير القبلة خرجه
ابن عساكر وفي حديث عمر وابي هريرة رضي الله عنهما في قوله تعالى ان
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الاية قال صلى الله عليه وسلم هم اهل البدع
والاهوا من هذه الامة خرجه الطبراني باسناد جيد

فصل

في التنبيه على بعض ما تثمره معرفة الله عز وجل ومعرفة صدق رسله
عليهم الصلاة والسلام ختم به اي بذكره اخر هذا النظم الموضوع لبيان العقايد
الدينية وقد تم النظم وختم الكتاب لكنه وان لم يناسب المذكور في هذا الفصل
ما تقدم المناسبة الخاصة لانه ليس من العقايد الايمانية فقد حوى اي جمع
كلمات ينتفع بها والكلمة لغة تقال للجمل المفيدة كقوله تعالى وتمت كلمة
ربك وفي اصطلاح النحويين القول المفرد والقول لفظ بالفعل او بالقوة دال على
معنى كزيد وجل والضمير المنوي في الفعل واللفظ صوت مشتمل على بعض
الحروف قاله الانصاري رحمه الله تعالى والمراد حكم تحمد لانها تحصل
التطهير من عيوب النفس المانعة لكل خير ويخرج المومن من الغفلة الى
اليقظة ويصير من اهل العرفان فيرتقي الى منازل الابرار ولا تذم لانها
ليست خارجة عن الشريعة ولا عن الطريقة والذم نقيض المدح والمراد ان
العامل بهذه الكلمات يقبل عمله ويثاب عليه ان شا الله تعالى كما ان التارك
لها لا يكون محمودا ان النواهي جمع الناهي ما دل على النهي اي طلب الترك لشيء
خلاف الامر به جات بغير واحدة بل هي كثيرة بحيث لا تدخل تحت الحصر فلا
قدرة للمكلف على معرفتها والاحاطة بها من نفسه كذا الاوامر جمع الامر
ما دل على الامر اي طلب الفعل لشي خلاف النهي عنه لا تحصى اي لا يمكن عدها
لممتثل بل هو محتاج لمن يبين له المامورات من الطاعات ليفعلها امتثالا
وابتغا لوجه الله تعالى حتى يفوز باجتنا ثمرتها وتحصيل ثوابها ويبين
له المنهيات من المعاصي حتى يجتنبها امتثالا وابتغا لوجهه سبحانه حتى
يفوز بالخلاص من التقريع والتوبيخ وما يتبعه فمن النواهي الحقد والحسد
والبغي والغضب لغير الله والغش والخديعة والمكر والكبر والعجب وحب

للاوامر الاخلاص والصبر والرضى والزهد والقناعة والتوكل وشكر
المنعم والنصيحة ومحبة اهل العلم وتعلم ما لا بد منه من امر الدين ولا
سبيل الى معرفة ذلك الا بملازمة العلما فلازم اي لا تفارق العلما الذين هم
ورثة الانبيا عليهم الصلاة والسلام لاجل معرفة الاحكام التي كلفنا الله بها
وواجب علينا العمل بمقتضاها قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال صلى الله عليه وسلم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما
امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وذلك يحتاج الى ملازمة العلما العاملين
به اي بالعلم لانهم الذين يوثق باقوالهم لانهم الواسطة في التبليغ عنه
صلى الله عليه وسلم الواسطة في التبليغ عن الله عز وجل واسلك طريقهم
اي اتبع طريق العلما العاملين في تصرفاتهم وافعالهم حيث لازمتهم لتتعلم
العلوم من اقوالهم وافعالهم وان جهلت مع ملازمتهم امرا لم تستفد معرفته
من اقوالهم ولا من افعالهم سل اي اسالهم عنه لتعرفه وثق بمولاك اي
اعتمد على سيدك وخالقك الموجد للاشيا اجمعها نافعها وضارها لا على العلما
ولا على ما اخذت عنهم من الاقوال والافعال لان الانتفاع علما وعملا
موقوف على ارادته سبحانه وقد قال تعالى لسيد الخلق على الاطلاق
صلى الله عليه وسلم والى ربك فارغب لا تبغي اي لا تطلب له بدلا تعتمد عليه
لانه سبحانه القادر على تبديل العلم جهلا كما بدل الجهل علما فانما اي ليس عن
الله سبحانه جل الله اي عظم ومن اسمايه تعالى الجليل وهو الموصوف
بنعوت الجلال من بدل اي عوض اي ليس غيره تعالى يرجى لغرض من
الاعراض الدنيوية والاخروية يستغنى به عنه سبحانه واضرع اي اخضع
وكرر السوال راغبا اليه تعالى بصدق اي بنية صادقة لتحصل الاجابة
فقد قال القرطبي رحمه الله تعالى لاجابة الدعا شروط في الداعي وهي
ان يعلم انه لا يقدر على تحصيل مطلوبه منه الا الله تعالى وان يدعو
بنية صالحة صادقة وحضور قلب وان يجتنب اكل الحرام وان لا يمل من
الدعا فيتركه ويقول دعوت ودعوت فلم يستجب لي وشروط في

وهو

قف
على شروط الدعا
في الداعي والمدعي

المدعو

المدعو به وهي ان يكون من الامور الجايزة فلا يدعو بما فيه اثم ولا
قطيعة رحم ولا اضاعة حقوق المسلمين فهو اي الله تعالى ذو كرم اي
جود وعطا فلا يرد سايلا بل يجيبه لقوله تعالى ادعوني استجب لكم واذا
سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني والاجابة تتنوع
لقوله صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا كان بين ثلاث اما ان يستجاب
له واما ان يدخر له واما ان يكفر عنه من ذنبه وفي الحديث دعوة المظلوم
مستجابة وان كان كافرا وفي لفظ وان كان فاجرا ففجوره على نفسه هذا
السبيل اي الطريق والتوسل اليه سبحانه والى كرمه بالتضرع والدعا مع الخضوع
سوا كان لخاصة نفسه او للمسلمين عامة وجد نشاطا ام لا اقرب السبل
اي الطرق خلافا لمن ذهب الى ان ترك الدعا استسلاما للقضا افضل وخلافا
لمن ذهب الى انه يكون حسنا ان دعا للمسلمين وان خص نفسه كان الاولى تركه
وخلافا لمن خصه بوجود النشاط للدعا والاولى كما قال القشيري رحمه الله
تعالى ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعا افضل من السكوت وهو
الادب وفي بعضها السكوت افضل منه وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت
فاذا وجد اشارة الى السكوت كان اتم ومذهب اهل الحق ان الدعا ينفع فتقضى
به الحاجات وتدفع به البليات وترفع به الدرجات واحسانا لمن سبق من
العلم والارادة الازليتين من توقف ذلك عليه في الازل خلافا للمعتزلة
حيث منعوا نفعه قالوا لان ما دعي به اما ان يكون مما قدره الله وقضاه
اولا فالاول تحصيله محال والثاني غير محال بالعبد فانتفت فايدته فصار
عبثا وهو مردود بان القضا المعلق جاز ان يكون نفعه معلقا على الدعا
وكذلك نزوله والمبرم لسنا نعلم خصوص ما ابرم به وبتقدير المصادفة فلا
بالدعا عبادة وان لم تنكشف به نقمة ولم تزد به نعمة والدعا لاهل الحق
ترتب نفع عليه عاجلا او اجلا يخرجه عن العبثية وقد دعا صلى الله عليه
وسلم في مواطن كثيرة على المستهزيين والكفار يوم بدر وغيره واجمع عليه
السلف والخلف وكذا كان مستحبا كما عليه جمهور الفقها والمحدثين وهو المختار

فاذا وجد اشارة الى الدعا
في قلبه
فهو افضل واولى فاذا صح
٢ بيان
فتنقضي

تيان

وقيل حيث علمت ان التوسل اليه سبحانه بالتضرع والدعا اقرب السبل يا الهي
اي يا مالكي ومعبودي بحق الذي لا يستعاذ الا بك ولا يلجا الا اليك يا من لا
شريك له في ملكه ولا معين له في فعله ما اي ليس لي سواك اعتمد عليه
من مخلوق وغيره لانك القادر على كل شي عليك لا على غيرك اليوم المراد
به مطلق الوقت اي في جميع ساعاتي عليك متكلي واعتمادي لقوله تعالى وعلى
الله فتوكلوا ان كنتم مومنين ومن يتوكل على الله فهو حسبه وحقيقة التوكل
اعتماد القلب على الوكيل وهو كقولهم اظهار العجز واعتمادك على غيرك وقد
حده بعض اهل المعرفة فقال هو فعل القلب ولا ينافي السبب والكسب بالبدن
وجلب المنافع ودفع المضار فهو عند المحققين اعتماد القلب على الله عز وجل
مع وجود السبب وعند من لم يفهم اعتقاد القلب مع نفي السبب وكان
صلى الله عليه وسلم يحبس لاهله قوت سنته وقال تعالى خذوا حذركم
وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية واختفى صلى الله عليه وسلم
في الغار وقال اعقلها وتوكل قال سبط ابن الجوزي رحمهما الله تعالى والذي
اذهب اليه ان حد التوكل قطع الاستشراف بالاياس من الخلق ودليله قول
الخليل لجبريل عليهما السلام لما قال له الك حاجة قال اما اليك فلا فقال سل
من اليه الحوايج فقال علمه بحالي يغني عن سوالي فامنن اي انعم علي وعلى
اخواني المسلمين لان الدعا العام افضل من الخاص بتوفيق اي بخلق قدرة اكتسب
بها فعل الطاعات واكف بها نفسي عن السيئات لما تقدم من ان التوفيق خلق
قدرة الطاعة في العبد والمراد خلق ما يكون العبد موافقا لما طلب منه الشرع
والموافقة مباشرة انما تكون بتيسير الطاعات لا بالقدرة عليها وتفضل اي وامنن
علي ايضا باعطا تقى قال الرازي رحمه الله تعالى التقوى والتقى واحد وهما
في اللغة بمعنى الاتقى وهو اتخاذ الوقاية وهي ما يقي الانسان اي يحفظه ويحول
بينه وبين ما يخافه مثاله الترس ونحوه من الاجسام والصدقة فالصدقة
من الافعال فالمتقي جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها
من قوة عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها انتهى فالمراد واعطني

مايكون

مايكون وقاية من الغضب لان العاقبة للتقوى اي الجنة لاهل التقوى وهي
في الاصل قلة الكلام وفي الحديث التقي ملجم والتقي فوق المومن والطايع وهو
الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعايه عذاب الله عز وجل والتقوى وان قل
لفظها لكنها كلمة جامعة لحقوقه تعالى وهي ان يتقي حق تقاته بان يطاع
فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر كما خرجه الحاكم لكنه مقيد بحسب
الاستطاعة ولذا شملت خيري الدنيا والاخرة اذ هي اجتناب كل ما يبعد عن
الله عز وجل منك اي من فضلك يا الله لا اهتمام قدرتك الهداية اي الارشاد
للتوفيق بخلق اسبابه التي منها العرض المقارن للعمل الصالح والهدى كما قال
القرطبي رحمه الله تعالى هديان هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل
واتباعهم قال تعالى ولكل قوم هاد وانك لتهدي الى صراط مستقيم فاثبت لهم
الهدى الذي هو الدلالة والدعوة والتنبيه وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي
معناه التاييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من
احببت فالهدى على هذا يجي بمعنى خلق الايمان في القلب انتهى والهداية والضلال
كل منهما ازلي لا يتصور فيه تغيير ولا تبديل فالحكمة في امره سبحانه ايانا
ان نساله الهداية والتوفيق انما هو اظهار الافتقار والاذعان والاعلام بانه
لو هداه قبل ان يساله لربما قال اوتيته على علم عندي فيضل بذلك فاذا
سال ربه عز وجل فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية
وفي الحديث قوله سبحانه فاستهدوني اهدكم اي اطلبوا مني الهداية بمعنى الدلالة
على طريق الحق والايصال اليها معتقدين انها لا تكون الا مني فضلي اوصل من
ثبت ايصاله في سابق العلم القديم الازلي فمن هداه سبحانه سبب له من
يعلمه الهدى فصار مهديا بالفعل بعد ان كان مهديا بالقوة ومن خذله
والعياذ بالله قيض له من يعلمه ما يغير فطرته فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه كما يرشد له قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
واعلم ايها المكلف بان عيوب النفس وهي النقايص والقبايح القايمة بها
كالكبر والعجب والحسد والشهوة والغضب مهلكة لانها تحملها على ترك الطاعة

والانهماك في المعاصي فاشتغل بتطهيرها منها عن النظر في عيب غيرك لقوله
صلى الله عليه وسلم احبوا الفقرا وجالسوهم واحب العرب بقلبك وليردك عن
الناس ما تقدم من نفسك اي ليمنعك عن احتقار الناس وازدرائهم وتتبع
عيوبهم وعوراتهم ما تعلم من معايب نفسك وفي الحديث اذا قال الرجل هلك
الناس فهو اهلكهم اي اكثرهم هلاكا وهو الرجل يولع بعيوب الناس ويعجب
بنفسه عجبا ويرى له عليهم فضلا اقلها اي العيوب المهلكة ميلها اي النفس
ومحبتها للعجز اي لاجابته ومطاوعة داعيته واصل العجز التاخر عن الشي
من العجز وهو موخر الشي وللزوم الضعف والقصور عن الاتيان بالشي
لما استعمل في مقابل القدرة واشتهر فيها فقيل العجز هو عدم القدرة على
الخير وقيل ترك ما يجب فعله والتسويف به قال الحافظ السيوطي والكسل
وهو ان يترك الشي ويتراخى عنه وان كان يستطيعه وهو كما قاله حافظ الشرط
رحمه الله تعالى عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه
وحالنا هي ما عليه الانسان من خير وشر كلنا معاشر المكلفين من الثقلين
في عدم السلامة من معايب النفس وشرورها واحدة فان النفس مجبولة
على المخالفة والميل الى ترك العبادة والى حظها من فعلها فانها مخلوقة من
الملكوت السفلي كالشياطين وهم لا يامرون الا بالشر والقبائح ومن طبعهم الاباء
والتمرد والاستكبار ولذا قال العلما رضي الله عنهم مخالفة النفس راس العبادة
ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد اهلكها بمهلكاتها كالكبر والعجب و
الحسد وطول الامل وكيف يصح لعاقل الرضى عن النفس والله تعالى يقول
ان النفس لامارة بالسو الا ما رحم ربي ومن هنا كان الهلاك الناشي عنها
اعظم من الهلاك الناشي عن علل الابدان كما اشار اليه بقوله لان علتها
اي النفس المعنوية الدينية اربت اي زادت على جميع العلل والامراض الحسية
وبيان زيادتها ان علة النفس هلاكها اخروي بخلاف ساير العلل الحسية
فانها هلاكها دنيوي منقطع ومع ذلك فقد جعل سبحانه بازا كل علة
ومرض منها ثوابا عظيما لمن وفقه للصبر له والقيام بحقه في ذلك

وايضا

وايضا الامراض تكون في بعض الازمنة وعلة النفس لا تفارق مع كثرتها
في ساير الازمنة واهلاكها يربوا على ضرر الامراض والاسقام لانها مصيبة
لا ثواب فيها بل ليس فيها الا العقاب فينبغي لطالب النجاة والسعادة الاخروية
ان يبحث عن مداواة هذه العلة وقد قال تعالى قد افلح من زكاها ولا سبيل
الى ذلك الا بمعونته سبحانه فنسال الله اي نطلب منه عونا هو الظهير على
الامر فهو سبحانه ملجانا نستند اليه ونقتصد به ليعيننا على مخالفة
نفوس فيما تدعو اليه لتسويل الشيطان من التمادي على الغي وغيره لان مخالفة ... لفة
النفس راس العبادة وترك شهوتها اول مراتب السعادة قال تعالى واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى قست عن
قبول ذكر الله تعالى وقد قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي
الذين تزداد قلوبهم قسوة من سماع ذكره كابي لهب وولده او من
فيه بمعنى عن وقال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة والقلب القاسي هو الذي لا يرق ولا يلين وفي الحديث قال الله
عز وجل اطلبوا الحوايج من السمحا فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها
من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي ولاجل قسوتها للخير لم تمل
اي لم ترجحه والمراد بالخير ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الاجل
كالطاعات وفعل المامورات وفي الحديث ان الله ليشدد القلب حتى يكون
اشد من الحجارة والله ليلين القلب حتى يكون الين من اللبن ثم اشار الى
معالجة النفس وتخليصها من علتها بقوله جاهد نفسك في طاعته سبحانه
ان اردت تزكيتها اي تفوز بالنجاة والسعادة الابدية والمجاهدة لغة كما قال
الرازي رحمه الله تعالى المحاربة وفي الشرع محاربة اعدا الله تعالى وفي
اصطلاح اهل الحقيقة محاربة النفس الامارة بالسو بتحميلها ما يشق عليها ما هو مطلوب شرعا وقال بعضهم صح
المجاهدة مخالفة النفس وقال بعضهم منع النفس عن المالوفات والمجاهدة
على قسمين مجاهدة العوام وهي توفية الاعمال ومجاهدة الخواص وهي
تصفية الاحوال فان مقاساة الجوع والسهر سهل يسير بالنسبة الى تبديل

الاخلاق المذمومة بالممدوحة والمجاهدة في الله تعالى من اعظم
اسباب الوصول اليه قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قيل
معناه من اجتهد في عمل لله زاده الله هداية على هدايته وقيل معناه والذين
اجتهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد
من جاهد نفسه في الله جد اي همة وتعب وخالفها في كل ما تدعوا اليه مما
يحول بينك وبين النجاة فانك ان جاهدتها عسى من افعال المقاربة وفيه
طمع واشفاق اي يرجى لك بالله اي بفضله وكرمه تغلبها فيعينك عليها
وتستر عيوبها بما يكشفه لك من طرق الهداية فتامن كيدها فتصل الى
النجاة لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لله درك اي ما
اعجب عملك ان جاهدت نفسك حتى اعرضت عن شهواتها وطهرت من
معايبها وصارت مرضية وصانها من رجل كامل الرجولية استعملت الحزم
واتيت الامر من بابه واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها فلم تدخل في
العمل الا بنفس طيبة مهذبة يرجى خيرها ويؤمن شرها والعرب اذا عظموا
الشيء غاية الاعظام اضافوه الى الله تعالى ايذانا بان هذا الشيء لا يقدر على ايجاده
الا الله تعالى وبان هذا جدير بان يتعجب منه لانه صادر عن فاعل قادر
مصدر للاشيا العجيبة التي لا قدرة للبشر على صنعها والدر اللبن وقيل الخير
لان اللبن امارة كل خير واصله ان رجلا راى اخر يحلب ناقة فتعجب
من كثرة لبنها فقال لله درك وانما امر بمجاهدة النفس لان المجاهدة تغطي
عيوبها فان فيها كبر ابليس وحسد قابيل وعتو عاد وثمود وتمرد نمرود و
استطالة فرعون وبغي قارون وقباحة هامان وهوى بلعام وفيها من اخلاق
البهائم حرص الغراب وشره الكلب ورعونة الطاوس ودناءة الجعل وعقوق
الضب وحقد الجمل ووثوب الفهد وصولة الاسد وخبث الحية ومكر الفار
وعبث القرد والرياضة تخمد نيرانها ولا تامن عمل النار في الباطن ثم
بين كيفية جهاد النفس فقال فطمها وما تجنيه من الاغراض الدنيوية
من التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسات وحب المحمدة والثنا والفضول

تنبيه على ما في النفس من اوصاف البهائم والطيور

في

في الكلام والافعال المباحة وغير ذلك مما لا يعود عليك منه نفع اخروي
غير مفعول ما اي الذي يعنيك بفتح اوله من عناه الامر اذا تعلقت عنايته
به وكان من غرضه وارادته والذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة
حياته في معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته
ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ واستمتاع و
استكثار تترك اي ما لا يعنيك وتشتغل بما يعنيك فيكون غير مضيع للوقت
النفيس الذي لا يمكن تعويض الفائت منه وفي الحديث من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه قال الحافظ الهيتمي رحمه الله تعالى والشي اما ان يعني الانسان
اولا وعلى كل اما ان يتركه او يفعله فالاقسام اربعة فعل ما يعني وترك ما لا
يعني وهما حسنان وترك ما يعني وفعل ما لا يعني وهما قبيحان والحديث
من جوامع الكلم وهو اصل كبير في تاديب النفس وتهذيبها عن الرذايل و
النقايص وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يجعل في فمه حجرا ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه بذا اي بالجد في مجاهدة
النفوس القاسية وترك حظوظها لا بغيره استعان اي طلب العون من الله
عليها اي على النفوس القاسية حتى تصير ذليلة لا تشتغل بغير الطاعة
كل ذي عمل اما من امتثل اوامرها واطاع شهواتها حتى صارت عنده
عزيزة فلا يتمكن من الانتفاع بها في شيء من اعمال البر والطاعة واذا
اردت معرفة ما يوصلك الى مجاهدة النفس حتى تستعملها في الطاعة فراقب الله
اي خف غضبه بمخالفته واحفظه في اوامره لانه سبحانه يرى عملك في سر ضد
العلن فهو ما يخفى وفي علن وهو الظاهر لا يخفى عليه سبحانه واحد منهما
قال تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا نعلمه وننظره اذ تفيضون فيه اي تاخذون فيه الاية والمراقبة
ملاحظة الرقيب ومن علم انه سبحانه مطلع على الضماير عالم بالسراير علما
يقينا خرج الى المراقبة ضرورة وتكون مراقبته على مقدار قوة يقينه وعلا متها
متها ايثار ما اثره الله عز وجل وتعظيم ما عظمه وتصغير ما صغره وقد

غلبت المراقبة على قوم فكانوا لا يستندون ولا يمد احدهم رجليه وكان احمد
ابن حنبل رضي الله عنه يجلس في بيته متربعا مستقبل القبلة فاذا
استكملت مراقبته تنل اي يعطيك مقاما من الاحسان مصدر احسنت كذا
اذا احسنته وكملته بالاتقان فهو راجع الى اتقان العبادات باداها على وجهها
المامور مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله
ابتدا واستمرارا وارباب القلوب في هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه
مشاهدة الحق سبحانه لقوله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه اي فلا تكون المراقبة الا مع تمام الخضوع والخشوع والاخلاص
في جميع الاعمال والثاني من لا ينتهي الى هذه الحالة لكن يغلب عليه ان الحق
سبحانه مطلع عليه وشاهد له واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فان
لم تكن تراه فانه يراك فيه اي في ذلك المقام ثواب علي اي عظيم لا يعلم كميته
ولا كيفيته الا المتفضل به سبحانه ومما يستعان به على غلبة النفس وقهرها
ما اشار له بقوله وكن ايها المكلف حزينا ان اردت قهر نفسك واذلالها
اي ملازما للحزن لقوله تعالى لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ولقوله صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب كل قلب حزين وقد كان صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دايم الفكر والحزن يقبض القلب عن التفرق في اودية الغفلة وقد
عرفوا الحزن بانه اعتياد النفس وتاملها لما فاتها او يخشى فواته من حظها
من المولى سبحانه وقال الرازي هو انكسار القلب وخشوعه وعلامته انكسار الجوارح
الظاهرة عن الانبساط لانكسار الباطن والذي يجلب الحزن ثلاث خصال الفكر في
الذنوب الماضية والفكر في الموت والنظر الى من هو اتقى من الانسان وقال بعضهم
الحزن من اثار الخوف من الله تعالى وكذلك الفكر وهما عمارة القلوب كما ان
الفرح والغفلة خرابها واتفق الناس على ان الحزن بسبب الاخرة محمود وبسبب
الدنيا مذموم كسير القلب اي وكن منكسر القلب في حق دينك خايفا من قلة
عملك بل من نفس عملك ولو كان كثيرا اذ لعله لم يقع على وجه يكون سببا
للقبول وفي الحديث انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي واراد التحرز من الكبر وعدم

التخلق

التخلق به لان المتكبر ممنوع من كل خير والرحمة تنتقل من قلوب المتكبرين
وتنزل الى قلوب المتواضعين ذا وجل اي فزع وخوف من الله تعالى ان يعاقبك
في الدنيا وفي الاخرة قال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وصف الله تعالى المومنين بالخوف والوجل عند ذكره ثم المترة ايمانهم وسراعاتهم
لربهم عز وجل كانهم بين يديه وقال صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون الحديث وفيه لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وما تلذذتم بالنسا على الفراشات ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله والله
لوددت اني كنت شجرة تعضد وفي الحديث فيما يرويه صلى الله عليه وسلم عن
ربه عز وجل لا اجمع لعبدي بين خوفين ولا اجمع له بين امنين ان خافني
في الدنيا لم يخف في الاخرة وان امني في الدنيا لم يامن في الاخرة والافضل عند
الجمهور تقديم الخوف في الصحة والرجا في المرض وصحح بعضهم تقديم الرجا مطلقا
لاحتمال هجوم الموت وطروقه في كل نفس وتمع انما فيه الكفاية ان شا
الله تعالى وعند الامام احمد في الزهد من حديث وهب بن منبه قال ان
لله عبادا اتاهم الا نعبد الله خوفا ولا رجا ولكن نعبد الله حبا فان الحب يستخرج
من القلب ما لا يستخرج الخوف والرجا ثم ذكر بعض عيوب النفس محذرا منها
منها بقوله اياك والكبرا اي احذره ان تدنو منه وتتخلق به لحديث لن
يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولن يدخل النار من في
قلبه مثقال ذرة من ايمان فقالوا يا رسول الله ان احدنا يحب ان يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنة فقال ان الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر بطر الحق
وغمص الناس او وغمط الناس روي بالصاد والطا المهملتين وبطر الحق رده
على قايله وغمص الناس احتقارهم ثم علل التحذير من الكبر بقوله فيه اي
الكبر اعظم الزلل اي الخطايا والذنوب لانه ينشا عنه من الجنايات ما يتعذر
استقصاوه كالغضب الذي يكون وسيلة لسفك الدما والسب والحسد والغيبة والنميمة
والريا والسمعة ولو لم يكن من جناياته الا انه يخاف على صاحبه سوء الخاتمة
لكان كافيا في التحذير منه نعم الكبر على اعدا الله والفساق والظلمة واهل

التكبر من اهل الدنيا وارباب المناصب مطلوب شرعا حسن عقلا وعلى الصالحين
واعية الدين حرام معدود من الكباير وهو من اعظم الذنوب القلبية حتى قال
بعض العلما كل ذنب من ذنوب القلب ربما يكون معه الفتح الا الكبر وقد كان
من تواضع سيد الخلق على الاطلاق صلى الله عليه وسلم وعلى اله انه كان يعلف
البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة وياكل مع الخادم
ويطحن معه اذا اعيى ويحمل بضاعته من السوق الى اهله ويصافح الغني و
الفقير ويبدا من لقيه بالسلام ويجيب من دعاه ولو الى حشف التمر الى غير ذلك
مما ذكرناه بالنجم الطالع وغيره والكبر له ادوية يعالج بها منها شرعي وهو ذكر
عقوبة الله تعالى لصاحب الكبر ومقته له وحرمانه من كل خير دنيا واخرى
ومنها عقلي وهو علمه بان الممكنات جميعها على حد السوا لما يتبدل ادناها من
الاعراض يتبدل اعلاها لا الفضل لشي منها على غيره بحسب ذاته وانما الله سبحانه
تفضل ما شا بما شا من غير استحقاق شي لما من به من الفضل فيما خلق
الايمان والهداية والعزة والغنى والقدرة على الستر والجمال والاضاءة فيمن
شانه فهو قادر على تبديلها اذا شا ومنها دوا عادي اشار اليه المؤلف رحمه
الله بقوله من نطفة اي قليل من المني كان في صلب الرجل وترايب المراة
قال تعالى الم يك نطفة من مني تمنى الاية ففيه تنبيه على خسة قدره
يعلم الانسان يقال للذكر من البشر والانثى انسان سمي انسانا لانسه فعول
بعلم الذي تعلق به من نطفة مبداه اي ابتدا خلقته وتركيبه وجيفة
اي جثة الميتة اذا نتنت وتغير ريحها اخرا اي اخر حياته اذا مات وخرجت
روحه من بدنه بل هو اقبح الجيفة منظرا واشنعها ريحا ولذلك شرعت
مواراته ودفنه في التراب ومن كلام علي رضي الله عنه وما لابن ادم والفخر
وانما اوله نطفة واخره جيفة والبطن منه اي من الانسان فيما بين المبدا
والاخر ملي بالطعام صار عذرة وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان
ابن ادم اذا جلس ليقضي حاجته ببول او تغوط جاءه ملك وقام على راسه
وقال له يا ابن ادم انظر الى النعمة التي اكلتها كيف تغيرت عن حالتها بصحبتك

بلغ مقابله

قف على سبب تسمية الانسان انسانا

فانظر

فانظر الى عاقبتك وما يؤول اليه حالك في القبر فلا ينبغي لمن كان جامعا لهذه
الخصال الثلاثة ان لا يفتخر ولا يتكبر ومن كلامهم ما بال من اوله نطفة
مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة قال الله تعالى ان
الله لا يحب من كان مختالا فخورا فنفى سبحانه محبته ورضاه عن هذه
صفته اي لا تظهر عليه اثار نعمته في الاخرة ترجو النجاة اي الخلاص
من المولى اي سيدك وخالقك وعطف على قوله ترجو النجاة قوله و
تاملها للتغيير اذ الرجا في اللغة الامل وقد يجي بمعنى الخوف ايضا ومنه قوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي ما لكم لا تخافون عظمة الله تعالى
والرجا عند اهل الحقيقة تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل وقيل هو
الثقة بجود الكريم وقيل قرب القلب من لطف الرب وقيل هو سرور الفؤاد
بحسن الميعاد وقيل هو حياة القلب بالامل وقيل هو النظر الى سعة رحمة
الله عز وجل والرجا لا يتحقق الا مع الخوف كما ان الخوف لا يتحقق الا مع الرجا
فهما متلازمان لان الرجا بلا خوف امن في الحقيقة والخوف بلا رجا قنوط
في الحقيقة ويأس من رحمة الله عز وجل ولهذا قال بعض اهل الحقيقة
الخوف والرجا كزوج المقراض لا يفيد احدهما الا مع وجود الاخر وقال اكثرهم
هما كجناحي الطاير متى اعتدلا وتساويا طار طيرانا تاما ومتى زاد احدهما
على الاخر اختل طيرانه ونقص ومتى ذهب بالكلية سقط وصار كالميت
والمذبوح كيف سؤال عن الحال وفيها معنى الاستفهام التعجبي في موضع رفع
خبر النجاة الواقع مبتدا اي النجاة كيف حصولها وكبر القلب باق على حاله
لم يزل ولم يفارق لانه احد الصفات السبع المذكورة في النفس بحسب اصل
الخلقة وهي موصل الى دركة من دركات جهنم فقد ذكر النجم الرازي في كتابه
منارات السالكين ان النفس مخلوقة على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة
فيها صفة لها وهي باب من ابواب جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى
دركة من دركاتها السبع وهي سبع صفات الكبر والحرص والحسد والشهوة
والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه

يفخر صح

الدركات السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية ولو لم يكن من آفات الكبر
الا انه يفوته معرفة الحق وفهم الآيات والاحكام التي هي اصل الامر كله كما
قال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ويثمر المقت من
الله عز وجل كما قال تعالى انه لا يحب المستكبرين ويورث الخزي في الدنيا فانه
لا يخرج من الدنيا حتى يرى الهوان من اراذل الاهل والخدم ويعقبه النار في
الآخرة على ما روي انه تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
في واحد منهما ادخلته نار جهنم لكان ذلك كافيا في التنفير والزجر عنه فكيف تطمع
في النجاة وانت مع اتصافك بالكبر لست تسلم بحسب ما جبلت عليه النفس من
عجب هو كما قال القرافي في رؤية العبادة واستعظامها فهو معصية تكون بعد
العبادة متعلقة بها هذا التعليق الخاص كما يعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه
وكل مطيع بطاعته وهو حرام غير مفسد للطاعة لانه يقع بعدها بخلاف
الريا فانه يقع معها فيفسدها وسر تحريم العجب انه سوء ادب مع الله تعالى فان
العبد لا ينبغي له ان يستعظم ما يتقرب به لسيده بل يستصغره بالنسبة الى عظمة
سيده لا سيما عظمة الله تعالى ولذلك قال الله تعالى وما قدروا الله حق
قدره اي ما عظموه حق تعظيمه وقال الغزالي العجب ذكر العبد حصول شرف
العمل الصالح لشيء دون الله كالنفس والناس ولشيء وضد العجب ذكر المنة
وانه بمحض توفيق الله تعالى وحده وانه هو الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره
وهذا الذكر فرض عند دواعي العجب نفل في ساير الاوقات قال والناس في العجب
على ثلاثة اصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين
لا يرون لله تعالى منة عليهم في افعالهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال
وهم المتقون من اهل السنة والصنف الثالث المخلطون وهم عامة اهل
السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله عز وجل وتارة يغفلون فيعجبون
انتهى وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس وسؤال الغير عن قبايحها ومعايبها
والنظر في احوال من سبقنا الى ما اعجب به وبرز عليه فاذا اعجب العالم بعلمه
نظر في سير العلماء المتقدمين او الزاهد بزهده نظر في سيرة الزهاد فلا يعد

نفسه

نفسه وعن الحسن في قوله تعالى وعلى الاعراف رجال الآية قال هم قوم
كان فيهم عجب قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى ففيه ذم العجب وليس له
ذكر في القرآن الا هنا وعن بطر هو الطغيان عند النعمة وطول الغنى كما
قاله ابن الاثير في حديث لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا وقال
الجوهري هو الاشر وهو شدة المرح اي الفرح وهو من اسباب العجب و
فيه اي ما ذكر من العجب والبطر هلك اي هلاك لمن اتصف به بنص من
الشارع غير محتمل ففي حديث انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله في السر
والعلانية والحكم بالعدل في الرضى والغضب والاقتصاد في الفقر والغنى والمهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء برايه قال الغزالي رحمه الله تعالى
يلزمك اجتناب العجب لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من
الله تعالى فان المعجب مخذول فاذا انقطع عن العبد التاييد والتوفيق
فما اسرع ما يهلك والثاني انه يفسد العمل الصالح وهبك هي بمعنى ظن ولا
تستعمل الا بصيغة الامر اي وعلى تقدير ظنك وفرضك انك قد نلت اي
اعطيت الذي قد نلت من عمل صالح ولو كان عدد السهل والجبل ولم
تعص الله قط فيما يظهر لا ينبغي لك ان تتكل عليه اذ لعل نيل قبول اي
رضى منه سبحانه لذلك العمل مع كثرته لم تنل بل رده عليك وامر
الملائكة ان تضرب به وجهك والعياذ بالله . . . في الآخرة ولم يقبل من
عملك شيء بل تحتمل ان يموت ذلك العامل كافرا فيكون مخلدا في النار
نعوذ بالله من سوء الخاتمة وعن عمر رضي الله عنه لو قبلت مني تسبيحة
واحدة ما باليت لان قبولها علامة حسن الخاتمة هذا ابليس لعنه الله تعالى
طرد بمخالفة امر واحد وهو السجود لآدم مع كثرة عبادته قبل ذلك ثما
الف سنة ولم يترك موضع قدم الا وسجد فيه سجدة ولعل موضوعة
للترجي وهو طلب امر محبوب والطمع في حصول امر محبوب يمكن الوقوع
تقول ترجون لعلي ابلغ الاسباب جهل منه او افك والقول المنكر المرمي به

به مع ترك الاعتراض على فاعله وقيل الانابة على العمل الصحيح صل للعبيد
جمع العبد حرا كان او رقيقا لانه مملوك لبارية اي ليس لهم حيلة يتقربون
الى سيدهم سوى ذل ضد العز ومسكنة هي فقر النفس والخضوع وفي الحديث
التواضع لا يزيد العبد الا رفعة ولما خير سيد الخلق على الاطلاق نبينا صلوات
الله وسلامه عليه بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار التواضع فقال
بل نبيا عبدا وقال ان الله امركم بالتواضع والعز الحقيقي لله وحده وما سواه عبد امرني ان مح
ذليل والذليل لا يتقرب الى العزيز الا بلزوم مقامه من الذلة قال تعالى من
كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي من كان يريد العزة لينال الفوز ويدخل
دار العزة فليقصد بالذلة لله سبحانه والاعتزاز به فان من اعتز بالعبيد اذله
الله ومن اعتز بالله اعزه ومن اسمايه تعالى العزيز وهو الغالب القوي
الذي لا يغلب ثم العز المجازي المتفضل سبحانه باعطايه للرسل عليهم الصلاة
والسلام اذ كل عبد اتصف بالذل والمسكنة غدت اي صارت له عزته مملوكة
اي عتقدا ختصاصها به سبحانه فان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة على العدو
متعلق بقوله فليصل قدم عليه للحصر والمراد من العدو من سعى في ذهاب
اخرتك او نقصها وان حصل بذلك صورة نفع في دنياك ولذا كان الانبيا عليهم
السلام وصالح السلف اوليانا واصدقانا لهم لانهم سعوا في عمارة اخرتنا دون
ابليس لعنه الله فانه سعى في افسادها فكان اعدى الاعدا خلصنا الله تعالى من كيده
عنه وكرمه بذاك العز الذي اودعه الله في العبد المتصف بالذلة والمسكنة فليصل
اي يقهر العدو ويسطو عليهم فينبغي لمن كان صاحب عزة وتصرف ونفاذ كلمة
ان لا يصرفها الا في الطاعة وجهاد العدو وتغيير المنكر ودفع البدع واقامة السنة
لا في سخط وغضب كاحتقار المسلمين وظلمهم والاستطالة عليهم بسبب الاموال و
ترك الانصاف بعدم اعطا ما عليه من الحقوق وغير ذلك مما ليس فيه الا الهلاك
الاخروي وطهر اي نزه القلب وازل ما فيه مما ينافي ذلك والقلب كما قال ابن
العربي جزء من البدن خلقه الله تعالى وجعله للانسان محل العلم والكلام وغير
ذلك من الصفات الباطنة وجعل ظاهر البدن محل التصرفات الفعلية والقولية

ووكل به ملكا يامره بالخير وشيطانا يامره بالشر والعقل بنوره يهديه والهوى
بظلمته يغويه والقضا والقدر مسيطر اي مسلط على الكل والقلب يتقلب بين
الخواطر الحسنة والسيئة والمحفوظ من حفظه الله والطهارة قسمان حسية ومعنوية
فالحسية ضربان لغوية وهي عبارة عن النظافة والتنزه عن الاقذار والدنس في
شرعية وهي كما قال ابن عرفة صفة حكمية توجب لموصوفها جواز استباحة
الصلاة به كالثوب او فيه كالمكان او له كالمكلف والتطهير ازالة النجس ورفع
مانع الصلاة والطهورية صفة توجب لموصوفها كونه بحيث يصير المزال به
نجاسته طاهرا والمعنوية عبارة عن طهارة القلوب عما لا يليق بمحاسن الشريعة
وهي الاحتراز عن المعاصي والفسق والرذايل المباحة وفعل ما يخل بالمروة كاللعب
بالحمام والاكل في السوق وعلق بقوله طهر القلب من غش خلاف النصيحة
وهو اخفا عيب او ضرر دينيا او دنيويا مع العلم به عمن جهله من المسلمين
او من في معناهم من اهل الذمة والمعاهدين وفي الحديث من غشنا فليس منا
وفيه الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم فالنصح لله
عز وجل اخلاص الاعتقاد في الوحدانية وما يرجع اليها والنصح لكتابه قراته
والتفقه فيه والتخلق به والنصح للرسول عليه السلام تصديقه بنبوته والتزام
طاعته وتعظيمه والنصح لايمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم وحب الصالحين
منهم والدعا لجميعهم وارادة الخير لكافتهم وطهر القلب ايضا من حسد وهو
تمني زوال نعمة المحسود سوا تمنى انتقالها اليه ام لا بخلاف الغبطة فانها تمني
حصول مثل نعمة الغير من غير تعرض لقلب زوالها عن صاحبها وفي الحديث
المؤمن يغبط والمنافق يحسد وحكم الحسد في الشريعة التحريم وحكم الغبطة الاباحة
لعدم اقتضايها مفسدة وانما كان محرما مذموما لانه اعتراض على الحق ومعاندة
له حيث انعم على غير الحاسد بما لم يعطه اياه فهو يريد نقض فعله وازالة
فضله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد
ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وهو اول ذنب عصي الله به
في السما والارض حسد ابليس ادم عليه السلام فلم يسجد له وحسد قابيل هابيل

قف على حديث الدين النصيحة وما معناه الخ

نقتله وفي الحديث لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وكفى في ذم الحسد ان صاحبه بعيد من الله لا يستجيب له دعا في الحديث لا يستجاب دعاؤهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل وحسد للمسلمين وما احسن معارض زايره

ان حسدت فزاد الله في حسدي   لا عاش من عاش يوما غير محسود

لا يحسد المرء الا من فضايله   بالعلم والظرف او بالباس والجود

وما احسن ما قيل في الحسد قول الكميت بن زيد

ان يحسدوني فاني غير لايمهم   قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم   ومات اكثرنا غيظا بما يجد

انا الذي يجدوني في صدورهم   لا ارتقي صدرا منها ولا ارد

لا ينقص الله حسادي فانهم   اسر عندي من اللاي لهم وددوا

وعن ابي الدردا رضي الله عنه من اكثر ذكر الموت قل حسده وقل فرحه ولتستعذ منهما اي من الغش والحسد لانهما متلازمان بالله اي تساله سبحانه ان يعيذك ويجيرك منهما وابتهل اي تضرع اليه سبحانه لانه القادر دون غيره لا اله الا هو سلامة الصدر اي طهارة القلب وتصفيته من الغش والحسد والكبر ونحوها عزت اي قل وجودها فامتنع ان يكون لها اي للسلامة صدور وليس ذلك الصدر على غش يشتمل ولذا قال عليه الصلاة والسلام سلامة الصدر لا تدرك بعمل وفي حديث انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بدلا امتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكنهم يدخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة انفسهم ولما قال صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس فاخبروه وقالوا اخبرنا باوثق عملك فقال اني ناضعيف وانا اوثق ما ارجوا به سلامة صدري وترك ما لا يعنيني من ذي النواهي التي قدمنا وهي الكبر والعجب والبطر والغش والحسد وما ينشا عن ذلك من غيبة ونميمة وحقد وعداوة اي من التخلق بها والاتصاف بها خصوصا مصدر خصصت كذا بكذا اذا جعلته له دون غيره خوف سوء خاتمة عند الموت ما ذكر فان التخلق بها

يكون بسبب سو الخاتمة عند الموت والعياذ بالله وفي الحديث ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو قابض على شيين في يديه ففتح اليمين فقال بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من الرحمن الرحيم فيه اهل الجنة باعدادهم واحسابهم وانسابهم مجمل لا يزاد فيهم ولا ينتقص منهم احد ثم فتح يده اليسرى فقال بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من الرحمن الرحيم فيه اهل النار باعدادهم واحسابهم وانسابهم مجمل لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد وقد يسلك بالسعدا طريق اهل الشقا حتى يقال هم منهم هم هم ثم تدرك احدهم شقاوته ولو قبل موته بفواق ناقة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم العمل بخواتمه خرجه ابن شاهين فقد بين صلى الله عليه وسلم ان باطن الامر قد يكون بخلاف ظاهره وان خاتمة السو تكون والعياذ بالله بسبب سيئة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس وكذلك قد يعمل الرجل عمل اهل النار وفي باطنه خصلة خير خفية فتغلب عليه اخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة قد خاف منها اي من تغيرها عند الموت فحول العلم اي الراسخون فيه المسلمون من سي الاعتقاد والعمل الصالح القايمون بحقوق الله وحقوق العباد واذا خاف منها مثل هولاء مع سلامة ظواهرهم وبواطنهم واستقامة اعمالهم واقوالهم فكيف باهل العظايم والجرايم وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام وهو متعلق باستار الكعبة وهو يصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي وقال يا رسول الله كنت اخشى العاقبة فامتنانا الله علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش الاية وذلك لما اصابني من رهبتك ولما طرد ابليس لعنه الله بكى جبريل وميكايل عليهما السلام زمانا طويلا فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان فقالا يا رب لا نامن مكرك فقال هكذا كونا لا تامنا مكري وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في دعايه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل له يا رسول الله امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين

منه اصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء اخرجه احمد والترمذي وسمع
عبد العزيز بن رواد يحتضر الفتن الشهادة فقال هو كافر بها فسال عنه فاذا
هو مدمن خمر فقال اتقوا الذنوب فانها هي التي اوقعته وقال بعض العلما
الاسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى اربعة التهاون بالصلاة وشرب
الخمر وعقوق الوالدين واذى المسلمين ثم حذر مما يبعث على افات النفس المهلكة
واقواها حب الرياسة فقال دع اي اترك الرياسة التي يطلب بها مجرد التقدم على
ابنا الجنس والاستعلا بالكبر عليهم لا التي يطلب بها اغاثة الملهوف ونصر المظلوم
واحيا السنن واخماد البدع فانها محمودة العاقبة كما كان عليه السلف الصالح في
متابعوهم وانما امر بترك الرياسة لملايمتها النفس اكثر من ملايمة المال وساير الشهوات
وليبلغ رتبة الصديقين التي لا تنال الا بانتزاع حب الرياسة من القلب وقال
ابو نعيم والله ما هلك من هلك الا بحب الرياسة واخر ما يخرج من روس
الصديقين حب الرياسة وعلامة ذلك ان يغلب عليه لذة العلم والحكمة لاسيما
معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله لا تسلك اي لا تدخل مسالكها
اي مداخلها واماكنها اي لا تطلبها ولا تتخلق بها لقلة النجاة او عدمها فيها
كزماننا الذي كثرت فيه البدع والاهوا ويكفيك ان محبتها من اعظم الافات
المهلكة للدين لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سفيان الثوري مرفوعا ما
ذيبان ضاريان ارسلا في غنم باسرع فسادا فيها من حب الشرف والمال في دين
المرء المسلم وفي لفظ ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ما ذيبان جايعان ارسلا
في خطيرة غنم بافسد لها من حب المال والشرف لدين المرء وطلب رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم ان يكون عريفا بعد ابيه فقال له صلى الله عليه وسلم ان
العرافة حق ولابد للناس من العرفا والعرفا في النار ولهذا اكرهها الصحابة
رضي الله عنهم الا يوم خيبر لقوله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فانه
فان كلا تمناها يومئذ سل الولاية كالامارة والنقابة اذا تعينت عليك او دعتك
حاجة اليها فالبلوى اي فهي البلية لذي اي صاحب وجل اي خوف على نفسه

لايجد

لايجد للهرب منها مساغا من جهة الشرع مع شدة تحرزه فانه يجب عليه
ان يتلقاها بالصبر والاستعانة بالله وحده على القيام بحقوقها والامن من شرورها
ومن شان البلية الهروب منها بالقلب والجوارح ولذا هرب منها السلف الصالح
رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها وان
اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة
يوم القيامة دع المطامع فانها الافات المهلكة لصاحبها في الدارين وفي الحديث صح
اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقال وهب بن منبه ابعد من الكفر الغضب
والحرص والطمع والشهوة واكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله وقد يستعمل بمعنى
الامل وحقيقة الطمع كما نقله الغزالي عن بعضهم هو ارادة الشي المخاطر
بالحكم يعني ارادة ما فيه خطر بان يكون او لا يكون وعلى تقدير ان يكون فيه
صلاح للعبد او لا يكون فيريد هذا الطامع بان يحكم فيه مع هذه المخاطرة بان له
فيه صلاحا ومنفعة اوله فيه فسادا ومضرة كالاسفار غير الواجبة والتجا رات
والصنايع ونوافل الطاعات فليسترق في طلب هذا المخاطر لما جزم فيه بالمصلحة
لنفسه فيعطل بسبب ذلك واجبات عليه فيهلك في دينه او دنياه ومنه الممدوح
وهو ما كان في معنى الرجي يريد شيئا لا خطر فيه او فيه مخاطرة بالاستثنا
كقوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ومنه المذموم وهو شيئان
سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة الشي المخاطر بالحكم وهذه الارادة
تقابل التفويض وضد الطمع التفويض وهو ما ترك اختيار ما فيه مخاطرة
الى المولى المختار المدبر العالم بصالح الخلق واعلم ايها الطالب للنجاة والعزة
الدنيوية والاخروية ان صلصها اي المطامع من التملق اي التودد والتلطف
لمن يومله ويرجوه في ذل اي ضعف وهوان وفي خجل هو التحير والدهش
من الاستحيا واحسن ما قيل في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي
البخل والطمع ويطهركم تطهيرا اي بالسخا والقناعة وقال عليه السلام القناعة

بلحيا

كنز لا يفنى وقال عليه السلام ايضا ارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس
وفي الزبور القانع غني وان كان جايعا وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي
الله عنه ونفعنا به والله ما رايت العز الا في رفع الهمة عن المخلوقين
وقال الرازي رحمه الله مثل الطامع مثل كلب المزابل يقطع طول عمره
بحذا دكان القصاب لرجا عظم او قطعة لحم ولا يجدها ومثل القانع مثل
كلب الصيد لما ترك الجهل والبطالة والخسة والشره وقطع طمعه عن لحم القصاب
وعمل لمالكه حمل اليه اطايب لحم القصاب والصيد وزاده الخبز والمرق وغيرهما
فالحريص محروم ولعالي الهمة ينال ما طلب وما لم يطلب قد قيل قايله
سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كما عزاه الشارح له احرفه اي الطمع
التي ركبت كلمته منها تبدو اي تظهر للناظر مجوفة اي لها جوف لاستدارة
كل منها في الشكل وان كان تختلف الوضع كتابة فهي كجيب اي باطن ذي اي
صاحب طمع في التشبه اي المشابهة والمثل اي المماثلة فصاحبها لا يشبع ابدا زاد
بعضهم وكلها يابسة كحال صاحبها فانه مبتلى بالحرمان ويبس الاعراض وفي
الحديث لو كان لابن ادم واديان من ذهب وفضة لابتغى الثالث ولا يملأ جوف
ابن ادم الا التراب وفي حديث عمر رضي الله عنه قلت لكعب ما يذهب العلم
من قلوب العلما بعد ان حفظوه ووعوه فقال يذهبه الطمع وتطلب الحاجات
الى الناس ولما حذر من الطمع وامر بتركه حض على الاتصاف بفضيلتين
تتيسران بتركه فقال عليك اسم فعل بمعنى خذ يتعدى بنفسه كقوله تعالى
عليكم انفسكم وبالبا كقوله بالجود اي الكرم وهو اعطا ما ينبغي فان من ترك
الطمع برفض الاسباب من قلبه واوى الى مولاه عز وجل واستغنى به عن
كل ما سواه سهل عليه بذل المال لانه من جملة الاسباب التي رفضها من قلبه
وفي الحديث الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم الا ان السخا
شجرة في الجنة اغصانها متدلية في الارض فمن تعلق بغصن منها ادخلته
الجنة الا ان السخا من الايمان والايمان في الجنة اسنده الخطيب وكان صلى الله
عليه وسلم اجود الناس على الاطلاق وكان جوده صلى الله عليه وسلم

بجميع

بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه الكريمة لله عز وجل
باظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام الجايع
ووعظ الجاهل وقضا الحوايج وتحمل المشاق والاثقال لا تبخل بمكرمة
اي لا تمنع المعروف عن احد من الخلق لقوله صلى الله عليه وسلم الخلق
كلهم عيال الله واحب الخلق الى الله انفعهم لعياله ولقوله عليه السلام ايضا
احب العباد الى الله من احب اليه المعروف وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم
تصنعه اليه وقد مدح سبحانه المتقين فقال تعالى ومما رزقناهم ينفقون
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فحكم لهم بالفلاح الجامع
لسعادة الدارين فالبخل وهو الامتناع من اخراج ما حصل عندك والشح
الحرص على تحصيل ما ليس عندك بنا على تغايرهما وقيل الشح هو البخل
مع حرص وهو الصحيح لما عند مسلم من حديث جابر رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة
واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم و
استحلوا محارمهم وعن علي رضي الله عنه انه بكى يوما فقيل له ما يبكيك
فقال لم ياتنا ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني والجبن
وهو ضعف القلب خلاف الشجاعة التي هي شدة القلب عند الباس وقيل
بذل النفس حين يحمد بذلها وقال بعض اهل التجارب الرجال ثلاثة فارس
وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد اذا شدوا والشجاع الداعي الى البراز
المجيب داعيه والبطل الحامي لظهور القوم اذا ولوا بيس الوصف هما يعني
البخل والجبن للرجل والمراة تخصيص الرجل بالذكر لانه هو المقصود
بالسخا والشجاعة اذ البخل والجبن في حقه عيبان فاحشان بخلاف
المراة ويحتمل ان يكون الاحتراز عن المراة لان الممدوح في حقها غالبا
البخل والجبن اذ هما انفع لها واحفظ للزوج الا ان يكون كرمها وشجاعتها
لله تعالى خالصا كما في عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها وقد كان سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشجاعة بالمحل الارفع حتى كان
الصحابة رضي الله عنهم اذا احمر الباس تتقون به صلى الله عليه وسلم
وما لقي كتيبة قط الا كان اول من يضرب ولما كان المطلوب من المكلف
القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا وذكر بعض ما يتعلق بالباطن
منها ابتعه بذكر البعض الاخر المتعلق بالظاهر واقتصر على ما هو
اشدها واصعبها وهو اللسان لانه اكثر فسادا وعدوانا وطغيانا فقال
امسك اي احبس لسانك هو جارحة الكلام المخصوصة عن فضول
الكلام فيما ليس فيه فايدة من الغيبة والنميمة ونحوها وفي حديث
ابي امامة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك
عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وفي الحديث ما اعطي العبد
شرا من اطلاقه اللسان تنجو اي تسلم وتتخلص من غوايله اي
دواهيه الخفية المهلكة بالصمت وهو السكون مع القدرة على الكلام قال
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقال عليه السلام
من صمت نجا وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما البلا موكل بالنطق
وفي الحديث من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه
ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به ولا نجاة بدون الصمت لما يتسبب
عن انطلاق اللسان من الالقا على الوجوه في النار لقوله صلى الله
عليه وسلم وهل يكب الناس على وجوههم او قال على مناخرهم الا
حصايد السنتهم وفي الحديث ليس شيء من الجسد الا وهو يشكو حدة اللسان
وفي حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ابن ادم اذا اصبح بدرت
الاعضا كلها اللسان وقلن نشدك ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا والصمت على نوعين صمت العوام وهو امساك
اللسان كفا عن الكذب والغيبة وصمت الخواص وهو امساك اللسان لاستيلا
الهيبة وذلك الصمت هو من اداب الحضرة وينقسم ايضا الى قسمين اخرين
صمت العوام وهو كف اللسان وحده وصمت الخواص وهو صمت باللسان

والقلب

والقلب فالمتوكل صمت قلبه عن حركة الاعتراض وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم
وسالم وهالك فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والهالك الذي يخوض
في الباطل فاذا اردت ان تتكلم بشيء فتدبره بقلبك ثم امضيه بلسانك
فان لسان المومن وراء قلبه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه
بلسانه ولم يتدبره وفي حديث صفوان ابن سليم رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت
وحسن الخلق وفي لفظ ابي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال
هو الصمت وحسن الخلق ثم متى لم يمكن الصمت ولم تقدر
عليه انعزل اي انصرف عن ذلك المجلس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العافية عشرة اجزا تسعة منها في الصمت
والعاشر في الاعتزال عن الناس والعزلة والانفراد والفرار من المظالم
رجا السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين سنة الانبيا عليهم السلام
والاوليا وقد فضلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من العلما سيما عند
ظهور الفتن وفساد الناس وهي ارفع الاحوال لانها الحالة التي اختارها الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم في بداية امره ونص عليها في كتابه بقوله عز وجل
واذ اعتزلتموهم الاية والاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب
ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جا في الخبر اذا كان في الفتنة
فاخف مكانك وكف لسانك ولم تخص موضعا دون موضع وقد جعلت
طايفة من العلما العزلة اعتزال الشر واهله بقلبك وعملك وان كنت
بين اظهرهم ويشهد له حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل
من المومن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم خرجه البغوي ولكن
قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه العزلة راحة من خلطا السو انا

طلب امساك اللسان لانه قد جا اي ورد مرويا في اثر يطلق على الخبر
مطلقا على الخبر كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن صحابي
مرفوعا كان او موقوفا والخبر هو المرفوع هنا ما عليه السلف والخلف
من المحدثين وغيرهم تشبيهه اي اللسان سبعا اي بالسبع يشير به الى
قولهم فيما يوثر من الحكم لسانك كالسبع ان عقلته تركك وان ارسلته اهلك
لسانك اسدك ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك مهما اعتدى اي
تجاوز الحد لم يذر اي لم يترك شيئا الا اهلكه ولم يقل عثرته فلم
يدع يتخلص وقال ابن مسعود رضي الله عنه لسانك سيف قاطع بيدك
وكلامك سهم نافذ يرجع عليك فاقتصد في المقال واياك ذما يوغر صدور
الرجال ويقال كل كلمة فيما لا يعني يوقف عليها العبد في الاخرة خمس
وقفات يطول بها حسابه وقوفه وهوله ويذوب لحمه وقلبه ويتقطع
حسرات اولها ان يقال له لم قلت كلمة كذا اكانت مما يعنيك ثانيها هل
نفعتك اذا قلتها ثالثها هل ضرتك لو لم تقلها رابعها هلا سكت فربحت
السلامة من عاقبتها خامسها هلا جعلت مكانها سبحان والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فغنمت ثوابها ولبس يهمل اي لا يترك ذو التقوى
اي صاحبها والتقوى لغة جعل النفس في وقاية مما يخاف وشرعا حفظ
النفس عن الاثام وما يجر اليها واجتناب عذاب الله تعالى بفعل المامور
وترك المحظور والتقوى تكون في الظاهر والباطن فتقوى الظاهر كف
الجوارح الظاهرة عن الحرام وحفظها عما لا تؤمن عاقبته وهذه التقوى
الظاهرة تدرج صاحبها الى التقوى الباطنة وهي مراقبة الله تعالى وقد
امر الله سبحانه بها فقال تعالى واتقون يا اولي الالباب وفي الحديث
ان اولى الناس بي المتقون اين كانوا او حيث كانوا وقال ابن مسعود رضي
الله عنه المتقون سادة وقال قتادة لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي فقالت
طوبى للمتقين وقال وهب بن منبه الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته
الحيا فلا ينبغي للمتقي ان يهمل جوارحه اي اعضاءه الظاهرة التي يجرح

بها

بها اي يكتسب بها فانها رعايا وهو مسؤول عنها جارحة جارحة كما قال تعالى
ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤولا فان على كل عضو
استقامة تخصه من انواع الاعمال الظاهرة وله كرامات تخصه اذا ادى
حق الاستقامة كالعين فيجب غضها عن المحرمات وما يجري اليها من المباحات
لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فانها تجلب للقلب والجوارح كل
فتنة وفي الحديث ان العبد لينظر النظرة ينغل بها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ
لا ينتفع به ابدا وينبغي لمن اراد الفوز بمشاهدة الذات العلية في الاخرة ان يصون
عينه عن اهانتها بارسالها حيث لا يرضاه سبحانه والسمع فيجب صيانته عن
سماع الغيبة وما يؤول اليه عسى ان يفوز بسماع كلامه تعالى وقراءته سبحانه
على اهل الجنة ولا نعيم وراءه والبطن اعظم الاعضا واشقها على المجتهد اصلاحا
لانه اعظمها ضررا ومنه يهيج في الاعضا القوة والضعف والعفة والجماع لانه
منبعها فيصونه عن الحرام والشبهات لقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من
سحت فالنار اولى به ولاكل الحرام والشبهات مطرود لا يصلح للعبادة محروم
وان اتفق له فعل خير فهو عليه غير مقبول فلا ينال الا العنا والشقا وضياع
الوقت فيما لا يبقى وفي الحديث كم من قايم ليس له من قيامه الا السهر وكم من
صايم ليس له من صيامه الا الجوع والظما وعلق بقوله ولبس يهمل في صبح
اي في كل صباح واحد من اول نصف الليل الثاني الى زوال الشمس وفي اصل
جمع اصل وهو العشي المراد منه المسا وهو من وقت الزوال الى اخر نصف الليل
الاول كاحرره علامة السيوطي رحمه الله تعالى فيحاسب العاقل نفسه كل صباح
على جميع ما عمله ليلا وكل عشي على جميع ما عمله صباحا ثم كل جمعة كذلك
ثم كل شهر كذلك ثم كل عام كذلك ثم يبقى مدة حياته كذلك فاذا وجد حسنة
حمد الله عليها او سيئة استغفر وتاب اليه منها والاقرب الى السلامة ان يحاسبها
على كل فعل قبل الاقدام عليه حتى لا يتلبس به الا بعد معرفة حكم الله تعالى
فيه فما كان خيرا فعله وما كان غير ذلك امسك عنه فان من حاسب نفسه
في الدنيا هان عليه الحساب في الاخرة ولما كان القلب مبدا الحركات البدنية والارادات

النفسانية كان اعظم الجوارح خطرا واشدها ضررا كما اشار اليه بقوله ان يصلح
القلب وهو اللحمة الصنوبرية التي هي في الصدر وصلاحها بصلاح المعنى القايم
بها الذي هو ملحظ التكليف واشار بقوله فالاعضا جميعها الظاهرة والباطنة
صالحة بصلاحه كما انها تفسد بفساده ايضا الى قوله صلى الله عليه وسلم الا وان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
فالاعضا مسخرة ومطيعة له فما استقر فيه ظهر عليها وعملت بمقتضاه ان خيرا
فخير وان شرا فشر ولا شك انه يصلح بالعلوم التي اعلاها العلم بالله تعالى
بصفاته واسمايه وتصديق رسله عليهم الصلاة والسلام فيما جاوا به من العلم
باحكامه ومراده منهما والحديث فيه دليل ما عليه الجمهور ان العقل في القلب لا
في الراس جيئ ربط صلاح البدن وفساده ومن جملته الدماغ على صلاح القلب وفساده
وفي الحديث مثل القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح وفيه ايضا القلب ابن
ادم اسرع انقلابا من القدر اذا استجمعت غليانا يعني لانه اذا اصدرت عن القلب
ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة وبالعكس لانه اي القلب ملك والاعضا
كالرعية فهي اي القلب عن الطلعات تمل الجوارح تبعا له كما ان الرعية تصلح
بصلاح الملك اذا استقام وتفسد بفساده اذا مال فالقلب امير البدن والجوارح خدمه
وقد ركب في الادمي ما ركب في الملك من العلم والعمل بمقتضاه وركب فيه ما في البهيمة
من الحرص والحسد والشره والشهوات فالعلوم تحركه الى الاخلاق الرفيعة والشيطان
يدعوه الى الاخلاق البهيمية فان مال الى الحق التقى شر الشيطان من ظلمه فالحواس معه
كالحجاب مع الملك لانها تدرك المعلومات اولا ثم تؤديها اليه ليحكم عليها ويتصرف
فيها فهي الات وخدم له وهي معه كملك مع رعيته ان صلح صلحوا وان فسد
فسدوا ثم يعود صلاحهم وفسادهم اليه مزيادة المصالح او المضار الراجعة منها
اليه ولما كان والصبر من اقوى ما يتوصل الى المطلوب اشار الى ذلك بقوله والرضى
ان اردت السلامة من كل ما يشوش عليك في القلب والعمل والفوز بخيري الدنيا
والاخرة لقوله تعالى في وصف الذين امنوا وعملوا الصالحات رضي الله عنهم ورضوا
عنه ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال لموسى عليه

الرضى صح

السلام

السلام انك لن تتقرب الي بشي احب الي من الرضى بقضاي ولقوله صلى الله عليه وسلم
من رضي بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقد عرف الرازي
رحمه الله تعالى بانه سرور القلب بمر القضا وقيل هو ان يتحقق العبد ان الله تعالى
عدل في قضايه غير متهم في حكمه وسيل ابو عثمان عن قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اسالك الرضى بعد القضا فقال انما قال ذلك لان الرضى قبل القضا عزم
على الرضى واما الرضا بعد القضا فهو الرضى به حقيقة وكتب عمر رضي الله
عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه اما بعد فان الخير كله في الرضى فان
استطعت ان ترضى والا فاصبر ولما كان الصبر هو تجرع المرارة من غير تعبيس
كما قاله الجنيد من اعلى المقامات لنسبته اليه تعالى امر به فقال واصبر لقوله
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولقوله صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد
خيرا من الصبر وفي لفظ ما اعطي احد شيا افضل من الصبر وفي الحديث ايضا الصبر
نصف الايمان وفيه ايضا الايمان الصبر والسماحة وفيه ايضا انتظار الفرج بالصبر
عبادة وقال علي كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وهو
لغة الحبس وشرعا حبس النفس عن العبادات ومشاقها والمصايب وحرارتها وعن
المنهيات والشهوات ولذاتها وقيل الصبر ترك الشكوى من الم البلوى وقيل هو استقبال
البلا بالرضى والثبات وعلامته ان يكون بين اصحابه لا يفرق بينه وبينهم وهو
في غمرات البلا وبهذا فسر قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا وقيل علامته ان تستوي
عنده النعمة والنقمة وللعارفين فيه عبارات مالها الى معنى واحد وهو الثبات
على الكتاب والسنة والوقوف مع البلا بحسن الادب وان لا يعترض على المقدور فلا
ينافيه اظهار البلا الا على وجه الشكوى كقوله تعالى حكاية عن ايوب عليه السلام
اني مسني الضر مع قوله انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب مهما ابتليت اي
نزل بك شي من البلايا والرزايا والاسقام قال تعالى ولنبلونكم بشي من الخوف
والجوع الى قوله تعالى وبشر الصابرين اي بشرهم بالثواب على الصبر وثوابه
غير مقدر لكنه لا يكون الا بالصبر عند الصدمة الاولى لما عند البخاري من حديث
انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الصبر عند الصدمة

الاولى اي الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه انما هو عند هجوم المصيبة
وحرارتها فانه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر واما اذا بردت حرارة
المصيبة فكل احد يصبر اذ ذاك والصبر صبران صبر عند معصية الله تعالى فهذا
مجاهد وصبر على طاعة الله او رشد الرضى بقضايه وعلامة الرضى سكون القلب
بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات وحقيقة الصبر الواجب هو حبس النفس
والجوارح عن الجزع والضجر الموجبين سوء الادب على الله تعالى عند التالم بصدمة
المصيبات او التقصير عما يجب فرارا وتبرما من ثقل المشاق والمكروهات وميلا الى
جانب الراحات والشهوات ومن كرمه سبحانه وفضله انه لم يعتد بالنعمة والبلية
في الدنيا اجرا وخيرا لانها عرضة للفنا والزوال بل ادخر الاجر عنده حتى يعطيه
يوم القيامة لمن شا بفضله ووفا بوعده الذي لا يتخلف قال تعالى وانما توفون اجوركم
يوم القيامة تنل اي تعطى رضى الله الاله وهو انعامه سبحانه على عبده باصلاح
احواله وتقريبه الى حضرته والاله الذي يفزع اليه في النوايب ليكشفها والا اي وان
لم ترضى وتصبر عند البلية خبت اي خسرت ولم تظفر بمطلوب خبت لم تنل رضاه
سبحانه في الحديث ان اهل العافية يودون يوم القيامة ان جلودهم قرضت بالمقاريض
لما يشاهدونه من ثواب اهل البلايا وفيه ايضا ان الله يتعهد عبده المومن بالبلايا
كما يتعهد الوالد ولده بالغذا وقيل في المرض والاوجاع فوايد منها التطهير من الذنب
وتذكر الاخرة والمنع من المعاصي والاخلاص في الدعا وروى ابن الجوزي رحمه
الله تعالى باسناده الى علي ابن سعيد قال مررت بعبادان بمكفوف مجذوم واذا الزنبور
يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما
اغلق من عينيه فبينا اردد الحمد اذ صرع فبينا هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو
مقعد فقلت مكفوف فيصرع مقعد مجذوم فما اتممت الكلام حتى صاح يا متكلف
ما دخولك فيما بيني وبين ربي عز وجل دعه يعمل بي ما شا ثم قال وعزتك و
جلالك لو قطعتني اربا اربا وصببت علي البلايا صبا صبا ما ازددت لك الا حبا ولما
كان الاخلاص سببا للرضى والخلاص من الاهوال يوم القيامة اشار الى ذكره بقوله
واخلص لله في قول وفي عمل لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين بلغ مقابله

له

له الدين حنفا ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة ولقوله صلى الله عليه وسلم
من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له واقام الصلاة واتى الزكاة
فارقها والله عنه راض رواه ابن ماجه وفي الحديث طوبى للمخلصين اولئك
مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلما رواه البيهقي من حديث ثوبان رضي الله عنه
والاخلاص قصد وجه الله تعالى بالعبادة قولية كانت او فعلية ظاهرة كانت كافعال
الجوارح او خفية كالعبادة الحاصلة بالقلب وانما سمي اخلاصا لانه خلوص من الافات
فلما خلص من ان ينازع عمله ريا او سمعة او اعجاب او حب محمدة او كراهة مذمة
خلص العمل وكان عامله مخلصا اخلصه لنفسه فكان بذلك مخلصا قال الله تعالى
انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار الاية وهو واجب عيني على كل مكلف في جميع اعمال
البر والطاعات والقرب لما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ان لا تكون
اجسامكم ولا صوركم سببا في ايصال الرحمة اليكم وانما يكون السبب في ذلك القلوب وفي الحديث
كل الناس هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى
الا المخلصون والمخلصون كلهم على خطر عظيم وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال جبريل عليه السلام عن الاخلاص فقال حتى اسال العليم فذهب ثم رجع فقال
سالت العليم فقال هو سر من سري اودعه في قلب من اشا من عبادي وفي
لفظ اودعه قلب من احببته من عبادي لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل
ودرجات الاخلاص ثلاث كما قال الانصاري رحمه الله عليا ووسطى ودنيا فالعليا
ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته والوسطى ان
يعمل لثواب الاخرة والدنيا ان يعمل للاكرام في الدنيا والسلامة من افاتها وما عدا
هذه الثلاثة فهو من الريا وان تفاوتت افراده وكما ان التوحيد يبطله ادنى
الشرك كذلك الاخلاص يبطله ادنى الريا قال تعالى انا اغنى الشركا عن الشرك من
اشرك في عمله غيري فهو له كله ومن احسن العون على الاخلاص التقوى و
المعرفة وطلب اليقين ولزوم المراقبة والحيا من الله عز وجل ان يراك تتزين
لغيره بعمل الهمك اليه وعلمك اياه وقواك عليه حين دخلت فيه ثم حثه على

على الزهد بقوله وكن ايها الطالب للنجاة باخراك اي بالعمل لها لانها محل الجزا
على الاعمال الحسنة والقبيحة والمراد الجنة وسميت اخرة لتاخرها عن دنياك اي
عن الانتفاع والاستمتاع بلذاتها وسميت الدنيا لتقدمها الاخرة او لدنوها او لدناءتها
في شغل اي مشتغلا بالاخرة بدل الدنيا لقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
وللدار الاخرة خير يعني الجنة لبقايها وزوال الدنيا ولحديث حب الدنيا كل خطيئة
ولقوله صلى الله عليه وسلم لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقروا ان شئتم
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور رواه
ابو هريرة رضي الله عنه ولانه سبحانه يعطي على نية الاخرة ما شا من امر الدنيا
ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا ولقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له
في حرثه الاية قال قتادة يقول الله تعالى من عمل لاخرته زدناه في عمله و
اعطيناه من الدنيا ما كتبناه له ومن اثر دنياه على اخرته لم نجعل له نصيبا في
الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمناه له ولان الدنيا اذا ادركت
الهارب منها جرحته وان ادركها الطالب لها قتلته ومثل الدنيا والاخرة كمثل ضرتين
ان ارضيت احدهما اسخطت الاخرى او كمثل المشرق والمغرب ان استقبلت احدهما استدبرت
الاخر وبقدر سلوك احدهما يكون الاعراض عن الاخر وهذا كله مما يزهد في ما
سوى الاخرة وقد عرفوا الزهد لغة بانه ترك الميل الى الشي ضد الرغبة فيه وفي
اصطلاح اهل الحقيقة هو بغض الدنيا والاعراض عنها وقيل هو ترك كل ما سواه
تعالى وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه الزهد على ثلاثة اقسام زهد العوام
وهو ترك الحرام وزهد الخواص وهو ترك ما زاد على قدر الضرورة من الحلال ايضا
وزهد العارفين وهو ترك كل شي سوى الله تعالى وفي الحديث من زهد الدنيا هانت
عليه المصايب وجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل
يحبني الله تعالى والى الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي
الناس يحبك الناس ولا شك ان الزهد علامة كمال العقل والهداية لان العاقل يترك
المنفعة العاجلة خوفا من المضرة الاجلة وينظر في عواقب الامور بخلاف الجاهل
ولهذا قال بعضهم ما خرج الزاهدون من الدنيا الى الله بل الى انفسهم لانهم تركوا

النعيم

النعيم الفاني للنعيم الباقي وهذا في زهد العوام والخواص لا في زهد خواص الخواص
لانهم زهدوا في الاخرة ايضا حيث كان زهدهم ترك كل ما سواه تعالى فانت تاركها
اي الدنيا والاشتغال بها اذا كان صادقا في زهده تاتيك الدنيا راغمة اي ذليلة
لقوله صلى الله عليه وسلم من كان نيته الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه
في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه امره
وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له وفي حديث عمران ابن
حصين رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه
الله كل مونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وعند البخاري حديث لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا والصحيح ما احكمته السنة عند فقهاء الظاهر ان العمل بالاسباب
الدنيوية من الحرث والتجارة في الاسواق والعمارة للاموال وغرس الشجر و
التحرز بالحصون ونحوها لا ينافي التوكل فقد فعل ذلك الصحابة رضي الله عنهم
والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم وقد ظاهر صلى الله عليه وسلم يوم احد
بين درعين وادخر قوت سنة لاهله وقال لصاحب البعير اعقله وتوكل نعم
اختلف في افضلية الاكتساب والتوكل وايهما ارجح فرجح كل جماعة والراجح اختلا نهما
باختلاف احوال الناس فمن يكون في توكله لا يتسخط عند ضيق معيشته
ولا تتشوف نفسه عند ضنك حالته ولا يتطلع لسوال احد من الخلق ولا يتعلق
به نفقة لازمة لمن لا يرضى بحاله فالتوكل في حقه ارجح لما فيه من
حيازة منصب الزهد في الدنيا والصبر على شدتها ومجاهدة النفس على ترك
شهوتها ولذتها ومن يكون في توكله على خلاف ذلك فالاكتساب في حقه ارجح
حذرا من التسخط وعدم الصبر واستشراف النفس بل ربما وجب في حقه التكسب
وانت ايها المنهمك على جمع الدنيا منها اي من الدنيا لغير الرزق الذي ساقه
الله اليك فانتفعت به في اقامة البنية ماكلا وشربا وملبسا مما ضمن سبحانه
وصوله الى كل حي بفضله لم تصل فطلب الزايد على المضمون ليس فيه الا التعب
والشغل بطلبه عن كل خير وشدة العذاب وطول الحساب في الاخرة فان يكن

ما وصل اليك من حلال وهو ما نص الله او رسوله او اجمع المسلمون على اباحة
تناوله وانتفت القياس الجلي باحته بعينه او جنسه فان لم يتبين انه حرام
وقولنا اباحة تناوله اي لغير ضرورة ليخرج اساغة الغصة بالخمر واباحة الميتة
للمضطر كمال الغير عند الحاجة اليه واشار بمن التبعيضية الى انه يكون من الحرام
والمكروه ايضا كما هو مذهب اهل الحق خلافا للمعتزلة حيث منعوا كون الحرام رزقا
بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين الباطلة قالوا لو كان الحرام رزقا لما جاز
دفع المكلف عنه ولا ذمه وعقابه عليه واجيب بالمنع فانه انما يصح ذلك لو لم يكن متناول
الحرام مرتكبا للمنهي عنه مكتسبا للقبيح من الفعل سيما في مباشرة الاسباب بالاختيار
نلته اي اعطيته ووصل اليك بكسب او صنعة او تجارة او اقراء قران وتعليمه
وفي الحديث احل ما اكل الرجل من كسب يمينه او من كسب يده شك الزهري
رواه ابو هريرة رضي الله عنه وقد اكتسب ابو بكر رضي الله عنه والصحابة وخلائق
من التابعين وغيرهم وكان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كل دلو بتمرة فقد
هي هنا للتحقيق كهي في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه اصبحت هي في الاصل
لاتصاف المخبر عنه بمدلول الخبر في الصباح وهو اول النهار وتجي بمعنى صار
وعليه فالمعنى قد صرت من ملبس هو في الاصل اسم لما يلبس مما يواري البشرة
ويستر العورة من الثياب واضافته الى التوفيق ينافيه وتقدم حقيقته وحلل
جمع حلة بالضم ولا تكون الا ثوبين من جنس واحد لانها تحل على البدن للزينة
يعني ان الموفق هو من تجرد للعبادة مع تيسير الله تعالى له معيشته من وجه
حلال لا حجاب معه ولا عقوبة ولا تباعة فان القلب يزيد نوره بالكسب الطيب
ويكثر توفيقه ويقوى بفضل الله تعالى على ما تجرد له من امر العبادة ونيل
مراتب السعادة لا تخل وقتك بحيث تهمله حتى ينقضي والوقت قطعة من
الزمان وجزء من اربعة وعشرين جزءا من الليل والنهار ان وفقت اي وفقك
الله سبحانه للتجرد عن الدنيا واسبابها وتيسر لك من الكسب الطيب ما تستعين
به على الطاعة من عمل لاحتمال هجوم الموت القريب فانه يقطع كل عمل
وقربة وفي الحديث من اشتاق الى الجنة سارع الى الخير وقال صلى الله عليه وسلم

لرجل

وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك فالشباب ضد الهرم
والصحة خلاف السقم وهو المرض والغنا بالقصر اليسار ضد الفقر والفقير من له
بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له والفراغ ضد الشغل والحياة ضد الموت
على الدوام والاستمرار من دام اذا ثبت لما روي احب العبادة الى الله تعالى ادومها
على رفق ضد العنف لحديث عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله يحب الرفق في الامر كله وقد كان صلى الله عليه وسلم رفيقا
لينا سهلا وقال عليه السلام من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من
خير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام ايضا اذا احب الله عبدا اعطاه الرفق
بلا ملل من مللت الشي بالكسر اذا سئمته يعني ان المواظبة على العبادة وان
طلبت على الدوام فلتكن على وجه لا يؤدي الى ملل النفس وذهاب لذتها في
العبادة وانشراحها للعمل ولينظر من العبادة احبها اليه والذها في قلبه فيواظب
عليه ولا يترك مواصلة الطاعة باي وجه امكنه ولتكثر الذكر للمولى سبحانه
لقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا امر سبحانه عباده ان
يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به عليهم وجعل ذلك دون
حد لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن ربه عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وفي حديث معاذ
رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله
تعالى قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى وفي حديث ابي سعيد رضي
الله عنه قيل يا رسول الله اي العبادة افضل درجة عند الله يوم القيمة
قال الذاكرون الله كثيرا قال مجاهد لا يكون ذاكرا لله عز وجل كثيرا حتى يذكره
قائما وجالسا ومضطجعا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر احد في
ترك ذكر الله الا من غلب على عقله والذكر يستحب بالقلب واللسان لقوله تعالى
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة واخفاؤه افضل لقوله تعالى ودون الجهر
من القول ويوافقه حديث خير الذكر الخفي والذكر افضل من التسبيح لقوله

الطلب او صح

صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله
وذكر القلب هو التفكر في عظمته سبحانه عند سماع او ذكره عند امره ونهيه
اي استحضار عظمته سبحانه عند سماع ما يدل على الترك كان في كلامه
تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بالعزم المصمم على الامتثال
والاول افضل من الثاني والثاني افضل من الذكر اللساني فقط يعني الخالي
عن الذكرين القلبيين وصل وسلم على خير الورى اي افضل الخليقة مطلقا
المصطفى اي الذي اصطفاه الله سبحانه واختاره وفضله على ساير خلقه
انسا وملكا وجنا [illegible] اي خيار وخالص الرسل عليهم الصلاة والسلام
لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من اسماعيل واصطفى من
بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
فانا خيار من خيار من خيار وانما امر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
مع الذكر لانه الوسيلة العظمى في نيل الرضى وكل خير دنيوي واخروي ولانه
سبحانه رفع له صلى الله عليه وسلم ذكره فلا يذكر الا ويذكر معه صلى الله عليه وسلم
ولان الصلاة عليه زاده الله شرفا وكرما مقبولة غير مردودة وللحديث
ان اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة ان ترد قبل الموت المفوت
للطاعات بعد ادا فرض وقع فيه خللا ولا فضل خلاف النقص فاضافته الى
نافلة المراد منها الاعمال الصالحة من اضافة الصفة الى موصوفها اي نافلة
كاملة كثيرة لان الموت لعظم هوله يحتاج الى الاكثار من الاعمال الصالحة التي
هي النوافل والتطوعات بعد ادا الفرايض ومنها صلاة الضحى ومنها قراءة القران
بل من اعظم ما يتقرب به قراءة القران هذا في العبادات الظاهرة وكذا الباطنة
كالزهد والورع والتوكل وغيرها والتزود بمجرد الفرايض قد لا يكفي في بعيد
السفر لاحتمال ان يكون عرض لها نقص فتحتاج الى ما يكملها من النوافل ان كان
ذلك الخلل حصل عن سهو او كان لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك واما
المتعمد تركها او ترك شي منها ولم يات به بعد ذكره عامدا واشتغل بالتطوع
فانه لا تكمل فريضته من ذلك التطوع كما نبه عليه القرطبي رحمه تعالى و

روى

وروي ان كعب الاحبار قال لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه لو لقيت الله
بعمل سبعين نبيا لخشيت ان لا تنجو من هول ذلك اليوم فالمطلوب ان تزيد على
الفرايض ما استطعت ان ثبتت بعد الشمس اقبل صلاة الضحى ولو طولتها وجعلتها
ثنتي عشرة ركعة كان احسنا فان اقلها ركعتان وكل ما زاد كان حسنات في الميزان
وكالصلاة ساعة الغفلة بين المغرب والعشا وبين الظهر والعصر ورواتب الفرايض
ما قبل الظهر وما بعدها وما قبل العصر ما بعد المغرب وما قبل العشا وما
بعدها والوتر واقله ركعة وما اكثر كان حسنات في الميزان وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه من صلى بعد المغرب ستا ولم يتكلم فيهن بسو عدلن
عبادة ثنتي عشرة سنة وفي لفظ من صلى بعد المغرب ست ركعات
غفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وروى الترمذي وغيره من
حافظ على اربع ركعات قبل الظهر واربع بعدها حرمه الله على النار و
روى ابن حبان وغيره رحم الله امرا صلى قبل العصر اربعا ولا تنس صلاتك
بالليل ولو ركعتين وحديث ركعتان في الليل المظلم خير من الف ركعة بالنهار
وكذلك تنظر في امر الصيام كالخميس والاثنين والايام الشريفة كتاسوعا وعاشورا
ويوم عرفة ويوم نصف شعبان وعشر ذي الحجة وعشر المحرم وثلاثة ايام
من كل شهر وغير ذلك فان لم الاهوال التي ينفيها بكثرة النوافل
بعد الفرايض بالنوافل حتى يحبك الله تعالى فتنجو منها فاكفف نفسك و
جوارحك عن الشر خلاف الخير وهو القبيح وما يكون متعلق الذم في العاجل
والعقاب في الاجل اي فامنع نفسك عن كل ما نهى الله تعالى عنه لان ذلك يكون
صدقة منك على نفسك وجوارحك وغنيمة عظمى ولا يكون ذلك الا للمومنين
لا تجنح اي لا تمل الى الزلل جمع زلة وهي الخطيئة فذاك يعني الاقتصار على الفرض
وعدم الثنا فالتمع الكف عن الشر يكفي في النجاة ودخول الجنة على ما يشير اليه
صلى الله عليه وسلم النعمان رضي الله عنه وقد ساله فقال ارايت اذا صليت
المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك شيا
ادخل الجنة اي من غير عقاب قال نعم تدخلها وفيه جواز ترك التطوعات

واسا وان كان مما يسقط المروءة وترد الشهادة لاجله خصوصا مع المداومة
عليه لما فيه من الاشعار بالتهاون بالدين الا ان قصد بتركها الاستخفاف بها
والرغبة عنها فانه يكون كافرا ولكن من يطيق اي يستطيع له اي الكف عن
الشر الا بتوفيق الله تعالى وحفظه حتى يجانب اي يباعد ويجتنب سوء القول
اي القول السيء الا ان يكون مظلوما اما اذا كان مظلوما فله ان ينتصر مما ظلمه
لكن على الاقتصاد ان كان مؤمنا كما قال الجبين فاما ان يقابل القذف بالقذف ونحوه
فلا وان كان كافرا فارسل لسانك وادع بما شيت من الهلكة وكل كما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم عليك بعتبة
ابن ربيعة وفلان وفلان وكذا ان كان مجاهرا بالظلم ولم يكن عرض محترم
ولا بدن محترم ولا مال محترم وعن الحسن في قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الاية المباح من كيفية الجهر بالسوء ان يظلم الرجل فلا يدع عليه
ولكن يقول اعني عليه اللهم استخرج حقي اللهم حل بيني وبين من يريد
ظلمي فهذا دعا في المدافعة وهي اقل منازل السوء وقال ابن عباس رضي الله عنهما
وغيره المباح لمن ظلم ان يدعوا على من ظلمه وان صبر فهو خير له وحتى
يجانب سوء العمل اي العمل السيء فان لكل عمل ثوابا وعليه عقابا اما في
العاجل او الاجل وكل امر يجزى بما عمل قيل لعايشة رضي الله تعالى عنها
متى يكون الرجل مسيئا قالت متى ظن انه محسن وفي الحديث ان الله تعالى
اذا خلق العبد للخير استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال
اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للشر استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار امرتك هنا الذي
امرت به من مخالفة النفس والتحذير من غوايلها ونفسي غير عاملة اي
ليس لها عمل ولم تعمل بكل ما اي الذي قلت وامرت به وناهيك بهذا ثلة
حيا فقد قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وفي حديث ابي
امامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يامرون
الناس بالبر وينسون انفسهم يجرون ويتعصبون في نار جهنم فيقال لهم ما انتم

فيقولون نحن الذين كنا نامر الناس بالخير وننسى انفسنا رواه مسلم في صحيحه
بمعناه عن اسامة ابن زيد رضي الله عنه يؤتى يوم القيامة بالرجل فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه
اهل النار فيقولون ما لك الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت
امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه وفي الحديث اشد الناس عذابا
يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وهذا من المولف رحمه الله تعالى على
سبيل التواضع وهضم النفس وترك تزكيتها والا فجلالة منصبه لا تحتاج الى التعريف
ليت القول الذي صدر مني غير مطابق لم اقل اي لم اذكره حيث لم يكن
مطابقا للواقع لما يتسبب عنه من عدم القبول وفي حديث انس رضي الله عنه
تعلموا ما شيتم ان تعلموا فان الله تعالى لن يوجركم على العلم حتى تعملوا به
وعن علي رضي الله عنه قال يا حملة العلم اعملوا به فان العالم من علم ثم
عمل ووافق علمه عمله وعن الحسن اعتبروا الناس باعمالهم ودعوا اقوالهم
فان الله تعالى لم يدع قولا الا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه او يكذبه فاذا سمعت
قولا حسنا فرويدا بصاحبه فان وافق قوله عمله فنعم ونعمت عين [illegible]
اي نفسي على مخالفة قولها لعملها الا استحق التوبيخ فقد قال ابن مسعود رضي
الله كل الناس احسن القول فمن وافق فعله قوله اصاب حظه ومن خالف
وبخ نفسه وقال قيس بن رافع اجتمع ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ابن عباس رضي الله عنهما فتذاكروا ورققوا وفيه ابن حارث
ساكت لا يتكلم فقالوا له الا تتكلم فقال تكلمتم وكفيتم اسمع قول خايف وانظر فعل
امن ومن لي اي سيدي يرحمها قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وفي
الحديث ان رحمتي تغلب غضبي اي لسعتها وشمولها الخلق والمعنى الوم نفسي على
سبيل الندم والتوبة والبغض لما صدر مني عسى ان يرحمني مولاي اي ينعم
علي بالمغفرة والنجاة مما اخاف لانه وعد بذلك التايبين وتفضل عليهم
بالرضى والجنة قال تعالى ان الله يحب التوابين ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فمن يرحم الله اي ينعم على عباده

اوهو كناية عن ارادة الخير لمن اراده به لعموم رحمته افضالا اي لمحض
الفضل والعطا لا عن وجوب ولا عن ايجاب بلا عمل زايد على الايمان ففي
حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان ربي اعطاني سبعين الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب فقال
عمر رضي الله عنه يا رسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني
مع كل رجل سبعين الفا فقال عمر رضي الله عنه فهلا استزدته قال قد استزدته
فاعطاني هكذا وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثى قال هشام هذا من
الله لا يدرى ما عدده ثم يحتمل ان يكون المراد بلا عمل وقع منهم ويحتمل ان يكون
المراد بلا عمل متقبل يبقى لصاحبه فان العمل وان وقع وكان متقبلا قد يذهب
في التبعات ويوخذ للمظلوم من حسنات الظالم فاذا نفذت ويبقى له شيء اخذ
من سيات المظلوم وطرح على الظالم كما تسمع حديثه انفا فهو سبحانه الموفق
لمن اراد سعادته وخالقه للاعمال الصالحة يخلقها اي يخلق القدرة عليها لانه
سبحانه هو المنفرد بخلق الاعمال وغيرها خلافا للمعتزلة وموافقيهم كما تقدم
ذكره لمحله قال شيخنا رحمه الله تعالى وفي استعمال الموفق فيه تعالى نظر
على طريق الجمهور الذين يشترطون التوقيف اذ لا توقيف هنا الا في الفعل وفي
المصدر وقد يقال بالاكتفا بهما لمن يشا اي يريد حتى يموت عليها من غير ان
يكون للاعمال اثر في نجاة او هلاك بل هو سبحانه المتفضل بالنجاة فالواجب
على المومن ان يطمع في نيل النجاة لعدم وجود علامة الناس التي هي الكفر
والاشراك تحسينا للظن بالمولى سبحانه وفي حديث عمرو بن الحمق رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عسله قالوا
يا رسول الله وما عسله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه وفي لفظ قيل
وما عسله قال يفتح له عملا صالحا بين يدي موته حتى يرضى عنه من
حوله وقوله عسله بمهملتين روي بالتخفيف والتثقيل والعسل طيب الثنا
اي طيب ثناه في الناس عن علة التخصيص اي تخصيص من شا من عباده
بما شاء من رحمته لا تسل قال تعالى لا يسال عما يفعل اي لا يساله الخلق

عن

عن قضائه وخلقه وهو يسال الخلق عن عملهم لانهم عبيده قال ابن جريج
وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له يا امير المومنين ايحب ربنا ان يعصى
قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني الهدى ومنحني الردى احسن الي ام
اسا قال ان منعك حقك فقد اسا وان منعك فضله فهو فضله يوتيه من
يشا ثم تلا لا يسال عما يفعل وهم يسالون قد تم اي تكمل تاجزا اي النظم
والجمع الذي رمت اي قصدته من نظم فصول من ذا الباب اي في قواعد
التوحيد فقد قال رحمه الله تعالى في اول هذا النظم فهاك نظم فصول من
قواعده ويحتمل ان يكون المراد قد تم ما قصدته من جمع كلمات لحمد ولا تتم
في هذا الباب الذي يختم به النظم من غرض بيان ما رمت والغرض ما لاجله
يكون الفعل فاقبل ايها المخاطب المحتاج لتعلم عقايده واصول دينه وتعليمها
للغير والمراد اقبله بالحفظ والتفهيم لما فيه من الفوايد المحتاج اليها وادع
الله لي جزاء على ما انتفعت به او نفعت به الغير ولا شك ان الناظم رحمه الله
تعالى ارشد بنظمه هذا الى عقايد الايمان وما يقع به النجاة من الخلود في
النيران واقل المكافاة على هذه النعمة الدعا له بالخير المراد منه قبول النظم
والاثابة اذ الخير ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الاجل وابتهل
اي تضرع اليه سبحانه في الاجابة عملا بقوله تعالى والذين جاوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان واشارة الى قوله عليه
السلام من اولى اليكم معروفا فكافوه فان لم تجدوا فادعوا له وقوله صلى
الله عليه وسلم اذا قال الرجل لاخيه جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثنا
ولتصلحن المحل الذي تلقيه اي تجده في هذا النظم ذا خلل اي نقص بالاعتذار
عنه والتنبيه على ذلك بالكتاب في حاشية الكتاب لا بغيرها والتماس تاويل حسن
لا بمحو الخلل واثبات غيره مكانه لانه غير جائز لما يلزم عليه من عدم
الوثوق في كل موضع بانه كلام المولف ولاحتمال ان يكون المطلع هو الماحي
والصواب هو الثابت وفوق كل ذي علم عليم هذا في غير القران والحديث
اما القران فالظاهر اصلاح ما وجد منه غلطا بالكتابة للامن من المفسدة

لانه محفوظ واما الحديث فجوز بعضهم اصلاحه بتغيير ما في الاصل والكتابة بدله
والصواب كما قاله النووي رحمه الله تعالى ابقاؤه والتنبيه عليه في الحاشية والله
تعالى اعلم وعلق بقوله ولتصلحن [illegible] اي بقصد الخير وهو الاعانة على
اظهار الحق وتكميله على وجه يتم النفع به والنية لغة القصد اي عزم القلب
وشرعا قصده المقترن بالفعل ومحلها القلب فعندنا اذا نوى العبادة بقلبه
اجزات من غير نطق باللسان وهو الافضل اذ اللسان ليس محلا للنية ودليل
وجوبها قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله صلى الله
عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اي صحتها كما عند الامامين مالك والشافعي رضي
الله عنهما ومطلق النية في كلامه صلى الله عليه وسلم وكلام السلف وغيرهم
مراد بها غالبا تمييز المقصود بالعمل وهو الله وحده او غيره او مع غيره
فهو حسن بمعنى الارادة والاصلاح للخلل الذي وجدته فلا تقصد باصلاحه
نسبة الغلط للغير ولا تقصد به اظهار العلو والتطاول في الفهم والفطنة فان
ذلك لا ينفع الله تعالى به وقل ان يوفق صاحب هذا القصد للاطلاع على
الحقايق لانه متكبر طالب رياسة ممنوع عن كل خير وعند اسم لمكان حاضر
نحو فلما راه مستقرا عنده او قريب نحو ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى وربما كان القرب والحضور معنويين نحو قال الذي عنده علم من الكتاب
حسن مليك مقتدر ختمي اي بلوغي ووصولي اخر ما اردت نظمه ادعو الله
اي اسال الله ان ينفع به وان يتقبله ويثيبني مرتجيا قبول دعائي من الرجي بمعنى
الترجي وهو توقع محبوب عن قرب او من الرجا بمعنى الاصل كما هو معناه
الوضعي ضد الخوف وهو حالة تجذب القلب الى الله تعالى والدار الاخرة
ويطيب لها السير وقيل هو النظر الى سعة رحمته سبحانه وعلامته في العبد
اذا احاط به الاحسان ان يلهم الشكر راجيا تمام النعمة من الله تعالى
في الدنيا وتمام عفوه عنه في الاخرة وانما ترجى قبول دعايه عند الختم
لانه دعا وقع بعد تمام عبادة شريفة يرجى منها رضى الرحمن عز وجل
ومن رضي عنه اجابه الى كل ما يطلب منه ولانه سبحانه مدح اهل

الرجا

الرجا بقوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الاخر وفي الصحيح يقول الله عز وجل ابن ادم ما دعوتني
ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي ولانه سبحانه يحب من عباده
ان يوملوه ويرجوه ويسالوه من فضله لانه سبحانه اجود من سيل
واوسع من اعطى والجواد يجب ان يرجى ويسال ففي الحديث من لم يسال
الله يغضب عليه والسايل راج وطالب فمن لم يرجه سبحانه يغضب عليه
عباد مولاي من عوايد كرمه وجوده بالايمان متعلق بقوله ختمي قدم عليه
للاختصاص ومراده الدعا بثبات الايمان وقوة اليقين وملازمة الطاعات
وخصوصا عند ورود ملك الموت عليه السلام ومعاينة الشدايد فان الانسان
اذا لم يكن ثابتا يخاف على صاحبه سوء الخاتمة وانما دعا بعد الفراغ من نظمه
لتكون خاتمته من جنس مبدايه وهو الثنا على الله تعالى والصلاة والسلام
على اشرف الخلق الوسيلة العظمى لان الدعا ثنا على الله تعالى ووصف له بكمال
الالوهية والقدرة والغنا المطلق وافتقار الكل اليه وذلك مطلوب في الاواخر
كالاوايل مع ما فيه من التبري من الحول وعدم الالتفات الى العمل وان كان
شريفا في نفس الامر ولان الدعا كما في الحديث مخ العبادة اي خالصها فينبغي ان لا
تخلوا عنه العبادة وفي الحديث ما كان الله ليفتح على عبد باب الدعا ويغلق
عنه باب الاجابة وعند الطبراني من اعطي الدعا اعطي الاجابة لان الله
تعالى يقول ادعوني استجب لكم فاغفر اي استر بفضلك يا الهي وسيدي
ما اسلفت اي ما قدمت من زللي جمع زلة وهي الخطيئة والذنب فلا تفضحني به يوم
القيامة فانك المامول من احسانك وانما سال المغفرة لما اسلفه لقوله تعالى و
ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فيتجاوز عن المشركين اذا امنوا وعن
المذنبين اذا تابوا وهي ارجا اية في كتاب الله عز وجل على ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما وعن سعيد ابن المسيب لما نزلت وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم قال صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما
هنا احد عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل احد وتب علي

بلغ

اي وفقني للتوبة والقدرة عليها واسناد التوبة اليه سبحانه المراد منه رجوع
النعم والالطاف الى العباد وقبول اعمالهم فاني الظلم هو لغة وضع الشي في
غير محله وحقيقته التصرف في حق الغير بغير حق او مجاوزة الحد من
قبلي اي من جهتي اكتسابه والتسبب فيه اعترافا واستحقاقا كقوله تعالى حكاية
عن يونس عليه السلام اني كنت من الظالمين وقول ادم وحوى عليهما السلام
ربنا ظلمنا انفسنا والظلم قد يقع في الانساب والاعراض والعقول والاموال وفي
بعضها واعلاه الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو المراد بالظلم في اكثر الايات
قال تعالى والكافرون هم الظالمون ثم يليه المعاصي على اختلاف انواعها وفي
حديث اسما رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كلا قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه
ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشا والمراد به التائب ومن عمل صغيرة
ولم تكن له كبيرة بدليل قوله تعالى وانيبوا الى ربكم فالتائب مغفور له ذنوبه
جميعا بدليل قوله واني لغفار لمن تاب لكن وقع عند البخاري ~~بدليل قوله تعالى~~
حديث من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا
درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من
سيئات اخيه فطرحت عليه واقبل اي استجب دعا عبد كسير اي شديد تألم
القلب فهو مضطر فقير الى الاجابة وقد قال داود عليه السلام الهي اذا طلبتك اين
اجدك يا الهي فقال عند المنكسرة قلوبهم من اجلي وقد وعد سبحانه بالاجابة
كما امر بالدعا فقال تعالى ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداعي اذا دعاني
اي ان شئت ردا لقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا وهو لا يقتضي
الاجابة مطلقا لكل داع على التفصيل فقد قال تعالى في الاية الاخرى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وكل مصر على كبيرة عالما كان او جاهلا
فهو من المعتدين واذا كان لا يحبهم فكيف يستجيب لهم وقال قوم ان الله سبحانه يجيب
كل الدعا فاما ان تظهر الاجابة في الدنيا واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له

في

في الاخرة وفي حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه
الله بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخر له دعوته واما
ان يكف عنه من السو مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكثر وهو سبحانه وان وعد
الاجابة لكنه اخبر ان الاعتدا ينفيها كما بينه حديث ابي سعيد رضي الله عنه
زاد مسلم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد
دعوت فلم يستجب لي اي لان ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط ويمنع
من الاجابة اكل الحرام وما كان في معناه كما ذكره القرطبي رحمه الله تعالى يا
مريك بعضه ذا وجل قال شيخنا رحمه الله تعالى الخوف والوجل والرهبة
متقاربة المعاني فالاول توقع على مجاري الانفاس واضطراب من ذكر الخوف
والخشية اخص منه اذ هي خوف مقرون بمعرفة ومن ثم قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلما والوجل خفقان القلب عند ذكر من تخاف سطوته
والهيبة خوف مقترن بتعظيم واجلال واكثر ما تكون مع المحبة والمعرفة والاجلال
تعظيم مقترن بالمحبة فالخوف للعامة والخشية للعلما العارفين والهيبة للمحبين
والاجلال للمقربين من اي لاجل قلة الزاد لسفر الاخرة قال تعالى وتزودوا
اي طعاما كم من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى اي اتقا المنهيات في
حل بكسر الحا اي اقامة ومرتحل مصدر ميمي بمعنى ارتحال وعدم اقامة
وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله اي العمل احب الى الله تعالى قال الحال
المرتحل قيل وما ذاك يا رسول الله قال الخاتم المفتتح هو الذي يختم القران
تلاوته ثم يفتتح التلاوة من اوله تشبيها بالمسافر يبلغ المنزل يحل فيه ثم
يفتتح سيره اي يبتديه وهب اي اعط يا رب والموهبة العطية لقاربه اي هذا
الناظم عفوا عن ذنبه ومن اسمايه تعالى العفو من العفو وهو التجاوز عن
الذنب وترك العقاب عليه واصله المحو والطمس ومغفرة وهي الباس الله
تعالى العفو للمذنبين واصل الغفر التغطية ومن اسمايه تعالى الغفار والغفور
ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم وفي

على
الفرق بين الخوف والوجل
القلب صح
العقوبة صح

ل

حديث انس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
سبحانه يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا
ابالي اي سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الاخرة وانت اي هذا النظم
البديع مني فاحب تصدقك به فذا اي طلب العفو والمغفرة والقبول سولي اي مسؤولي
ومطلوبي وذا املي لاغير والامل رجا ما تحبه النفس كطول عمر وزيادة غنا
واكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله والطمع لا يكون الا فيما اقرب حصوله والرجا
بين الامل والطمع فان الراجي قد يخاف انه لا يحصل له ما مامولة ولهذا
يستعمل بمعنى الخوف فاذا قوى الخوف استعمل استعمال الامل والا استعمل بمعنى
الطمع وانما قصر امله على ما طلب من العفو والمغفرة والقبول لقوله
صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل فاما
اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة وفي لفظ فاتباع
الهوى يصرف قلوبكم عن الحق وطول الامل يصرف هممكم الى الدنيا وانه يورث
الكسل عن الطاعة والتسويف فهو مذموم الا من العلما بجاه اي بقدر و
منزلة خير اي افضل الورى اي الخلق ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم خير
الخلق وخير البرية وخير الانبيا وخير خلق الله اقوى وسايلنا اليك
يا الله جمع وسيلة وهي ما يتقرب ويتوسل به الى الذي له قدر ومن اسمايه
صلى الله عليه وسلم الوسيلة وانما كان صلى الله عليه وسلم اقوى الوسايل لانه
الحبيب المقرب فلا يرد له طلب كيف وقد قال له الحق ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهو عليه السلام لا يرضى وواحد من امته في النار فالحمد لله
الذي اسعدنا بالانتما اليه صلوات وسلامه عليه وجاه كل نبي لك ثم كل
ولي وتقدم انه العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على
الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة
ولما كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقبولة غير مردودة وكانت
الملايكة لا تزال تصلي على راقمها في كتاب ما دام اسمه صلى الله عليه وسلم
في ذلك الكتاب وكان حسن الظن والرجا يقتضي ان الكريم اذا قبل صفقة

الفرق بين الامل والطمع والرجا

منكسر

منكسر فقير مقل مفلس ورضيها واثاب عليها وخلد الانعام بازائها لا يرد
شيا منها جعل الصلاة والسلام مكتنفين لما اتى به في النظم من الاحكام توسلا
الى قبوله والاثابة عليه فقال عليه اي على خير الورى وهو نبينا محمد ازكى
من الزكا بالمد وهو النما والزيادة والجملة وان كانت خبرية الا ان المقصود بها
انشا الدعا صلاة الله اي رحمته اللايقة بمقامه الشريف اي وازكى سلام خرجا
من كرا هذا افرادها عن الاخر على ان المراد بصلاته تعالى الصلاة التامة
اللايقة به سبحانه وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل اعطى ملكا من الملايكة اسماع الخلايق فهو قايم على قبري
حتى تقوم الساعة فليس احد من امتي يصلي علي صلاة الا قال يا احمد فلان
ابن فلان باسمه واسم ابيه صلى عليك بكذا وكذا وضمن لي الرب عز وجل انه
من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا وان زاد زاده الله عز وجل ثم
عمم في الدعا لانه افضل من الدعا الخالص فقال واسال الله عز وجل ان
يصلي ازكى صلاة على كل اي جميع النبيين والمرسلين لشمول النبيين له لعمومه
في الاصباح جمع صبح وهو الفجر والاصل جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر
الى المغرب وكنى به على الدوام والاستمرار وتجدد الصلاة بتجددها وادخال
النبيين في الصلاة لحديث صلوا على انبيا الله ورسله فانهم بعثوا كما بعثت
اخرجه الطبراني ولما كان الدعا للآل صلى الله عليه وسلم من المودة والمحبة
لهم ولم يسالنا صلى الله عليه وسلم اجرا على ما وصلنا على يده من الخيرات
الا المودة في القربى جعلهم في الدعا معه صلى الله عليه وسلم فقال وازكى صلاة
الله وسلامه على الال اي اله صلى الله عليه وسلم وعلى الهم من حق القرابة
فقد طولبنا بمودتهم ولانه عليه السلام لما علم كيفية الصلاة عليه ذكرهم تبعا
والآل خاصة الذين يؤول امرهم اليه من قرابة او صحبة او دين والمناسب لمقام الدعا
ان يراد اقاربه صلى الله عليه وسلم مطلقا ما كان منهم من المومنين والمومنات
ومن هنا اختار الازهري وجماعة محققون وعزاه ابن العربي لامامنا
رضي الله عنه انهم كل مومن تقي لحديث فيه وان وقع فيهم في باب الزكاة الخ

خلاف مشهور مذهب امامنا رضي الله عنه اختصاصه باولاد هاشم دون
المطلب ولقصد التعميم في الدعا افرد الصحابة وان كانوا داخلين في الال ولا
ستحقاقهم مزيد الثنا لانهم الذين نصروه صلى الله عليه وسلم وبلغوا عنه ما
سمعوا فقال **و** الصحب اي صلاة الله وسلامه على **الصحب** اي اصحابه صلى
الله عليه وسلم المتقدم المراد بهم اول هذا المجموع ثم عمم في الدعا ايضا
فقال **ثم** اي صلاة الله وسلامه على **التابعين لهم** اي للصحابة جمع التابعي ويقال
التابع ايضا وهو من لقي الصحابي ولو لم يصحبه كما صححه النووي وابن
الصلاح وقال الخطيب هو من صحب الصحابي وعليه فمجرد اللقا لا يكفي والفرق
مزية لقايه صلى الله عليه وسلم على لقا غيره من صلحا امته ولا يشترط
فيه التمييز ولو شرط في الصحابي لمزيد شرف الصحبة **ممن** اي من الفريق
الذي **عن الحق** المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وسنته وطريقته وهو
احد اسمايه صلى الله عليه وسلم قال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم والمراد دين الحق الذي رضيه سبحانه وهو الاسلام والمراد
بالحق احد اسمايه تعالى ومعناه المتحقق والثابت وجوده وهذا الوصف
لا يستحقه بالحقيقة سواه تعالى اذ وجوده سبحانه لذاته لم يسبقه عدم
ولا يلحقه عدم **والاحسان** مصدر احسن اذا فعل الحسن وهذا موافق لقوله
تعالى والذين اتبعوهم باحسان فقوله باحسان قصد به بيان ما اتبعوهم
فيه من افعالهم واقوالهم لا فيما صدر عنهم من الهفوات والزلات اذ لم
يكونوا معصومين **لم يحل** من حال الشي واستحال اذا تغير عن طبعه ووصفه
او من استحالة الارض اذا اعوجت وخرجت عن الاستوا قال الهيتمي رحمه الله
تعالى والاحسان راجع الى اتقان العبادات بادايها على وجهها المامور مع
رعاية حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله ابتدا
واستمرارا وفي حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
قوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال
ربكم عز وجل قال ما جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وفي لفظ

ابن



ابن عباس رضي الله عنهما هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي
الا ان اسكنه جنتي وحضيرة قدسي برحمتي وقال جعفر الصادق رضي الله
عنه هل جزا من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد
وحيث اتينا بعون الله على ما قصدنا وبلغنا من الفتح ما اردنا ارفع الى
المولى الف الضراعة متوسلا بصاحب الشفاعة ان ينفع به كما نفع باصله
وان يجعله خير بضاعة وان يجعله خالصا لوجهه الكريم صرفا عنه
كل ذي شناعة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وافضل الصلاة واشرف التسليم على سيدنا محمد المخصوص
بمزيد التكريم وعلى اله واصحابه اجمعين الى يوم الدين قال جامعه
الحقير عبد السلام بن ابراهيم اللقاني ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه
فرغت من جمعه يوم الاثنين المبارك اخر شهر القعدة المبارك من
السنة السابعة بعد الخمسين والف من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة والسلام وكان الفراغ من كتابة هذه
النسخة الشريفة يوم السبت ضحوة النهار الكبرى
اثنى عشرة يوم خلا من صفر سنة اربعة
وخمسين ومائة والف على يد افقر
الورى وخادم نعال الفقرا
السيد عبد الله ابن السيد
مصطفى المكني بالحموي
غفر الله له ولوالديه
وللاساتذه
وللمسلمين
اجمعين
تم تم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم دايما ابدا الى يوم القيمة

بلغ مقابلة وتصحيحا بحسب
الوسع والطاقة فصح والحمد لله
وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه اجمعين
الفقير اليه سبحانه محمد
ابن الحاج احمد صحيحه

